

الجوف
وادي النفاخ

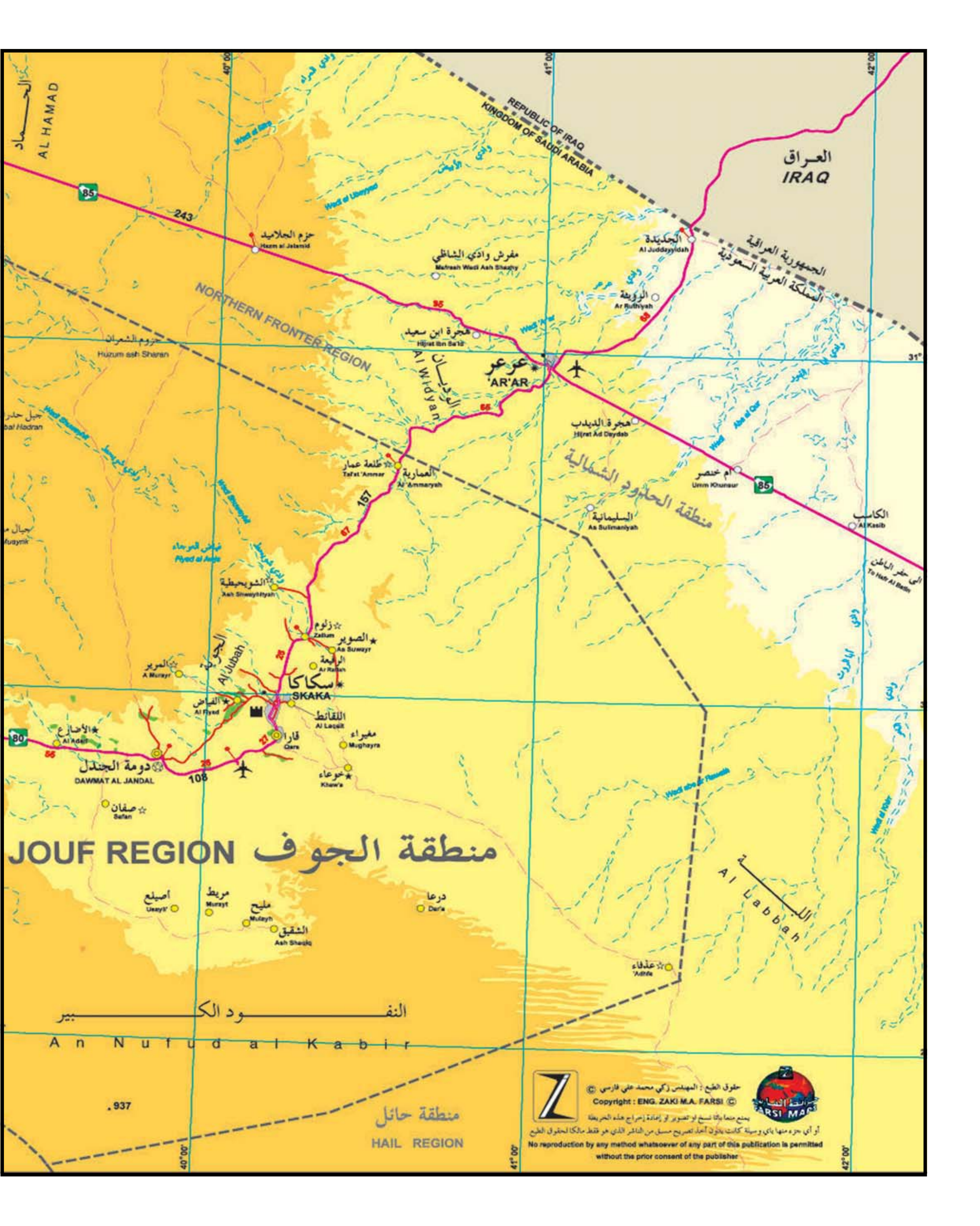
عبدالرحمن بن أحمد السديري

الطبعة الثانية

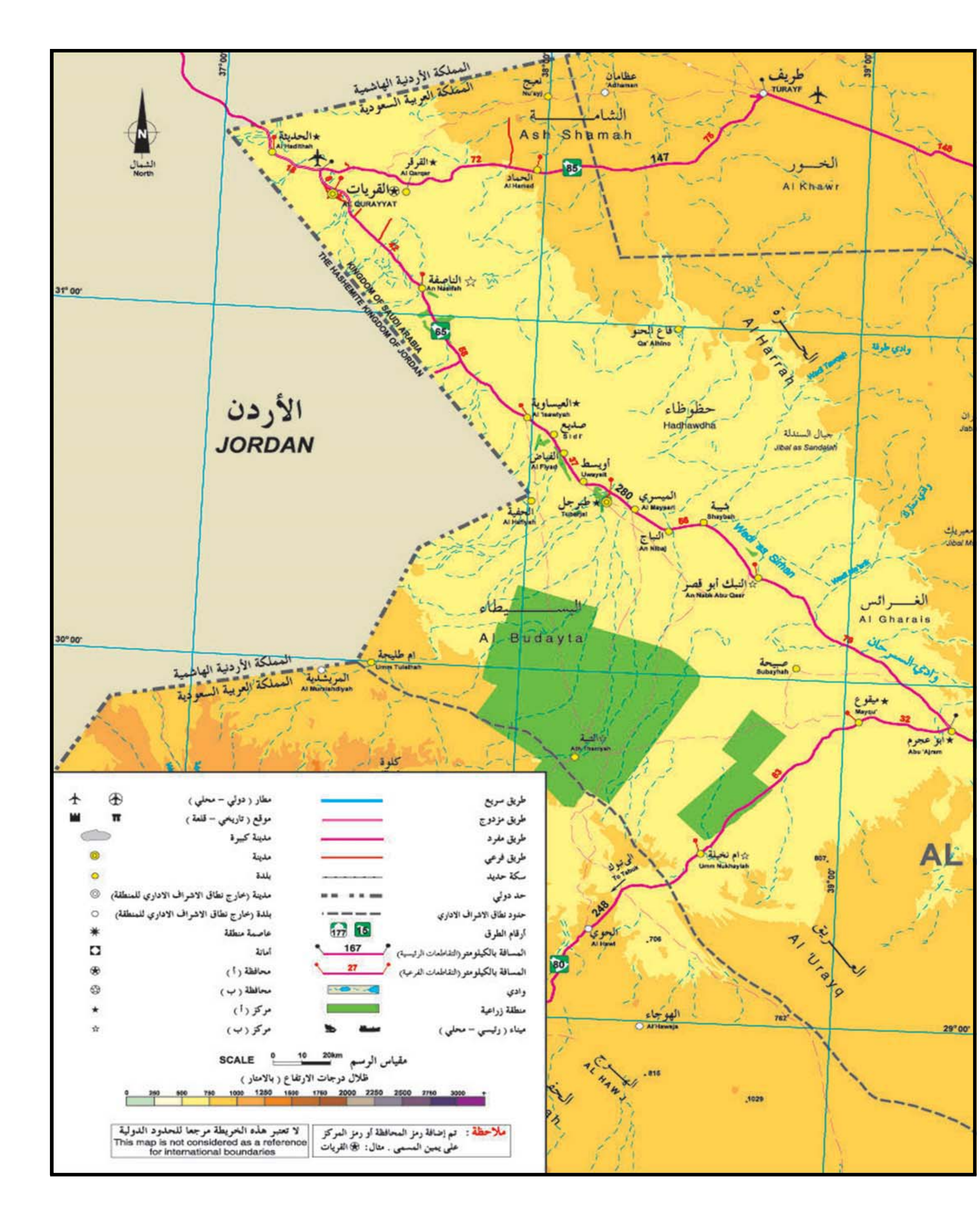
مزيدة ومحدثة

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م





AL HAMAD
العراق
IRAQ
REPUBLIC OF IRAQ
KINGDOM OF SAUDI ARABIA
الجمهورية العراقية
المملكة العربية السعودية
NORTHERN FRONTER REGION
منطقة الحدود الشمالية
عرعر
'AR'AR
Al Widyan
الجديدة
Al Juddayyidah
الرويثة
Ar Ruthiyah
هجرة ابن سعيد
Hijrat Ibn Sa'id
مفرش وادي الشاظي
Mafrash Wadi Ash Shazhy
حزم الجلاميد
Hazm al Jalamid
حزوم الشعران
Huzum ash Sharan
هجرة الديدب
Hijrat Ad Daydab
ام خنصر
Umm Khunsur
الكاسب
Al Kasib
السليمانية
As Sulimaniyah
الى حفر الباطن
To Hafr Al Batin
طلعة عمار
Tal'at 'Ammar
العمارية
Al 'Ammaryah
الشويحيطية
Ash Shwayhitiyah
زلوم
Zallum
الصوير
As Suwayr
سكاكا
SKAKA
الجوبة
Al Jubah
المرير
Al Murayr
الفياض
Al Fiyad
اللقائط
Al Laqait
قارا
Qara
مغيراء
Mughayra
خوعاء
Khaw'a
الأضارع
Al Adari'
دومة الجندل
DAWMAT AL JANDAL
صفان
Safan
JOUF REGION
منطقة الجوف
أصيلع
Usayli'
مريط
Murayt
مليح
Mulayh
الشقيق
Ash Shaqiq
درعا
Dar'a
اللبة
Al Labbah
عذفاء
'Adfa
النفود الكبير
An Nufud al Kabir
.937
منطقة حائل
HAIL REGION
85
243
157
108
80
31°
40°00'
41°00'
42°00'



المملكة الأردنية الهاشمية
المملكة العربية السعودية
الشمال
North
N
الشامة
Ash Shamah
طريف
TURAYF
عظامان
'Adhaman
نعيج
Nu'ayj
الخور
Al Khawr
الحديثة
Al Hadithah
القرقر
Al Qarqar
الحماد
Al Hamad
القريات
AL QURAYYAT
الناصفة
An Nasifah
KINGDOM OF SAUDI ARABIA
THE HASHEMITE KINGDOM OF JORDAN
الأردن
JORDAN
قاع الحنو
Qa' Alhino
الحرة
Al Harrah
وادي طوقة
حظوظاء
Hadhawdha
جبال السندلة
Jibal as Sandalah
العيساوية
Al 'Isawiyah
صديع
Sidr
الفياض
Al Fiyad
أويسط
Uwaysit
الحفية
Al Hafiyah
طبرجل
Tabarjal
الميسري
Al Maysari
شيبة
Shaybah
النباج
An Nibaj
Wadi as Sirhan
وادي السرحان
النبك أبو قصر
An Nabk Abu Qasr
الغرائس
Al Gharais
البسيطاء
Al Budayta
ام طليحة
Umm Tulaihah
المريشدية
Al Murishdiyah
صبيحة
Subayhah
ميقوع
Mayqu'
أبو عجرم
Abu 'Ajram
الثنية
Ath Thaniyah
كلوة
ام نخيلة
Umm Nukhaylah
الى تبوك
To Tabuk
الحوي
Al Hawi
العريق
Al 'Urayq
الهوجاء
Al Hawja
AL
31° 00'
30° 00'
29° 00'
37° 00'
38° 00'
39° 00'
طريق سريع
طريق مزدوج
طريق مفرد
طريق فرعي
سكة حديد
حد دولي
حدود نطاق الاشراف الاداري
أرقام الطرق
المسافة بالكيلومتر (التقاطعات الرئيسية)
المسافة بالكيلومتر (التقاطعات الفرعية)
وادي
منطقة زراعية
ميناء (رئيسي – محلي)
مطار (دولي – محلي)
موقع (تاريخي – قلعة)
مدينة كبيرة
مدينة
بلدة
مدينة (خارج نطاق الاشراف الاداري للمنطقة)
بلدة (خارج نطاق الاشراف الاداري للمنطقة)
عاصمة منطقة
أمانة
محافظة (أ)
محافظة (ب)
مركز (أ)
مركز (ب)
SCALE
مقياس الرسم
0 10 20km
ظلال درجات الارتفاع (بالامتار)
0 250 500 750 1000 1250 1500 1750 2000 2250 2500 2750 3000 +
لا تعتبر هذه الخريطة مرجعا للحدود الدولية
This map is not considered as a reference for international boundaries
ملاحظة : تم إضافة رمز المحافظة أو رمز المركز على يمين المسمى . مثال: القريات

الجوف - وادي النفاخ

عبدالرحمن بن أحمد السديري

الطبعة الثانية

مزيدة ومحدّثة

مراجعة

د . خليل بن إبراهيم المعيقل

١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)



ح مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ، ١٤٢٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السديري ، عبدالرحمن بن أحمد
الجوف وادي النفاخ ./عبدالرحمن بن أحمد السديري - ط ٢ . .-
الرياض ، ١٤٢٥هـ .
. . ص ؛ . . سم
ردمك : ٠-١-٩٥٩٩-٩٩٦٠

١- الجوف (السعودية) - تاريخ أ. العنوان
ديوي ٩١٥,٣١٤٨ ١٤٢٥/٦٥٤٧

رقم الايداع : ١٤٢٥/٦٥٤٧
ردمك : ٠-١-٩٥٩٩-٩٩٦٠

الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية :

أسسها الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري (أمير منطقة الجوف من ١٣٦٢/٩/٥هـ إلى ١٤١٠/٧/١هـ الموافق ١٩٤٣/٩/٤م إلى ١٩٩٠/١/٢٧م) ، بهدف إدارة وتمويل المكتبة العامة التي أنشأها عام ١٣٨٣هـ ، المعروفة باسم دار الجوف للعلوم ، وتضم قسمين منفصلين أحدهما للرجال وآخر للنساء . وقد تولت المؤسسة وما تزال تطوير خدمات الدار ، وتزويدها بوسائل الدراسة والأبحاث العصرية . وتتضمن برامج المؤسسة نشر الدراسات والابداعات الأدبية ، ودعم الأبحاث والرسائل العلمية ، وإصدار مجلة أدوماتو ، المتخصصة بآثار الوطن العربي ، ومنح جائزة الأمير عبدالرحمن السديري للتفوق العلمي لأحد أبناء منطقة الجوف المتفوقين للدراسة الجامعية خارج المملكة ، وتقديم جائزة مالية لاحدى بنات الجوف المتفوقات سنوياً . كما أنشأت روضة ومدارس الرحمانية الأهلية للبنين والبنات ، وأنشأت أيضاً جامع الرحمانية .


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويـــــات



مقدمة الطبعة الأولى

كرّم الله بني آدم واستخلفهم في الأرض ، فعمروها واستمتعوا بما وهبهم الله فيها من النّعم ، وتعرّض ذلك العمران للنمو تارة ، وللضمور تارة أخرى ، على مرّ العصور ، وتلك سنّة الله في خلقه . وارتبط إنسان اليوم بعالم إنسان الأمس على الرغم من تفاوت مدى ذلك الارتباط قرباً أو بعداً ، قوة أو ضعفاً ؛ حتى أصبح الإنسان اليوم ، يحس بشوق إلى الماضي المجهول ليعرف كنهه ؛ وذلك ما دفعني إلى محاولة بيان ما يتوق إلى الإلمام به مواطنو منطقة الجوف –وأنا أحدهم– فيما يتعلق بتاريخ منطقتهم ، قديمه وحديثه .

فقد مكثتُ في هذه المنطقة ثلاثة وأربعين عاماً ، معايشاً لمراحل أوضاعها طيلة هذه الفترة ، متفاعلاً مع متطلبات الحياة فيها ، منصهراً في مجتمعها ، محباً لأهلها ؛ فكان أمر السعي إلى جمع تاريخها ، تحقيقاً لشيء في نفسي ، واستجابة لواجبي ، وإجابة على تساؤلات الكثيرين غيري ، خاصة أن المنطقة لم تحظ –بعد– بكتابة تاريخها الشامل ، سوى ما ذكره بعض الكتّاب أو المؤرخين في مناسبات مختلفة ، وعلى شكل إرهاصات محددة .

وقد راودتني منذ سنين فكرة جمع تاريخ هذه المنطقة ، تقودني إليها الرغبة ويمنعني عنها الشعور بصعوبة جمع أشتات هذا الموضوع ، لعدم توفر المصادر الكافية ، التي إن وجدت فهي صعبة المنال ، لوجود بعضها خارج المنطقة العربية كلها .

وبعون من الله وتوفيقه ، عقدتُ العزمَ على إصدار هذا الكتاب ، بعد طول تردد . وكلّفتُ نخبة من أبناء المنطقة والعاملين فيها ، بالعمل على إنجاز هذه المهمة . وسعينا

للحصول على المصادر المهمة من بعض البلاد العربية والإسلامية ، ومن أوربا وأمريكا . ويعرض هذا الكتاب تاريخ الجوف ، من خلال ما أسعفتنا به المعلومات وإمكانات البحث ؛ وهي معلومات لن ندّعي لها الكمال ، بقدر ما نصفها بأنها محاولة لإعداد كتاب يختص بتاريخ منطقة الجوف . ولا نستغني ، بعد أن تأخذ هذه المحاولة طريقها إلى النشر ، عن تلقي المعلومات ، التي توضّح ما غمض منها ، أو تفصّل ما أوجز ، أو تكمّل ما نقص ، أو تصحّح ما يحتاج إلى تصحيح ، للاستفادة من معلومات القاريء العزيز ، لتدارك ما يمكن تداركه ، فيما يستجد من طبعات أخرى لهذا الكتاب ، بإذن الله .

إنّ عنوان هذا الكتاب : "الجوف – وادي النفاخ" ، مقتبس من لقب قديم ومشهور لأهل الجوف . فلقد عرفت بادية شمال الجزيرة العربية الجوف باسم "وادي النفاخ" بسبب شدة كرم أهل الجوف ، وحرصهم الكبير على العناية بضيفهم ، كما هي صفة العرب ؛ ونظراً لروعة مثل هذا التراث ، ما كان أجمل وضعه عنواناً لهذا الكتاب .

وقبل أن أختم مقدمتي هذه ، أود أن أعرب عن خالص شكري وتقديري لكل الجهات والإخوان ، الذين أسهموا في تسهيل ما اعترضنا من عقبات في هذا السبيل ، أياً كان حجم المساهمة ونوعها . وعلى سبيل التخصيص ، أود أن أشكر جميع أفراد أسرة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ، سواء منسوبيها أو المتعاونين معها ، الذين شاركوا في إعداد هذا الكتاب ، ومن أبرز هؤلاء الأخ الدكتور عارف مفضي المسعر ، الذي بذل من وقته الكثير ، وأسهم بشكل فعّال في إعداد هذا الكتاب ، والأستاذ صالح علي الصالح ، والعقيد كولن بادوك ، اللذان كان لهما دور كبير في جمع المصادر من شتى الأماكن ، والأستاذ ياسر مصطفى جابر ، الذي تواصلت مشاركته منذ مراحل الإعداد الأولى ، حيناً بالترجمة ، وأخرى بالتحرير . كما أشكر الإخوة الذين شاركوا في إكمال إعداد هذا الكتاب في مراحله الأخيرة ، وهم : الدكتور جفري روبرت دريك كينج ، والأستاذ أحمد سالم الحميد ، والشيخ عبدالرحمن نصرالله ، الذين كان لمراجعتهم واقتراحاتهم أثر واضح على مادة هذا الكتاب ، والأستاذ محمد يونس

الهذيل ، والأستاذ يوسف ناصر الحمد الحشاش ، اللذان أسهما في جمع المعلومات الخاصة بأُسر منطقة الجوف وقبائلها ، والأستاذ علي الراشد ، والأستاذ يوسف أبو عواد ، اللذان أكملا المعلومات الإحصائية في هذا الكتاب .

سائلاً مولاي القدير ، أن يوفق الجميع لرضاه ، وأن يهبنا طريق الصواب .

عبدالرحمن بن أحمد بن محمد السديري



مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٨٦م ، وتولت نشرها مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ، بالتعاون مع دار ماكميلان لما وراء البحار – لندن . ومن دواعي السرور أن الكتاب ، في طبعته الأولى لاقى قبولاً جيداً من لدن الباحثين والقراء ، الذين عدّوه أهم مرجع عن تاريخ منطقة الجوف ، يصدر باللغة العربية .

ونظراً لاهتمام الكثيرين من غير الناطقين بالعربية بمادة الكتاب ، سواء كانوا أفراداً أو هيئات ، اقترحت إدارة المؤسسة إصدار طبعة باللغة الإنجليزية ، ووافق معالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري على ذلك . وتولت دار استاسي إنترناشيونال للنشر – لندن نشر الكتاب . وصدرت الطبعة باللغة الإنجليزية تحت عنوان :

(The Desert Frontier of Arabia [AL-JAWF] Through the Ages).

ومن دواعي السرور ، أيضاً ، أن الطبعة باللغة الإنجليزية لاقت قبولاً جيداً ، وحظيت بتعليقات إيجابية ، أبرزت القيمة المرجعية لهذا الكتاب ، حتى وصف في مقالة بمجلة الشؤون الأسيوية (ASIAN AFFAIRS) ، التي تصدر عن الجمعية الملكية للشؤون الآسيوية – لندن ، بأنه يُعد مرجعاً من الدرجة الأولى ، عن المنطقة الشمالية بالمملكة العربية السعودية[١] .

ونظراً لأهمية هذا الكتاب ، وقيمته المرجعية العالية ، ونفاد طبعته الأولى باللغة العربية ، والحاجة إلى توفيره للباحثين والقرّاء ، وتمشياً مع رغبة معالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري ، رأت إدارة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية إعادة

---

(1) Alan Rush, Review of: "The Desert Frontier of Arabia: AL-JAWF Through the Ages" By: Amir Abdal Rahman Bin Ahmed al-Sudairy, Asian Affaires Vol. XXXVII, pp. 345, (October 1996).

طبعه باللغة العربية ، بعد مراجعة المتن والصور والخرائط ، وتحديث المعلومات الإحصائية ، والإفادة من بعض الملحوظات ، التي وردت على الطبعة الأولى .

وقررت إدارة المؤسسة أن تعهد بهذه المهمة إلى الأخ الدكتور خليل المعيقل ، رئيس قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود (سابقاً) ، وعضو هيئة تحرير مجلة أدوماتو ، التي تصدرها مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ، وقبل هذا هو أحد أبناء منطقة الجوف ، الذين واكبوا مسيرة المؤسسة منذ انطلاقها في عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) . وقد راجع الدكتور خليل النصوص وتولّى تقييمها وتجهيزها من النواحي الفنية .

ويسرّني أن أسجل الشكر الجزيل له ، على كل ما قدمه من عمل في هذا المضمار . كما أشكر الزملاء في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ، الذين قدموا الإسناد اللازم للدكتور خليل في مهمته ، كما أسهموا كلٌ في مجاله ، في سبيل إنجاز هذا العمل .

كما لا يفوتني أن أشيد بجهود كل الإخوة والأصدقاء ، الذين شاركوا في إعداد الطبعة الأولى من الكتاب ، شاكراً لهم جهودهم وتعاونهم ، وهم : الدكتور عارف مفضي المسعر ، والدكتور جيوفري كينج ، الأستاذ صالح العلي الصالح ، والأستاذ علي محمود الراشد ، والعقيد كولن بادوك ، والأستاذ ياسر مصطفى جابر ، والدكتور أحمد عبدالله السالم ، والمرحوم محمد يونس الهذيل ، والمرحوم يوسف ناصر الحمد الحشاش ، والأستاذ يوسف أبو عواد ، والشيخ عبدالرحمن نصرالله .

سائلاً المولى - عزَّ وجلَّ- أن يوفق الجميع لما يُحب ويرضى ، إنه سميع مجيب .

زياد بن عبدالرحمن السديري



مئذنة مسجد عمر بن الخطاب في دومة الجندل

الفصل الأول

أهمية منطقة الجوف

١- مقدمة تاريخية

يعود الاستيطان البشري في منطقة الجوف ، إلى عصور موغلة في القدم . وتدل على ذلك الشواهد الآثارية والمخطوطات القديمة . وعلى هذا ، فإن القصد من هذا الكتاب ، هو تتبع تاريخ المنطقة من العصور القديمة ، حتى الوقت الحاضر . وعلى الرغم من توافر العديد من المصادر ، التي نستند إليها ، إلا أننا نجد -أحيانا- بعض الثغرات ، في السجل التاريخي للمنطقة . ففي العهد الآشوري مثلاً ، أو في الفترة المبكرة من ظهور الإسلام ، فإن الباحث لا يعدم وجود الكثير من المعلومات المفصلة عن المنطقة . أما عن الفترة التي سبقت الآشوريين ، والفترة الممتدة منذ القرن السابع قبل الميلاد وإلى ظهور الإسلام ، فإننا لا نعرف عنها إلا القليل جداً ، وذلك بسبب ندرة المصادر المدونة . وكذلك الحال في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ؛ فبينما شهدت المنطقة ازدهاراً كبيراً وأحداثاً مهمة في السنوات الأولى ، التي تلت ظهور الإسلام ، إلا أنها أصبحت فجأة لا تمثل مجالاً لاهتمام المؤرخين ، حين أصبحوا لا يشيرون إليها ، إلا بين حين وآخر ، إشارات عابرة . ثم عادت الجوف ، مرة أخرى ، مادة مهمة للمؤرخين والجغرافيين في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) ، وعاد اهتمامهم بها كنتيجة لتوسع سلطة الدولة السعودية الأولى .

ويمكن للباحث التغلب على المصاعب ، التي تصادفه عند تدوين تاريخ منطقة الجوف ، من حيث وجود الثغرات والفجوات في التسلسل التاريخي ، إذا درس الشواهد الآثارية ، وأماكن وجودها ، وهى لحسن الحظ كثيرة فيها . فالفترات التاريخية التي لم تترك مصادر مدونة ، نجد أنها خلفت مواقع أثرية لا تزال موجودة ، بحيث تعوض وتسد الفراغ . فهناك بعض المواقع التي استوطنت ، وتركت لنا أشكالا من حجر الصّوان ، التي استخدمها السكان في تلك الفترة ، الممتدة من العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث . وتوجد في موقع أثري يُسمى "الرجاجيل" ، مجموعات من الأعمدة الحجرية ، التي تعود إلى العصر النحاسي . أما في العصور التي سبقت ظهور الإسلام ، وكانت الجوف فيها شبه غائبة عن المسرح التاريخي ، فقد دلت الأبحاث الآثارية التي

أجريت مؤخراً ، على وجود العديد من النقوش والخزفيات النبطية أيضا . وهذا يدل على وجود استيطان بشري ، عندما كان الأنباط يسيطرون على الأجزاء الشمالية الغربية من الجزيرة العربية ، وحكموها من عاصمتهم البتراء في الأردن . فإذا أُخذ في الاعتبار توفر المياه في المنطقة ، ووجود التربة الصالحة للزراعة ، فيمكن القول إن منطقة الجوف كانت مأهولة بالسكان ، خلال العصور القديمة الغابرة ، حيث كان السكان يمارسون التجارة مع عدد من المراكز التجارية المهمة ، التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية ، ووصلت إلى باقي أجزاء الشرق الأدنى . وقد امتدت الشبكة التجارية من جنوب غربي الجزيرة العربية ، وشملت مكة المكرمة والمدينة المنورة (أو يثرب كما كانت تُدعى قبل ظهور الإسلام) ، وكذلك ديدان ، ومدائن صالح وتيماء وقرية الفاو[1] ، وجرهاء .

والميزة التي تمتّعت بها الجوف ، من ناحية موقعها بالقرب من مدخل وادي السرحان وعلى مداخل الجزيرة العربية وسوريا والعراق ، جعلها بالضرورة شريكاً مهماً في الحركة التجارية ، التي ازدهرت قبل الإسلام . وعلى هذا فليس من الغريب وجود شواهد تدل على وجود الأنباط في الجوف ، خاصة إذا عُرف أنهم كانوا يحتكرون التجارة في الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية ، أيام ازدهارهم .

وعلى أية حال ، فبعد ظهور الإسلام مباشرة ، تمتّعت الجوف بقدر من الأهمية ، كان انعكاساً للانتصارات الإسلامية ، التي تحققت في مناطق المشرق المختلفة ؛ لكنها سرعان ما فقدت أهميتها التاريخية في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، عندما استولى العباسيون على الخلافة من الأمويين في عام ١٣٢ للهجرة ، ونقلوا عاصمتهم إلى بغداد في عام ١٤٥هـ/٧٦٢م . وبعد إنشاء العاصمة بغداد ، فإن جميع طرق المواصلات والطرق التجارية قد تغيّرت في الجزيرة العربية . فبدلا من الطرق ، التي كانت تمتد من جنوبي الجزيرة العربية إلى شمالها ، كانت الجوف تفيد منها بحكم موقعها عليها ، فإن العباسيين جعلوا طريق الجزيرة العربية يمتد من العراق إلى المدن المقدسة في الجزيرة

---

(١) د . عبدالرحمن الأنصاري ، قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية . جامعة الملك سعود – الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

مباشرة ، وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة . وأدخل الكثير من التحسينات على هذه الطرق العظيمة ، لمساعدة الأعداد المتزايدة من الحجيج الذين تدفقوا على الأماكن المقدسة ولا تزال هذه الطرق تعرف باسم "درب زبيدة "(١) .

كذلك ، اختلف خط سير التجارة أيام العباسيين . فقد أصبحت التجارة تنقل من الشرق إلى الخليج العربي فالعراق . ومن هناك باتجاه الغرب إلى البحر المتوسط ومصر . وكنتيجة لهذا التحول ، فقدت الجوف أهميتها التجارية ، بسبب عدم وقوعها على هذه



لقطة لدومة الجندل التقطت من داخل قلعة مارد ، ويبدو أحد الأحياء الحديثة المجاور لموقع القلعة

---

(١) Al- Rashad, S. **Darb Zubaidah. The Pilgrim Road from Kufa to Mecca**, Riyadh University Libraries (1980)

وواد كجوف العير قفر قطعته[1] . وتدل الجوف ، أيضا ، على المنطقة التي يسكنها بنو سعد ، وتقع إلى الغرب من الإحساء .

أما الجوف موضوع هذا الكتاب ، وتقع عند الطرف الجنوبي الشرقي لوادي السرحان ، فكانت تُعرف سابقاً "جوف آل عمر" ، ونسبة إلى بطن كبير من قبيلة طي ، كان يسكن شمالي النفود الكبرى . كما كان يُشار إلى الجوف باسم "جوف السرحان" أيضا .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن "الجوف" يُطلق للدلالة على المنطقة عموماً ، كما أنه يُطلق على النطاق المحلي بمعنى "دومة الجندل" .

وأما منطقة الجوف في العصر الحاضر ، بنطاقيها الجغرافي والإداري ، فهي تلك المنطقة الواقعة شمالي غرب المملكة العربية السعودية . ويحدها من الشمال والشمال الشرقي إمارة الحدود الشمالية ، التي أنشئت منذ سنوات ليست بعيدة . ومن الشمال الغربي حدود المملكة الأردنية الهاشمية . ومن الغرب إمارة تبوك . ومن الجنوب الشرقي إمارة حائل . وتشغل هذه المنطقة مساحة تبلغ ٥٨ر٥٢٤ كيلو مترا مربعا تقريبا .

وتتمثل بهذه المنطقة أنواع من التضاريس المختلفة ، من مرتفعات ومنخفضات ووديان وسهول . وتقع مدينة سكاكا ، وهي حاضرة المنطقة ، على خط عرض ٣٠ شمالاً ، وخط طول ٤٠ شرقاً . وترتفع مدينة سكاكا عن مستوى سطح البحر بخمسمائة وثمانين متراً . ومناخ المنطقة ، بشكل عام ، قاري صحراوي بارد شتاء وحار جاف صيفاً . وتبلغ الدرجة العظمى فيه صيفا ٤٢ درجة مئوية . وشهر يولية (تموز) أشد شهوره حرارة . ومتوسط الدرجة الصغرى شتاء ٨ر٥ درجة مئوية . وشهر يناير (كانون الثاني) أكثر شهوره برودة ، وقد تنخفض فيه درجة الحرارة من درجتين إلى سبع درجات تحت الصفر .

ويفصل بين الشتاء والصيف موسما الربيع والخريف ، وهما قصيرا الأجل . وفي السنوات الغزيرة الأمطار -وهي قليلة في الآونة الأخيرة - يصل متوسط سقوط المطر إلى

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ص٣٦ .

الطرق التجارية .

وعندما بدأت شبه الجزيرة العربية تستعيد مكانتها ، في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ، أصبحت للجوف أهمية جديدة بحكم موقعها على الحدود ، ما بين الجزيرة العربية وبلاد الشام . وكان هذا الموقع ذا أهمية للدولة السعودية الأولى ، التي أصبحت الجوف تخضع لها في عام ١٢٠٨هـ-١٧٩٢/م . كذلك بدأ بعض الرّحالة الأوربيين يزورون الجوف ، سالكين الطرق ، التي تمتد من الأردن إلى المدن الأخرى ، في شمال الجزيرة العربية .

وفي الحقيقة ، أصبحت الطريق إلى قلب الجزيرة العربية عبر الجوف ، هي الطريق المفضلة ، (كما سنبين في فصل الرّحالة في هذا الكتاب) . ونجد أن الكتابات المفصّلة ، التي تركها الرّحالة الأوربيون تُعطي صورة واضحة عن الجوف ومجتمعها ، في القرنين الماضيين . وعلى هذا فإن المعلومات التاريخية عن هذه الفترة متوافرة وكثيرة ، وتصاحبها الصور ، أحيانا ، عن الجوف وسكانها . ولمتابعة تاريخ منطقة الجوف حتى زمننا هذا ، حرصنا على أن يشتمل هذا الكتاب على آخر ما استجد في المنطقة ، من أوجه التطور والنشاط في هذا العهد ، المتميز بالسلام والرخاء والأمان .

٢- جغرافية منطقة الجوف

أ - الجوف لغة :

ورد التعريف اللغوي لكلمة "جوف" في عدد من المعاجم ، من بينها لسان العرب ، ومعجم البلدان[١] ، نورد منها ما يلي :

جوف ، الجوف : المطمئن من الأرض ، وجوف الإنسان بطنه ، والجوف باطن البطن وما انطبقت عليه الكتفان والعضدان والأضلاع ، وجمعها أجواف . وجاف الشيء جوفاً أصاب جوفه . وجاف الصيد أي أدخل السهم في بطنه ، ولم يظهر من الجانب الآخر .

الجائفة : الطعنة التي لم تبلغ الجوف ، والجوف من الأرض : ما اتسع واطمأن فصار كالجوف . والأجواف من الدواب والخيل : ما ارتفع بلق الفرس فيه إلى جنبه فهو مجوف أبلقُ .

الجوفي : واسع البطن . وجوف الليل ثلثه الأخير وهو الجزء الخامس من أسداس الليل .

ب - الجوف مصطلحاً جغرافياً :

استعمل الجغرافيون العرب[٢] لفظ الجوف ، للدلالة على مواضع مختلفة في شبه الجزيرة العربية ، منها السهل الممتد بين مكة والمدينة ، والمنطقة الواقعة بين نجران وحضرموت ، وكذلك موضع في اليمن .

أما "جوف حمار" ، فهو واد ينسب إلى حمار بن طويلع . وبه ورد قول امرىء القيس :

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، ج٩ ، ص ٣٤- ٣٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت (١٣٧٥هـ١٩٥٦/م) ، ج٢ ، ص ١٨٧-١٨٨ .

(٢) ابن منظور لسان العرب ، ج٩ ، ص ٣٦ ؛ حمد الجاسر ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية . الرياض . (١٣٩٧هـ١٩٧٧/م .) ج١ ص ٣٥٩ .

وواد كجوف العير قفر قطعته[١] . وتدل الجوف ، أيضا ، على المنطقة التي يسكنها بنو سعد ، وتقع إلى الغرب من الإحساء .

أما الجوف موضوع هذا الكتاب ، وتقع عند الطرف الجنوبي الشرقي لوادي السرحان ، فكانت تُعرف سابقاً "جوف آل عمر" ، ونسبة إلى بطن كبير من قبيلة طي ، كان يسكن شمالي النفود الكبرى . كما كان يُشار إلى الجوف باسم "جوف السرحان" أيضا .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن "الجوف" يُطلق للدلالة على المنطقة عموماً ، كما أنه يُطلق على النطاق المحلي بمعنى "دومة الجندل" .

وأما منطقة الجوف في العصر الحاضر ، بنطاقيها الجغرافي والإداري ، فهي تلك المنطقة الواقعة شمالي غرب المملكة العربية السعودية . ويحدها من الشمال والشمال الشرقي إمارة الحدود الشمالية ، التي أنشئت منذ سنوات ليست بعيدة . ومن الشمال الغربي حدود المملكة الأردنية الهاشمية . ومن الغرب إمارة تبوك . ومن الجنوب الشرقي إمارة حائل . وتشغل هذه المنطقة مساحة تبلغ ٥٨٫٥٢٤ كيلو مترا مربعا تقريبا .

وتتمثل بهذه المنطقة أنواع من التضاريس المختلفة ، من مرتفعات ومنخفضات ووديان وسهول . وتقع مدينة سكاكا ، وهي حاضرة المنطقة ، على خط عرض ٣٠ شمالاً ، وخط طول ٤٠ شرقاً . وترتفع مدينة سكاكا عن مستوى سطح البحر بخمسمائة وثمانين متراً . ومناخ المنطقة ، بشكل عام ، قاري صحراوي بارد شتاء وحار جاف صيفاً . وتبلغ الدرجة العظمى فيه صيفا ٤٢ درجة مئوية . وشهر يولية (تموز) أشد شهوره حرارة . ومتوسط الدرجة الصغرى شتاء ٨٫٥ درجة مئوية . وشهر يناير (كانون الثاني) أكثر شهوره برودة ، وقد تنخفض فيه درجة الحرارة من درجتين إلى سبع درجات تحت الصفر .

ويفصل بين الشتاء والصيف موسما الربيع والخريف ، وهما قصيرا الأجل . وفي السنوات الغزيرة الأمطار –وهي قليلة في الآونة الأخيرة– يصل متوسط سقوط المطر إلى

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ص٣٦ .

مائتي مليمتر تقريباً . وقد ورد أن بعض مراعي هذه المنطقة غمرتها الثلوج ، مدة أسبوعين عام ١٣٤٣هـ١٩٢٤/م . ومعدل الرطوبة النسبية ٣٦٫٥٪ .

ومن الظواهر الجوية الرياح ، ومعظمها في الشتاء ، وهى : الشرقية . وفي الربيع : الغربية . وتسبب الرياح الجنوبية الشرقية غالباً المطر شتاء وأما إذا هبت صيفاً فإنها تكون حارة . أما الرياح الشمالية الغربية ، فهي باردة غالباً . ومع تأثر المنطقة بالظواهر الجوية المختلفة ، فإنها تتميز في بعض الأوقات بالاعتدال ذي الهواء العليل ، بحكم مؤثرات المناطق المزروعة ، التي بدأت رقعتها تتزايد يوما بعد يوم لجودة التربة ووفرة المياه ، السطحية والجوفية .

تمتاز منطقة الجوف ، عموماً ، بحكم موقعها ، كأحد أهم الأمكنة الواقعة شمال الدهناء ، ممثلة في مدنها وقراها ، التي حباها الله عنصرين حيويين ، من أهم عناصر الحياة ، هما : وفرة المياه وعذوبتها ، وقابليتها للزراعة ، إضافة إلى مكانتها في التاريخ القديم كأهم معبر للجزيرة العربية ، يربطها في نطاق ممتلكات الإمبراطوريات العريقة في بلاد الشام والعراق وفارس ، وما تقوم عليه تلك الإمبراطوريات من حضارات ، تضرب جذورها في أعماق التاريخ .

مدن وقرى منطقة الجوف وسكانها

يعيش على أرض هذه المنطقة من السكان ما يقرب ٢٨٠٫٠٠٠ نسمة ، في المدن والقرى والهجر الواقعة ضمن النطاق الإداري لمنطقة الجوف . ويُشار هنا إلى أسماء عدد منها فقط ، لأن تفصيلها سيأتي في المواضع المناسبة ، من الفصول اللاحقة . فمن أهم هذه المدن ، من حيث التعداد السكاني : سكاكا ، والقريات ، ودومة الجندل ، وطبرجل . ومن القرى : قارا ، والطوير ، وصوير ، والنبك أبو قصر ، وزلوم ، وهديب ، والشويحطية ، والأضارع ، وخوعا ، والرديفة ، والزبارة ، والنظايم ، وأبو عجرم ، والعمارية ، وميقوع ، وصفان ، وهدبان ، وغيرها .

أسباب تسمية مدن دومة الجندل وسكاكا والقريات

يقول الجغرافي العربي ياقوت الحموي (عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد) إن تسمية دومة الجندل ، مستمدة من اسم دوماء ابن النبي إسماعيل عليه السلام . وكما أشار ياقوت ، فإنه لمّا كثر أبناء اسماعيل في تهامة على البحر الأحمر ، غادرها دوماء إلى أن وصل أخيرا إلى الموقع الحالي لدومة الجندل . وهناك ابتنى لنفسه قلعة سميت باسمه . أما عن إضافة كلمة "الجندل" إلى الاسم فيقول إن السبب هو بناء القلعة من الجندل ، أي من الصخر[١] .

وفي روايات أخرى متشابهة يشتق بعض المؤرخين العرب اسم "دومة" ، وتكتب أحياناً "دومان" ، أو "دوما" ، التي يرجع أصلها إلى "دوماء" ابن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . وكما أسلفنا فإن جندل تعني كومة من الحجارة ، أو الصخر .

أما ألواس موسيل فيقول إن "جندل" كان اسم قبيلة بدوية قديمة سكنت دومة ، وكان يطلق على هذه القبيلة آل جندل ، أو بني جندل[٢] .

وتشير المصادر الرومانية والبيزنطية إلى "دومة" بأسماء مختلفة ، مثل : دوماتا ، دويثا ، أو دوماثا ؛ ولكنهم لم يتوسعوا في حديثهم عنها ، ولم يعطوا تفسيراً لدلالة الاسم[٣] .

أما "سكاكا" ، فتعني طبقة الهواء ، الواقعة بين السماء والأرض . وقد يعني الاسم "ملتقى الطرق" ، لأن كلمة "سكة" تعني الطريق .

أما "القريات" ، فتعني مجموعة القرى ، وهي مدينة حديثة أُنشئت سنة ١٣٥٧هـ . وسميت "القريات" ، نسبة إلى قرى : كاف ، وإثرة ، ومنوة .

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٧٤ .

(٢) Alois Musil, **Arabia Deserta, A Topographical Itinerary**, New york (1927), p. 544 .

٣- الأهمية الآثارية لمنطقة الجوف

منذ عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ، جرت في المنطقة أعمال مسح أثري وحفريات محدودة ، كشفت عن جانب يسير من المخزون الأثري ، في منطقة الجوف . وعلى الرغم من أن طبيعة تلك الأعمال كانت محدودة ، إلا أنها أظهرت عمقاً حضارياً وتاريخياً ، تشهد عليه المواقع الآثارية الكثيرة ، التي تزخر بها منطقة الجوف ، وتمثل جانباً من حضارة الجزيرة العربية ، خلال العصور المختلفة .

وتعكس كثافة الأبحاث والاستكشافات الآثارية الأخيرة ، التي جرت في الجزيرة العربية ، مدى محدودية المحاولات الأولى ، بسبب المساحة الشاسعة للجزيرة .

أما الآن ، فعلى الرغم من الصعوبات ، التي تواجه عمليات المسح الأثري بسبب المساحة الشاسعة ، فقد تجمعت معلومات كثيرة عن آثار الجزيرة العربية بشكل عام ، وآثار منطقة الجوف ، بشكل خاص .

كانت دومة الجندل ذات أهمية كبيرة من الناحية التجارية في الأزمنة القديمة ، وذلك لوقوعها على ملتقى طريقين للتجارة في العالم العربي القديم ، هما :

أولا : الطريق الممتدة من اليمن إلى العراق .

ثانيا : الطريق التي كانت تخترق وادي السرحان -يُطلق عليه أحيانا مدخل الجزيرة العربية- إلى سوريا ، ومنها إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط .

وإضافة إلى ذلك ، فقد كانت دومة الجندل تتمتع بنوع من السيطرة على القبائل الأخرى المجاورة ، بحكم الإمارات القوية التي قامت بها[١] .

وكنتيجة لتاريخ دومة الجندل القديم فإنها ، ومنطقة الجوف ككل ، أصبحت من أغنى

---

(١) U. Zarins, **Prehistory of the Jowf-Sakaka Area**, (April,1977) .



المنطقة الأثرية بدومة الجندل

المناطق بآثارها في الجزيرة العربية كلها . والذي لا شك فيه ، أن التنقيب عن الآثار في المنطقة ، ما لم يجْرِ بشكل واسع شامل ، فإن الكثير من الكنوز الآثارية والاكتشافات المهمة ، سيظل مجهولاً لدينا .

تقع شبه الجزيرة العربية جوار منطقتين كانت لهما أهمية كبيرة في تطور الحضارات القديمة في العالم ، هما : العراق وبلاد الشام ، من جهة ، ومصر ، من جهة أخرى . ولهذا ، ازدهرت الحضارات المحلية ، أيضا ، في شبه الجزيرة العربية نفسها . وقد بدأ الإنسان منذ أقدم العصور تطوير إمكاناته ليتمكن من السيطرة على الظروف المحيطة به .

وكانت أولى المؤشرات تتمثل في أدواته القديمة ، المصنوعة من العظام والحجارة والخشب . وتعود أقدم الأدوات الحجرية ، التي عُثر عليها في منطقة الشويحطية ، قريبا من الجوف ، إلى العصر الحجري القديم الأسفل ، ويعود تاريخها إلى مليون ومئتي ألف سنة قبل العصر الحاضر . وقد عُثر على فؤوس وأدوات حجرية ، في عدد من الأماكن مثل : الشويحطية ، ووادي عرعر ، ترجع إلى العصر القديم الأوسط . ويؤرخ لهذا العصر ، الذي يمتد منذ خمسمائة ألف سنة إلى ما قبل ستين ألف سنة تقريبا . أما العصر (الموستيري) ، الذي يبدأ من ستين ألف سنة تقريباً ، واستمر إلى ما قبل ثلاثين ألف سنة ، فيبدو نمطه في الصناعات اليدوية المتوافرة بكثرة في منطقة الجوف ، حيث عُثر على قطع حجرية متفرقة ، أو في مجموعات كثيرة ، في هذه المنطقة . وقد استفاد إنسان (نياندرتال) ، الذي عاش خلال تلك الفترة ، من حجر الصوان في صناعاته اليدوية . ويمكن الاستدلال على ذلك ، من وجود بعض الأدوات الصغيرة ، التي تشبه النصول ، المصنوعة من هذا الحجر . وقد لوحظ وجود بعض المؤشرات ، التي تدل على الاستيطان البشري في وادي عرعر ، إلى الشمال الشرقي من الجوف خلال العصر الحجري المتأخر أيضا .

أما المؤشر الثاني البارز في تاريخ المنطقة القديم ، فُيستدل عليه من ثلاثة شواهد أثرية ، تعود إلى العصر النحاسي ، الذي ربما امتد إلى العصر البرونزي (٤٠٠٠–٢٣٠٠) سنة

قبل الميلاد .

وهذه الشواهد هى :

١ - الدوائر الحجرية .

٢ - فن النحت والنقش على الصخور .

٣ - الأنصبة الحجرية ، مثل الرّجاجيل .

ويمكن معرفة أن القطع الحجرية الدائرية ، التي عُثر عليها في المنطقة تعود إلى العصر النحاسي أو البرونزي القديم خاصة ، من خلال مقارنتها بقطع مشابهة وجدت في الأردن وفلسطين ، وترجع إلى هذا العصر .

كذلك ، فإن بعض النقوش ، التي وجدت على الصخور في منطقة سكاكا ، تعود إلى العصر النحاسي ، والعصور البرونزية القديمة . وكان سكان هذا العصر مهتمين بالأبقار ، التي في المنطقة ، سواء كانت أبقاراً متوحشة أو أليفة ؛ فقد نقشوا صورها على الصخر . وهذه الأبقار من النوع ذي القرون الطويلة ، والدليل على ذلك النقوش ، التي في سكاكا ، وجنوبي الطوير ، وعلى طريق القنيطرة غربي سكاكا . وفي هذا الموقع الأخير رسومات لأشخاص يلبسون أغطية للرأس ، أو ثياباً يزينها الريش ، أو أحزمة للوسط .

أما الأنصبة الحجرية في منطقة الجوف ، فخير مثال عليها أعمدة (الرّجاجيل) ، التي تعود إلى العصر النحاسي (وسيأتي ذكرها لاحقاً في الفصل الثاني) . وقد وصف الباحث زارنس (Zarins) حدوث فجوة في التسلسل التاريخي ، من ناحية الاستيطان البشري بعد ذلك ، في قوله : "ويدل السجل الأثري على وجود فجوة في التسلسل التاريخي ، حدثت بعد اختفاء السكان ، الذين كانوا يقيمون بها في نهاية العصر (النحاسي - البرونزي) القديم . ويمكن القول باحتمال ظهور البدو الرحل أثناء الألف الثاني قبل الميلاد لأول مرة ، وأنهم استخدموا الجمال في ظل الظروف المناخية الجافة

(١) U. Zarins, **Prehistory of the Jowf-Sakaka Area**, (April,1977).

آنذاك"[1] .

وقد تناولت النصوص الآشورية منطقة الجوف والسكان ، الذين عاشوا فيها في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، بشيء من التفصيل . ومع هذا فإن غياب أعمال التنقيب والحفريات في المناطق الأثرية ، مثل دومة الجندل ، يجعل من الصعب التوسع في الحديث عن المعلومات ، التي أمدتنا بها هذه النصوص الآشورية .

أما أهم الفترات في تاريخ منطقة الجوف من ناحية أثرية ، فهي التي امتدت من منتصف الألف الأول قبل الميلاد ، حتى قبل الإسلام . فقد أكتُشفت خزفيات نبطية وبيزنطية في دومة الجندل ، تعود إلى هذه الفترة بالذات .

وهناك دلائل على أن الأجزاء السفلى من مبنى (قلعة مارد) في دومة الجندل ، قد شُيدت في أيام النبطيين ، كما دلت على ذلك أعمال حفر جرت داخل القلعة[1] . كما عثر على نقش نبطي على أحد حجارة مباني حي الدّرع ، الملاصق لمسجد عمر . إضافة إلى وجود عدد من النقوش النبطية الأخرى ، في مدينة سكاكا .

وقبل الحديث عن الأهمية الآثارية في منطقة الجوف ، لا بد أن ننوه هنا إلى زيارة قام بها صديقنا المرحوم الدكتور محمود الغول إلى هذه المنطقة في عام ١٣٨٧هـ١٩٦٧/م ، منتدباً من قبل جامعة الملك سعود (الرياض سابقا) ، وذلك من أجل القيام بجولة استكشافية أثرية . وقد كشف الدكتور الغول أثناء زيارته ، عن معالم مدينة قديمة على بعد ٢٠ كيلومترا من مدينة عرعر (بدنه) .

وكان لدينا أثناء زيارة الدكتور الغول حجر ، نقلناه من دومة الجندل ، وعليه كتابة باللاتينية . وقرأ الدكتور هذه الكتابة ، وكتب عنها ما خلاصته :

" كتب هذا النقش رجل اسمه فلافيوس ، ينعت نفسه بأنه قائد مائة في الكتيبة

---

(١) Al-Muaikel, **The Archeology of Al-Jawf**, pp. 83-84.

الثالثة القرنائية ، ويقول في النقش : إنه وفّى نذرهُ لجوبيتر العظيم آمون ، وللقديس صلم ، طلباً لعافية سيديه الأوغسطين - وهما الإمبراطوران (سابتيموس ساويرس) و (كاركلا) ، وكانا مشتركين في قلم الدولة الرومانية بين عامي ١٩٧ ، ٢١٢ بعد الميلاد . . أما الكتيبة ، التي ينتمي إليها قائد المائة هذا ، فكان مركزها بصرى ، قاعدة ولاية بلاد العرب الرومانية ، وقورنا هي برقة في ليبيا اليوم ، وسابتيموس ساويرس أصله من ليبيا" .

ولم يسبق وأن عُثر على نقش له الصفة الرسمية الدقيقة ، إلا في حوران ليس بعيداً عن الحدود السعودية . ورأى الباحثون أن حدود الرومان ربما امتدت إلى الشمال ، مسافة تلك الأميال القليلة . أما نقش دومة الجندل ، فقد وجد في مكان لم يزعم أحد –حتى الآن– أن حكم الرومان المباشر بلغه ، وإن كان للرومان عليه نفوذ ضمن ما كانوا يسمونه الحدود الخارجية ، أو الحدود القصوى . فقد يشير إلى أن الرومان ، في تلك الفترة من الحروب ضد الفرس في العراق ، أنزلوا جنداً في دومة الجندل ، إما خوفاً من أن يستعمل الفرس الطريق خلالها للنفوذ إلى جنوب فلسطين ومصر ، وإما أن حملات الرومان اقتضت حركة جند كبيرة بين مصر ، ومناطق الحرب في العراق .

وأهمية دومة الجندل في المواصلات ، بين العراق والشام ومصر لا تُنكر . ويكفي أن المسلمين اهتموا بتوطيد ملكهم فيها ، قبل المسير إلى العراق والشام ، وأن خالد بن الوليد سار من الحيرة إلى اليرموك عن طريقها . كما هو القول الأصح الأثبت .

أما الإلاهان المذكوران في الكتابة على الحجر ، فهما "جوبيتر آمون" ، و"أوزيوس آمون" ، وهو الإله اليوناني الروماني مُلصقاً به اسم آمون المصري ، مما يدل على تأثير مصري هنا ، وقد يوحي بأن بعض جند الكتيبة من مصر . ويزيد هذا الاحتمال أن القائد المذكور يوناني الاسم (ديونيسيوس) . وقد كان منهم في مصر جالية

عظيمة . أما القديس "صلم" ، فهو صلم المعروف من مصادر أخرى بأنه إله أهل تيماء ، ويبدو أنه كان معبوداً في دومة الجندل ، فأشركه صاحب النقش في الذكر مجاملة لأهل البلد ، وكهنة الهيكل ، وهذه عادة كانت مألوفة في أيام الوثنيات[(١)] .

وسنكرر هنا ما قلناه في بداية هذا الفصل ، من أن منطقة الجوف لم تُكتشف آثارياً بالصورة الكاملة إلى الآن . وأن ما تناولناه عن آثارها ما هو إلا جزء مختصر ، ندعو من خلاله إلى بذل المزيد من الدراسات والأبحاث ، التي من شأنها كشف ما هو غامض مما بين ظهرانينا .

---

(١) من رسالة خاصة بعث بها إلينا الدكتور محمود الغول تاريخها ٢٨ شوال ١٣٨٧هـ/الموافق ١٩/١/١٩٦٨م .

أما بالنسبة للحجر الذي تحدثنا عنه ، فقد أهديناه إلى جامعة الملك سعود بالرياض ، ويوجد الآن في متحف قسم الآثار والمتاحف . وأما النقش الموجود على الحجر ، فقد كان مجال بحث بين عدد من الباحثين في الجامعة . وهناك مراجع تطرقت إلى هذا الحجر ، نحيل إليها ، وهي :

a) M. P. Speidel, "The Roman Army in Arabia", **Ausfstieg und Niedergang der romischen Welt**, (ed. H. Temporini), (1977), p. 694.

b) D. L. Kennedy, **Archaeological Explorations on the Roman Frontier in North-East Jordan**, Oxford, (1982), p.188; p.190.

c) G. W. Bowersock, **Roman Arabia**, Harvard, (11983) pp. 98-99.

الفصل الثاني

الجوف في عصور ما قبل التاريخ

تقع شبه الجزيرة العربية على حدود منطقتين مهمتين ، لهما مكانة تاريخية مرموقة بين حضارات العالم ، هما : وادي الرافدين وبلاد الشام ، من جهة ، ومصر ، من جهة أخرى . كذلك ، ازدهرت في الجزيرة العربية حضارات متميزة ، وذات أهمية ، منذ مئات الآلاف من السنين . وكانت مأهولة بالسكان ، وقد دأب الإنسان دائما على تطوير التقنيات والإمكانات المتاحة ، من أجل التوافق ومعايشة البيئة المحلية الصعبة .

وقد كانت الأدوات الأولى ، التي استخدمها الإنسان القديم في الجزيرة العربية ، مصنوعة من الحجارة والعظام والأخشاب ؛ إلا أن ما وصل إلينا من تلك الأدوات ، يتمثل في الأدوات الحجرية ، التي أسهمت طبيعة مادتها على تحمل الظروف المحيطة ، بينما تلفت الأدوات الأخرى وتحللت .

ومنذ عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م . بدأت أعمال مسح آثاري في منطقة الجوف . وقد أظهرت تلك الأعمال والدراسات وجود عدد من المواقع الأثرية المهمة ، ومن ضمنها مواقع تعود للعصور الحجرية المختلفة ، التي اكتشِف في بعضها أعداد كبيرة من الأدوات الحجرية ، تؤرخ إلى عصور مختلفة . وتُعدُّ بعض تلك المواقع من أهم المواقع الأثرية المبكرة ، في العالم القديم .

١ - العصر الحجري القديم الأسفل - العصر الحجري الحديث :

كانت المعرفة بتاريخ الاستيطان في الجوف ، قبل إجراء أعمال المسح والدراسات الحديثة ، ضئيلة جداً ومحدودة للغاية . وفي عام ١٩٥٢م ، ظهر الرأي القائل بأن الاستيطان في جنوب شرق أسيا بدأ منذ حوالي ١٠٠٫٠٠٠ سنة[١] ؛ ولم يكن هذا الرأي مؤكداً بالنسبة لإنسان الجزيرة العربية ، إذ كان هناك تخمين بأن الأراضي التي تضم حالياً المملكة العربية السعودية ، كانت مأهولة بالسكان ، منذ العصر الحجري

(١) Henry Field, Ancient and Modern in Southwestern Asia, Coral Gables, Florida, University of Miami Press, 1956, p. 164.



جذوع أشجار متحجرة عُثر عليها في منطقة الجوف ، وتوجد الآن في السديرية .

القديم الأسفل (٢٫٥ مليون سنة إلى ١٠٫٠٠٠ سنة قبل الميلاد) . وعلى الرغم من ذلك ، فإن الشواهد الأثرية الخاصة بالعصر الحجري بجملته محدودة للغاية ، إضافة إلى تناثرها في أماكن متفرقة[١] .

وفي عام ١٩٧١م ظهرت آراء قوية ومدعمة تفيد بوجود آثار للاستيطان في الجزيرة العربية منذ العصر البلايستوسين (Pleistocene) ، (الحقبة من الفترة الرابعة ، التي تبدأ من حوالي ٢ مليون إلى ١٠٫٠٠٠ سنة قبل الميلاد)[٢] .

---

(١) Ibid., p.103 .

(٢) Harold A. McClure, The Arabian Peninsula and Prehistoric, Coconut Grove, Florida, Field Research Projects, 1971, P. 72. The definition of "Pleistocene" is from The Macmillan Dictionary of Archaeology, london,1983, p. 397.

وقد لوحظ أن الرأي في كلا الحالتين ، السابق ذكرهما ، كان عاماً واستعراضياً ؛ بمعنى أنه كان يُعطي تصنيفاً واسعاً عريضاً ، من دون ذكر فترات زمنية محددة .

وبعد بداية برنامج المسح الأثري ، وخلال تقديم نتائج الموسم الأول ، أظهرت النتائج أن الجزيرة العربية كانت قد استوطنت بالسكان بشكل كثيف في وقت مبكر يرجع إلى ١٥٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد[١] . وقد بُني هذا الرأي على اكتشاف أعداد من المواقع ، على طول الحافة الشمالية لصحراء النفود ، حيث سُجلت هناك أقدم أدلة الاستيطان[٢] .

وفي العام التالي ١٩٧٧م ، اكتُشف موقع جديد (موقع الشويحطية) ، في الركن الشمالي من حوض الجوف - سكاكا ، وعُدَّ أقدم موقع أثري في المملكة العربية السعودية ، وواحداً من مواقع عصر البلايستوسين الأسفل ، المعدودة في غربي قارة آسيا . وقد جُمع من هذا الموقع ، الذي وجد على امتداد أحد الروافد في وادي الشويحطية ، بالقرب من قرية الشويحطية ، ٩٧ أداه بطريقة عشوائية ، منها ٥٧ مصنوعة من حجر الكوارتز ، على شكل أدوات ورقائق مشذبة تغطيها طبقة خضراء تدل على القدم . وتعد تلك الأدوات هي الأقدم ، التي اكتُشفت في المملكة العربية السعودية . ولا يوجد مثيل لمجموعة الأدوات هذه ، بين المجموعات الأخر التي وجدت في المملكة . وقد صُنّفت مبدئياً على أنها تعود إلى العصر الأشولي الأسفل ، أو ربما ما قبل الأشولي ، إلا أنها ترجع إلى العصر الحجري القديم الأسفل (Lower Polaeolithic)[٣] .

وعلى ضوء الأهمية ، التي أظهرتها الاكتشافات في هذا الموقع ، في الأوساط العلمية المعنية بالآثار ، فقد فحصت تلك الأدوات ، التي عُثر عليها في الموقع ، بعد ثلاث سنوات تالية ، فأعطت نتائج شديدة الأهمية ، على الرغم من محدودية العينة المفحوصة .

---

(١) Abdulloh H. Masry, "The Historic Legacy of Saudi Arabia" , ATLAL vol. 1, p.11 .

(٢) Ibid., p. 10 .

(٣) See parr, p. 34; WHALEN, A Lower Pleistocene Site near Shuwayhitiyah , p. 94 .

وفي عام ١٤٠٥هـ١٩٨٥/م ، زار الموقع فريق مكلف من قبل إدارة الآثار ، ومكثوا فيه مدة شهرين لعمل دراسة مكثفة عنه . وقد جُمع من ١٦ موقعاً مختلفاً ، ١٨٨٤ عيّنة من الأدوات ، من بينها أدوات كانت تستخدم في إنجاز الأعمال الكبيرة ، مثل : (السواطير ، وأدوات منشوريه الشكل ، وأدوات كروية الشكل ، وأقراص ذات وجهين ، ومكاشط ، وأزاميل ، ومقوار ، وحفار ، ومطرقة حجرية ، ورقائق . . . . . الخ) . ومن بين الأدوات التي جُمعت ، فهناك ١٥١٧ أداة تعود إلى عصر مبكر جداً ، بينما ٣٦٧ أداة تعود إلى عصر أحدث من السابقة . وكانت المادة المصنوعة منها تلك الأدوات ، هى حجر الكوارتز للأدوات القديمة ، وحجر الكوارتز والصوان أو الحجر الجيري للأدوات الأحدث عهداً . وقد صُنّفت الأدوات القديمة على أنها تمثل مرحلة تطور الألدوان (Aldowan) ، لأنها تتجانس مع حضارة ذلك العصر .

وقد توصلت نتائج دراسة الأدوات ، إلى أن موقع الشويحطية ينظر إليه على أنه يمثل مرحلة عصر الألدوان (ب) المتطور ؛ وأنه يعود إلى زمن يتراوح ما بين ٣ر١-٠٠ر١ مليون سنة مضت ، وبذلك يُعدُّ أقدم موقع أثري يكتشف في المملكة العربية السعودية . كما يعد من أقدم المواقع الأثرية في غربي آسيا ، مسجلاً ظهور الإنسان غير العاقل المبكر (Early Homo Erectus) ، في غربي آسيا ، في عصر مبكر من تاريخ إنسان عصر ما قبل التاريخ . أما الاكتشاف الآخر في الموقع ، فقد تمثل أن الموقع ظل مستوطناً ، من قبل الإنسان ، حتى العصر الأشولي ، وفترة ما قبل العصر الحجري الحديث[1] .

كذلك ، ظهرت مواقع أثرية ، تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط في الجوف ؛ ومن أهم المواقع ، التي تعود للعصر الحجري القديم والوسيط ، تلك التي عُثر عليها في الركن الجنوبي الشرقي لحوض الجوف - سكاكا ، بالقرب من النهاية الشمالية لصحراء النفود ، التي تغطي مساحة تقدر بعدة كيلو مترات مربعة . وقد استخدمت مادة الصوان ، التي جُلبت من الهضبة القريبة ، في صناعة الأدوات . وتتكون معظم مجموعة

---

(١) Whalen, A Lower Pleistocene Site near Shuwayhitiyah , pp. 94-100 .

الأدوات من الرقائق واللب[١] ، كذلك وجدت أدوات موستيرية ، تعود للعصر الحجري القديم الأوسط ، بشكل كثيف في المنطقة[٢] .

أما الفترات المتفرقة ، من العصر الحجري القديم الأعلى وما قبل العصر الحجري القديم ، فلم يعُثر في الجوف على أدلة استيطان تعود إلى تلك العصور المبكرة ، شأنها في ذلك شأن بقية مناطق الجزيرة العربية الأخرى ، التي لم تخلّف أدلة ثابتة . ويمكن الافتراض أن هذه الصورة ترجع إلى العصر الجليدي المتأخر المسمى (Glacial aridity c.15.13000 bp.) في صحراء الشرق الأدنى[٣] .

وتُعدّ المواقع ، التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث قليلة جداً ، في الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية . وقد سجلت بعض أدلة الاستيطان على بعض المرتفعات المكونة من الأحجار الجيرية ، في وادي عرعر شمال شرقي سكاكا ، حيث توجد مجموعة من الأدوات الحادة ، بعضها منشوري الشكل ، وبعضها الآخر مشذب الحواف . كما توجد بعض أدوات الحفر ، كالأزاميل وبعض الفؤوس . ولم توجد أية آثار معمارية تتصل بالعصر الحجري الحديث في هذه المواقع ، التي ترجع إلى الألف الرابع قبل الميلاد[٤] .

وقد وجد بالقرب من سلسلة جبال الطويل ، جنوبي دومة الجندل ، عددٌ من مواقع العصر الحجري الحديث ، حيث عُثر على أدوات حجرية تمثل مكاشط رؤوس سهام غاية في الدقة ، وبعض المنشآت المعمارية كالدوائر الحجرية[٥] .

٢ - الدوائر الحجرية :

وجدت في منطقة الجوف العديد من الدوائر الحجرية ، ذات الأشكال والأحجام

---

(١) Parr, pp.34-35 .

(٢) Ibid., p.35 .

(٣) Ibid., pp.35-36 .

(٤) Ibid., p. 36 .

(٥) مشاهدات الاستاذ حسين الخليفة .

المختلفة ، التي استخدمت في تصميمها تقنيات مختلفة . ومن المحتمل أن تكون هذه الدوائر قد صنعت للاستخدام كزرائب للمواشي ، أو أنها كانت بقايا جدران قرى . ويعود تاريخها إلى العصر النحاسي ، أو إلى بدايات العصر البرونزي ، إذ إنَّ الأدوات المكتشفة تماثل تلك الأدوات ، التي حدد تاريخها في مواقع الأردن وفلسطين بالعصر النحاسي . وفي منخفضات وادي عرعر ، شمال شرقي سكاكا ، عُثر على دوائر حجرية ، وجد فيها أدوات صوانيه تؤرخ إلى الألف الرابع ، أو بداية الألف الثالث قبل الميلاد . ويمثل أحد تلك المواقع نموذجاً لمجمع صغير ، يتكون من ١٦ مبنى صغيراً ، كما يوجد مجمع أكبر لتلك الدوائر الحجرية . ومع ذلك فان هذا النوع من المواقع يُعدُّ نادراً . وقد عُثر على قريتين من قرى الدوائر الحجرية ، في جنوب وادي السرحان ، إحداهما تقع على بعد ٤٠ كيلو متراً من دومة الجندل ، وتشغل مساحة ١٥٠×١٠٠م على هضبة من الحجارة الرملية ، يصل ارتفاعها إلى حوالي ٧٥م أعلى المنخفض ، وتشتمل على أكثر من ٥٠ من تلك الدوائر الحجرية ، التي يتراوح قطر كل منها بين ٨ إلى ١٠ أمتار ؛ بينما توجد القرية الثانية على بعد حوالي ٢٥ كم من دومة الجندل ، على قمة ثلاث رواب في طرف الوادي ، وهي أكبر من القرية الأولى . وقد عُثر فيها على أكثر من ١٠٠ دائرةً حجرية . وفي كلا الموقعين ، عُثر على الكثير من الأدوات الحجرية ، ولعل أكثرها إثارة تلك الرماح والحراب ، التي تشتمل على مفصلات لها حزوز ، وتعود صناعتها إلى تقاليد العصر النحاسي في فلسطين وسيناء ، ويعود تاريخها إلى الألف الرابع ، وربما امتدت إلى الألف الثالث قبل الميلاد[١] .

٣- الرجوم الصخرية :

تحتوي منطقة الجوف ، إضافة إلى منشآت الدوائر الحجرية ، على نمط آخر من المنشآت الحجرية يتمثل في الرجوم الصخرية ، وبأعداد كبيرة . وتوجد هذه المنشآت ، عادة ، على سفوح وقمم الجبال والمرتفعات الصخرية . وتؤكد الأدلة الأثرية على أن هذه الرجوم تعود

---

(١) Parr., p. 36 .

إلى فترات زمنية متباينة . وفي عام ١٣٩٦هـ١٩٧٦/م ، اكتُشف أحد هذه الرجوم بالقرب من قرية (كافٍ) ، في الجزء الشمالي من وادي السرحان ، وثبت أنه قبر يعود للعصر الحديدي ، ويؤرخ تحديداً للقرن السابع قبل الميلاد(١) .

٤- العصر النحاسي -العصر البرونزي- العصر الحديدي :

مَهَّدَ الاستيطان خلال العصر الحجري الحديث في منطقة الجوف ، لخضوع المنطقة إلى مرحلة جديدة ، تمثلت في العصر النحاسي حتى العصر البرونزي ، الذي استمر طوال الألف الرابع قبل الميلاد . ومن أبرز مواقع هذه المرحلة موقع الرجاجيل ، جنوبي سكاكا ، و موقع الدوائر الحجرية والمدافن الركامية ، و الفنون الصخرية . وعلى الرغم من أن الفنون الصخرية تعود جزئياً إلى العصر الحجري الحديث ، لذلك سوف تناقش تحت موضوعٍ مستقلٍ .

٥- موقع الرجاجيل :

يُعد موقع الرجاجيل أحد المواقع الأثرية المهمة ، التي تعود إلى هذه المرحلة الحضارية . وتقع الرجاجيل على مسافة ١٠كم إلى الجنوب الشرقي من سكاكا ، على الحافة الشمالية لصحراء النفود . ومن أبرز معالم هذا الموقع مجموعات الأعمدة الحجرية القائمة ، ومعظمها ساقطة أو محطمة . ويوجد في الموقع أكثر من ٥٠ مجموعة من تلك الأعمدة يتراوح عدد أعمدتها ما بين عمودين إلى تسعة أعمدة ، ويختلف ارتفاع كل عمود وعرضه ؛ فمنها ما يصل ارتفاعه إلى ٣,٥م وعرضة ٧٥ سم . ومن المظاهر الأقل أهمية في الموقع ، أن معظم مجموعات الأعمدة ترتبط ببناء شبه بيضاوي ، أو على شكل حرف(D) ، تمثل مجموعة الأعمدة الضلع المستقيم فيه ، بينما الأجزاء الأخرى مشيدة بالحجارة(٢) . وهناك أيضا ظاهرة غير ملحوظة ، ولكنها حقيقية ومهمة ، وهي أن هذه الأعمدة قد نُصبت على خط مستقيم ، على محور ماراً بالأعمدة متجهاً من

---

(١) Parr., p. 40 .

(٢) Jurins Zarins, "Rajajil: Aunique Arabian Site From the Fourth Millennium B.C.", ATLAL, vol. 3, pp.73-74



أعمدة الرجاجيل الحجرية في موقع الرجاجيل بالجوف

الشمال إلى الجنوب ، وتواجه مجموعة الأعمدة اتجاه الشرق[١] .

ومن خلال التنقيب في إحدى مجموعات الأعمدة والجدران الحجرية الواقعة خلفها ، لم يعُثر على أية آثار لقبور ؛ كذلك لم توجد شواهد تدل على أنها كانت تستخدم كأماكن للمعيشة ، مما يجزم بأنها لم تكن تخدم أي غرض دنيوي ، وإنما كانت أماكن لتجمعات عرقية مختلفة ، من أجل إقامة طقوس اجتماعية ودينية خاصة بهم[٢] .

وجد على عدد من الأعمدة الحجرية وسوم القبائل العربية ، إضافة إلى عدد من النقوش الثمودية[٣] . ومن خلال الأدوات الحجرية والكسر الفخارية ، التي وجدت في الموقع ، فإن هذا الموقع المتميز المهم أَرَّخَ لمنتصف الألف الرابع قبل الميلاد ، وتحديداً للعصر

---

(١) Ibid., p. 74 .

(٢) Ibid., pp. 74, 76. ; Al-muaike, k., Archaeology of The Jawf, pp. 6-8 .

(٣) Winnett and Reed, Anacient Recordr, p. 12 .

لقطتان لأعمدة الرجاجيل الحجرية في موقع الرجاجيل بالجوف .

النحاسي . لذلك ، فإن موقع الرجاجيل يُعد موقعاً أثرياً فريداً ، في أرض المملكة العربية السعودية[١] . وقد يجد الزوار الغربيون للموقع ، تشابهاً بينه وبين موقع ستونهنج (Stonehenge) في إنجلترا ، الذي يؤرخ للألف الثالث قبل الميلاد . ولا توجد أدلة أثرية حتى الآن يمكن نسبتها لفترة موقع الرجاجيل ، سوى ما سبق ذكره ، وهي فترة نهاية الألف الرابع إلى بداية الألف الثالث قبل الميلاد .

وقد وصف يوريس زارينس (Juris Zarins) في مقالة خاصة ، تلك الحقبة الغامضة في عملية الاستيطان المستقر ، حيث ذكر إنه بعد اختفاء الأجناس ، التي كانت مستقرة خلال العصور النحاسية – البرونزية ، ظهرت فجوة عميقة في السجلات الأثرية لمنطقة الجوف ، وجرى تخمين ما حدث في هذه الفترة من الألف الثاني قبل الميلاد ، بأنها كانت تتزامن مع بداية ظهور الإبل المستأنسة ، في منطقة هضبة الجوف – سكاكا ، وتزايد التصحر . وخلال هذه الفترة ظهرت بواكير البدو في المنطقة[٢] .

وقد كان توالي الاستيطان في منطقة الجوف ، خلال فترة القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، جزءاً مهماً من تاريخ المنطقة ، الذي تحدثت عنه المصادر الآشورية . (وهذا ما سيتم طرحه مفصلاً في الفصل التالي من الكتاب) .

في عام ١٤٠٦هـ ، عُثر في مجس ، حُفر داخل الحي القديم بدومة الجندل ، على كسرة فخار مرسوم على هيئة شبكة ؛ كذلك ، عُثر على كسرة مشابهة بالقرب من قلعة زعبل . ويعود هذا النوع من الفخار المرسوم ، إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد[٣] .

بالإضافة إلى ما سبق فان الأعمال المستقبلية في بعض المواقع مثل دومة الجندل مطلوبة لتحديد وتوثيق المعلومات الواردة في المصادر الآشورية .

وتعد الفترة الواقعة بين العصر الهلينستي (بداية القرن الرابع ق .م .) ، حتى نهاية

---

(١) Zarins, Rajajil, pp.73, 75 .

(٢) Zarins, The Prehhistory of the Jowf-Sakaka Area , 1977, Al-Sudairi Foundation MSS .

(٣) Al-Muaikel , Archaeology of The Jawf, pp. 216,217 .

فترة ما قبيل الإسلام ، مهمة للغاية في بناء التسلسل الحضاري لمنطقة الجوف ، حيث عُثر على مواد حضارية تعود للفترة النبطية والرومانية والبيزنطية ، على نطاق محدود في دومة الجندل . وتؤكد هذه المواد استمرار الوجود السكاني فيها ، خلال هذه الفترات . وكذلك يدل على الوجود النبطي في الجوف ، تلك الأعداد الهائلة من النقوش النبطية المكتشفة في المنطقة[1] .

٦ - الرسوم الصخرية :

تُعد الرسوم الصخرية آثاراً ثقافية وحضارية مهمة ، تعود إلى العصور الحجرية وما بعدها . وهي فنون ثقافية ، وجدها بكثرة فريق مسح النقوش التابع لإدارة الآثار والمتاحف ، أثناء زيارته لتلك المواقع ، عام ١٤٠٥هـ١٩٨٥/م . فقد عُثر على ١٠٣٧٤ لوحة من الرسوم الصخرية والنقوش ، أغلبها في منطقة حوض الجوف - سكاكا ؛ منها ١٤٠٩ نصوص منقوشة ، بينما باقي اللوحات عبارة عن رسوم صخرية[2] . وكانت اللوحات ، التي تعود للعصر الحجري الحديث والعصر النحاسي ، محدودة العدد ، إذ لم يعُثر إلا على أربع لوحات تعود للعصر الأول ، وسبع أخرى تعود للعصر الثاني . وهذا يدل على ندرة الاستيطان ، وقلة الأنشطة الإنسانية ، خلال تلك العصور الحضارية[3] .

يتميز فن الرسوم الصخرية ، التي تعود للعصر النحاسي ، بالأشكال البشرية ذات الشعور على هيئة المشط ؛ وكذلك الأبقار ذات الأبدان المربعة والمستطيلة ، والقرون القصيرة . كما وجدت رسوم صخرية تعود للعصر الحديدي ، على نطاق كبير . وكانت هذه الرسوم محيرة لعلماء النقوش ، بسبب نتائج أعمال مسح المواقع الأثرية ، التي أظهرت ندرة الموارد ، التي تعود للعصر البرونزي والحديدي . وقد أشار هؤلاء العلماء إلى عدم قدرتهم حل هذه المعضلة ، وأعلنوا أنهم ليس لديهم أية براهين أو إثباتات ، تدل

---

(١) المعيقل ، الذييب ، الآثار والكتابات النبطية في الجوف ، ص ص ٨٥-٢١٠ .

(٢) Khan, p. 93 .

(٣) Ibid., pp.88, 91-92 -24 Ibid., p. 91

على تتبع كيف ومتى بدأ الاستيطان البشري في تلك المنطقة في العصر الحديدي ، ومن أين أتى هؤلاء السكان[١] .

ومن خلال ملاحظة الاختلافات ، بين الفن الصخري في منطقة الجوف ، ونظيره في المنطقة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية ، خاصة في منطقة تبوك ، تبين أن سكان منطقة الجوف كانوا خليطاً من مجموعة من السكان ، لهم عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم ومبادئهم الاجتماعية والثقافية . وكانوا مستقلين تماماً عن نظرائهم سكان المنطقة الشمالية الغربية ، من الجزيرة العربية .

وقد ظهر في أحد النقوش ، التي عُثر عليها في شمال غرب سكاكا ، منظر لشخصين يرتديان الملابس الرومانية والقبعات . إلى جانب بعض النقوش والكتابات النبطية حولهما . وقد عَزَّزَ ذلك القول بأن النفوذ النبطي ، كان له تأثير واضح على الثقافة المحلية للمنطقة[٢] .

وتُعدُّ أبرز صور الحيوانات الممثلة في الرسوم الصخرية ، هي : الإبل المستأنسة والمتوحشة ، والنعام ، والأسود والخيول ، بينما كانت صور الأبقار نادرة . كما أن مناظر الصيد قليلة جداً ، عدا في المنطقة الواقعة في جنوب الطوير ، فقد اشتملت على عدد كبير من مناظر صيد النعام . كذلك وجد في منطقة الطوير ، مئات من مناظر الصيد يظهر فيها الفرسان على خيولهم مدججين بالرماح الطويلة ، ويهاجمون أعداءهم ، كما ظهرت الوسوم الخاصة بالقبائل مع الفرسان[٣] .

ويوجد وصف لبعض مواقع الرسوم الصخرية والنقوش في منطقة الجوف ، في الفصل الثاني عشر ، من الجزء الثالث .

---

(١) Ibid, pp.88, 91, 92

(٢) Khan, p.84 .

(٣) Ibid., p.83, 87-89 .

الفصل الثالث

الجوف في عصور ما قبل الإسلام

١ – مملكة أدوماتو

ظهرت منطقة الجوف على مسرح التاريخ المدون في العهد الآشوري . وهناك نصوص مكتوبة ومفصلة تتحدث عنها ، تعود إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد . وتقدم هذه النصوص صورة العلاقات السياسية ، بين هذه المنطقة وبين الأجزاء الأخرى من العالم القديم . وتشير المصادر الآشورية إلى دومة الجندل بـ (أدوماتو) ، أو (أدومو) ، كما تشير إلى وقوعها ضمن ممتلكات قبيلة قيدار العربية .

وتتحدث المصادر الآشورية عن الجوف ، من خلال حديثها عن الغزوات الآشورية لشمالي الجزيرة العربية . وكانت هذه الغزوات حصيلة للتحركات الآشورية المتواصلة ، التى أدت إلى السيطرة على معظم أجزاء المشرق ، في تلك الفترة .

وتتحدث النصوص الآشورية عن دومة الجندل ، عاصمة لعدد من الملكات العربيات ، وتخص بالذكر كلاً من (تلخونو) ، و (تبؤه) ، أو (تاربوا) . وأشير إلى الملكات الأخريات بالاسم ، مثل (زبيبة) ، و (سمسي) ، و (اياتي) ، وقد أشير إلى هؤلاء الملكات بعبارات عامة ، كملكات عربيات دون تسمية العواصم . وتصف تلك النصوص الملكة (تلخونو) بأنها كانت كاهنة الآلهة (دلبات) ، التي كان الناس في دومة الجندل يعبدونها ويلقبونها ب (اتارسامين) ، والتي كانت تعرف باسم (اشتار) في بلدان أخرى . ومن المرجح أن هذه الصفة كانت تعم جميع الملكات السالف ذكرهن .

يقول (وينت) و (ريد) في كتابهما[١] :

"وقد كان لهؤلاء الملكات أكثر من مجرد سلطة دينية ، لأن (تغلت بلاسر الثالث ٧٤٤–٧٢٧ق .م) ، و (سرجون الثاني ٢١–٧٠٥ ق .م) ، فى ذكرهما للجزية ، التى أرسلها لهما ملوك الدول المجاورة ، يضعان الملكة (سمسي) على مستوى واحد مع فرعون مصر ، و (آن آمار) السبئي . وهذا المركز الرفيع ، الذي تمتعت به ملكات دومة الجندل ،

---

(١) Musil, **Arabia Deserta**, p. 477 .

يمكن أن يفسره القول بأن الآلهة (دلبات) ، أو (اشتار - اتارسامين) ، كانت لها تبعية وامتياز عظيمان في شمال شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت . ومن المعروف أنه كان (لدلبات) معبد هام في دومة الجندل . وتذكر النصوص أن (اسرحدون ٦٨٠ - ٦٦٩ ق .م) أرسل للمعبد نجمة من الذهب الأحمر مزينة بالأحجار الكريمة ، رغبة منه في كسب ود العرب وصداقتهم" .

ويبدو أن طابع العلاقات الودية لم يكن الطابع المستديم ، الذي يحدد نوع العلاقة بين مملكة (أدوماتو) ، وملوك الآشورين . فيُفصّل الواس موسيل نوع العلاقة بين الآشوريين والملكات العربيات ، فيقول[١] :

"وفي عام ٧٣٢ قبل الميلاد خاض (تغلات بلسر) ، حرباً ضد الملكة (سمسي) ، وهى



لقطة لحي الدرع بدومة الجندل ويظهر الحي القديم مع مئذنة مسجد عمر

(١) Winnett and Reed, **Ancient Records**, p.72 .

ملكة أخرى من ملكات العرب ، لأنها حنثت بيمينها ، وكفرت بالعهد الذي قطعته للآلهة (شماش) بألا تتعرض للآشوريين بسوء ، وأن تخلص لهم . فانتصر عليها واستولى على مدينتين من مدنها ، وتغلب على معسكرها فلم يبق أمامها غير الخضوع والاستسلام ، وتأدية الجزية جمالاً ونوقاً . ويبدو أن هذه الملكة قد سبق لها الانضمام إلى ملك دمشق ، في معارضته للآشوريين ، فتعرضت لقوافل آشور ، وجهز الملك حملة عسكرية تغلبت عليها . ولضمان تنفيذ مصالح الآشوريين ، قرر الملك تعيين (قيبو) أي مقيم ، أو مندوب سام آشوري لدى بلاطها ، لإرسال تقاريره إلى الحاكم الآشوري العام ، عن نيات الملكة واتجاهات الأعراب وميول قبيلتها ، وربما أثارت (سمسي)نقمة الملك الآشوري عليها ، بمساعدتها لملك دمشق . أما المدن التي فتحها الملك الآشوري بعد سقوط دمشق ، فتقع على امتداد الحدود الجنوبية الشرقية للمدينة ، وربما على طريق القوافل جنوب حوران . وشأن هذه المدن شأن المستوطنات ، التي كانت واقعة بين المناطق الزراعية والصحراء . فقد كانت تعد من ضمن أملاك الملكة (سمسي) . وكان على المقيم السامي ، الذي عينه (تغلات بلاسر) في إحدى هذه المدن ، أن يرسل تقاريره عن المملكة واتباعها" .

وقد ذكر النص الآشوري أن الملكة أصيبت بخسائر فادحة جداً ، قال إنها بلغت ألف ومائة رجل ، وثلاثون ألف جمل ، وعشرون ألفا من الماشية . وهى أرقام يعتقد أنه مبالغ فيها .

وقد دعّم خبر الانتصار هذا ، بأن نقش على اللوح ، الذي ورد فيه الخبر ، منظر فارسين آشوريين يحملان رمحين ، ويتعقبان أعرابياً راكباً جملاً ، وتحت أعقاب الفارسين وأمامهما جثث الأعراب ، الذين خروا صرعى على الأرض . وصور شعرهم طويلاً وقد عقد إلى الوراء ، أما اللحى فكثة وأجسامهم عارية ، إلا من مئزر شُدَّ بحزام . ولم يفت الفنان أن يُظهر الأعرابي الراكب ، قريباً جداً من الفارسين ، ماداً يده اليمنى إليهما ، متوسلا ومسترحماً ومستسلماً .

وصوّرت الملكة (سمسي) حافية ، ناشرة شعرها ، تحمل جرة بعد أن أضناها الجوع والتعب ، في فرارها إلى (بازو) ، وقد خارت قواها المعنوية .

كما ورد في الكتابة الآشورية ، أن الملكة أرسلت وفدا إلى ملك آشور لمصالحته واسترضائه ، ضم عددا من سادة قبيلتها وأتباعها ، منهم (يربع) ، وكان رئيس الوفد ، و (خترنو) ، و (جبنو) ، و (تمرنو) ، وهي أسماء عربية لا غبار عليها .

ووجّه الأشوريون اهتمامهم إلى شمال الجزيرة العربية ، مرة أخرى ، فيما بعد . فقد ذُكر أن الملك الآشوري (سنحاريب) هجم على دومة الجندل ، في القرن السابع قبل الميلاد . ويفهم من أنباء الانتصارات التي سجلها (سنحاريب) لنفسه ، أنه قام في حوالي سنة (٦٨٩ ق .م) على التابعين للملكة (تلخونو) ملكة العرب ، وعلى الملك (خزائيلي) ملك القيداريين ؛ فسارت جيوشه في اتجاه (أدوماتو) ، فتغلبت على العرب وعلى القداريين ، ولم يُبيّن الجهة التي هاجم منها (سنحاريب) دومة الجندل . إلا أن بعض المؤرخين يذكر أنه هاجمها من إقليم بابل ، لأنه يرى أن سلطان الملكة (تلخونو) كان يشمل منطقة واسعة ، تمتد من دومة الجندل إلى حدود بابل ، لأن أعرابها كانوا يشترون ويبتاعون الطحين والملابس والمواد الضرورية الأخرى من بابل ، فيسلكون البادية . ومن هذه البادية كانت تصل قوات الملكة والإمدادات لها إلى بابل ، لمساعدتها في متابعة مقاومتها لآشور[١] .

فاشتركت الملكة في حرب ، على حين هاجم فريق آخر من أتباع الملكة المقاطعات الآشورية في بلاد الشام . فلما تغلب (سنحاريب) على بابل ، وانتصر عليها في سنة ٦٨٩ ق .م ، تفرغ لمحاربة الملكة والانتقام منها . فأمر قواته بالضغط على اتباع الملكة وتعقبهم لحفظ الحدود ؛ ثم حاصر دومة الجندل حتى تغلب عليها ، وانتصر على هذا المعقل الذي التجأ إليه أتباع الملكة وغيرهم ، للخلاص من الآشوريين .

ويتضح من النصوص الآشورية ، أن خلافاً وقع بين الملكة (تلخونو) ، والملك

---

(١) Musil, Arabia Deserta, pp. 480-481 ; Al-Muaikel, **Archaeology of The Jawf**, pp. 13-15.

(خزائيلي) . وقد تُعزى أسباب هذا الخلاف للهزيمة ، التي أحاقت بهما ومحاصرة (سنحاريب) لهما في دومة الجندل .

وقد كان (خزائيلي) -على ما يظهر- هو الذي تولى قيادة الجيش ، وتنظيم خطط الدفاع والهجوم . فسببت الهزائم التي حلت بهما غضب الملكة عليه وعلى سوء قيادته . ولعلهما اختلفا أيضا بسبب محاصرة دومة الجندل . وأمْر الدفاع عنها أو عدمه . ومهما يكن من أمر ، فقد استسلمت الملكة (تلخونو) للآشوريين ، وتغلبت جيوش (سنحاريب) على هذا المعقل ، وأخذت الأصنام أسرى إلى (نينوى) . كما أخذت الأميرة تبؤه (Tabua) أسيرة إلى عاصمة آشور ، لتُربى هناك تربية يرضى عنها الأشوريون ، ولتهذب تهذيباً سياسياً خاصاً يؤهلها أن تكون ملكة على العرب[١] .

أما (خزائيلي) ، فقد تمكن من فك حصار الآشوريين على دومة الجندل ، والاعتصام مع أتباعه في البادية ، حيث لم يكن في مقدرة (سنحاريب) مطاردتهم وإيقاع الخسائر بهم . وبقي في هذه البادية طوال حياة (سنحاريب) . فلما توفى هذا الملك وانتقل المُلك إلى ابنه (اسرحدون) وزالت أسباب الجفاء ، قصد (خزائيلي) نينوى لمقابلة الملك الجديد ، ومعه هدايا كثيرة سُرَّ بها الملك . واستقبله بلطف ورعاية وسلمه الأصنام الأسيرة[٢] . وهذه الأصنام هى (دلبات) و(دايا) و(نوهيا) و(ابيريلو) و(عثر قرمي) .

ومع أن (دلبات) أو (اتارسامين) كانت هي الآلهة الرئيسة لدومة الجندل ، وربما لشمالي شبه الجزيرة العربية كلها بشكل عام ، فقد كانت للأصنام الأخرى تبعية أيضا ، واستمرت عبادتها إلى ما بعد العصر الآشوري[٣] .

وفي أثناء وجود تلك الأصنام في الأسر ، أصيبت ببعض التلف ، فَمَنّ (اسرحدون) عليها بالأمر بإصلاح ما أصابها وإعادتها إلى ما كانت عليه . ثم أمر بإرجاعها إلى

---

(١) Al-Muaikel, **Archaeology of The Jawf**, pp. 14, 15

(٢) د . جواد على ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت وبغداد سنة (١٩٧٢) ، ج ١ ، ص ٥٩٢ .

(٣) Winnett and Reed, **Ancient Rrceards**, p.72 .

(خزائيلي) ، بعد أن نقشت عليها عبارات تفيد تفوق آلهة آشور ، على تلك الأصنام . وبعد أن نقش عليها اسم الملك ، وأراد (اسرحدون) تنصيب تبؤه (Tabua) ، التي تربت تربية آشورية ملكة على (اريبي) أي الأعراب ، ليضمن بذلك فرض سلطان آشور عليهم . وهو حلم قد تحقق ولكنه لم يدم طويلاً ، لأن العداوة بين الآشوريين والعرب كانت عميقة ، لا يقضى عليها منح تاج أو تنصيب ملك أو ملكة .

واعترف (اسرحدون) بأن يُبقي (خزائيلي) ملكاً على قبيلة قيدار ، مقابل أتاوة يدفعها قدرها خمسة وستون جملاً . فلما توفى (خزائيلي) سنة ٦٧٥ ق .م ، اعترف (اسرحدون) بابن خزائيلي (يتع) ملكاً مكان أبيه ، على أن يدفع أتاوة سنوية كبيرة ، مقدارها : ألف مقدار من الذهب ، وألف حجر كريم ، وخمسون جملا . وقد رضى الابن بذلك على أمل أن يُنعم عليه بتاج ، كيفما كانت الشروط .

غير أن الأمور أتت على غير ما يُتوقع لها ، إذ ثار شعب يتع عليه رافضاً أن يخضع لرجل فُرض عليه فرضاً ، وأبى قبوله ملكا عليه . وثار وعلى رأسه الزعيم (أوبو – وهبو – وهب – أوب (Uaabo) ثورة عارمة ، للتخلص من يتع ، ومن سلطان الآشوريين . فأثار ذلك غضب الآشوريين ، فأرسلوا جيشاً لإخماد هذه الثورة ، فأطفأها وأسر (أوبو) ، وأُخذ إلى (نينوى) . إلا أن الانتصار عليه لم يقض على مقاومة العرب للآشوريين ، وثورتهم عليهم . فقاد (يتع) الثورة هذه المرة ، ورفع راية الحرب ضد الآشوريين . وغزا هو وأتباعه حدود الامبراطورية الآشورية المحاذية للبادية ، مما اضُطر الآشوريون إلى تجهيز حملة جديدة انتصرت على (يتع) ، وهاجمت مضاربه وأخذت الأصنام معها أسيرة للمرة الثانية . أما (يتع) فقد فر وحيداً إلى أصقاع بعيدة ، يصعب على الآشوريين التوغل فيها للوصول إليه .

ثم تبع حملات الآشوريين على دومة الجندل ، والقبائل المجاورة لها ، حملات شنها البابليون ، مثل الهجوم الذي شنه ملك البابليين (نبوخذ نصر) على قبيلة قيدار[1] ،

---

(١) Winnett and Reed, **Ancient Records**, p.72 .

والحملة التي جهزها الملك البابلي (نابونيد ٥٥٦/٥٣٩ ق .م) ، حين وجّه في السنة الثالثة من حكمه ، حملة على دومة الجندل ، وسار منها إلى تيماء ، التى اتخذها مقراً له . وقد أمضى بها عشر سنوات ، وابتنى بها (الأبلق) ، وهو قصر ضخم كالقصر الذي في بابل . وبقي (نابونيد) في تيماء حتى اضطر إلى تركها ، والعودة إلى بابل بعد اقتراب الفرس ، الذين أصبحوا يهددون أملاكه في العراق . وقد تمكن الفرس من قهره في عام ٥٣٩ ق .م . ويبدو أن الملك الفارسي (قورش) قد سيطر على بعض القبائل العربية قبل انتصاره البابلي . ومع هذا فإن المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) يستنتج ، أن الفرس لم يخضعوا العرب أبداً ولكنهم كانوا ، دائماً ، على علاقات طيبة معهم ، وأنهم تعاونوا معاً في الحملة على مصر .

ويقول (وينيت) و (ريد) ، إن دومة الجندل ربما خضعت لحكم الفرس ، ولكنه يخلص أخيراً إلى أنه لا يوجد دليل يؤيد ذلك[١] .

٢ – منطقة الجوف من القرن الثالث إلى القرن الخامس الميلاديين

من الصعب القول برواية محددة وواضحة ، عن منطقة تفتقر إلى سجلات مكتوبة ، أو شواهد أثرية . ونشعر بهذا النقص ، بين حين وآخر ، عند تناول تاريخ منطقة الجوف . ويبدأ الانقطاع في السجلات ، التي تروي التسلسل التاريخي للمنطقة في العهد الفارسي ، وتمضي قرون قبل أن تظهر الجوف على المسرح التاريخي مرة أخرى . ومع هذا ، فإن الأمل في أن تؤدي الأبحاث الأثرية التي من الممكن القيام بها في المنطقة ، إلى ملء بعض الثغرات ، التي تبرز في السجلات المكتوبة .

تبدأ الإشارة إلى دومة الجندل في القرن الثالث الميلادي ، في عهد الملكة العربية الشهيرة (زنوبيا) ، التي حكمت تدمر ما بين ٢٦٧–٢٧٢م . ويبدو أن هذه الملكة غزت دومة الجندل ، ولكن قلعة المدينة كانت حصينة بحيث لم تتمكن الملكة من اقتحامها ؛

---

(١) Winnett and Reed, **Ancient Records**, pp. 72-73 .

فارتدت خائبة وقالت قولها الشهير : "تمرد مارد وعزَّ الأبلق" ، و"مارد" هذا هو قصر مارد في دومة الجندل ، قصر "الأبلق" هو قصر مشهور في تيماء . ويمكن الاستنتاج من هذا القول إن دومة الجندل وقلعتها في أيام (زنوبيا) ، كان لهما من المنعة والقوة ما دحر قوات الملكة .

وتظهر المدينة مرة أخرى في السجل التاريخي في القرن الخامس الميلادي ، عندما سيطر عليها الملك العربي امرؤ القيس . وكان امرؤ القيس يستوطن العراق مع قبيلته في الحيرة ، ولكنها ارتحلت في النهاية إلى دومة الجندل . وقد ازدادت قوته في الجزء الشمالي من الجزيرة العربية ، حتى سيطر على المناطق التي تعرف الآن باسم الردن . واستطاع أيضا الاستيلاء على جزيرة (تيران) من البيزنطيين ، والتي تقع عند مدخل خليج العقبة[١] .

وتجدر الإشارة هنا ، إلى أن زعيماً آخر باسم امرىء القيس عيّنه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، رئيساً لقبائل كلب وقضاعة ، بعد قرنين من هذا التاريخ . وكان امرؤ القيس هذا ابناً للأصبغ من قبيلة كلب ، وهي القبيلة المسيطرة على المناطق المحيطة بدومة الجندل ، عند ظهور الإسلام . ولكن امرأ القيس ، كما يقول (الواس موسيل) ، كان يتمتع بقوة محدودة قبل الإسلام ، ولم يكن إلا زعيما لفخذ صغير من القبيلة ، بينما الزعامة الحقيقية لقبيلة كلب كان يتقاسمها مجموعة من الرؤساء[٢] .

٣ - مملكة الأكيدر

عندما جاء الإسلام ، كانت الدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك ، من قبيلة كنده[٣] . يقال إن أول من ملَكَ دومة الجندل هو : دجانة بن قنافة بن عدى بن زهير بن

---

(١) حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة - الرياض (١٤٠١هـ . / ١٩٨١م) ص . ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) Musil, **Arabia Deserta**, p. 546 .

(٣) الأكيدر : هو ابن عبد الملك بن عبدالحي بن أعيا بن الحارث بن معاوية بن خلاده بن ابامه بن سلمه بن شكامه بن شبيب بن السكون بن أشرس بن شور بن عفير وهو من كنده . (جواد علي . المفصل : ٤/٢٣٦) .

جناب الكلبي . ويقال أيضا إن الاكيدر كندي ، من ذرية الملوك الذين ولّاهم التبابعة (الحميريون) على كلب[١] .

وكانت قبيلة كلب تعتنق النصرانية في تلك الفترة ، ولم يقتصر نفوذها على المناطق المحيطة بدومة الجندل فقط ، بل وصل غربا حتى تبوك[٢] . ويقول حمد الجاسر إن قبيلة كلب القضاعية القحطانية ، كانت تسيطر على شمال الجزيرة العربية من رملة عالج (المعروفة الآن باسم النفوذ الكبرى) ، الواقعة بين جبل طي وبين دومة الجندل ، إلى حدود العراق شرقا وحدود الشام شمالاً . ويدل على ذلك قول الأخنس بن شهاب التغلبي :

لكل أُناس من معد عمارة	**عروض إليها يلجأون وجانب**
لكيز لها البحران والسيف كله	**وإن يأتها بأس من الهند كارب**
يطيروا على أعجاز حوش كأنها	**جهام هراق ماؤه فهو آثب**
وبكر لها أرض العراق وإن تشأ	**يحل دونها من اليمامة حاجب**
وصارت تميم بين قف ورملة	**لها من حبال منتأى ومذاهب**
وكلب لها خبت فرملة عالج إلى	**الحرة الرجلاء حيث تحارب**[٣]

ويقول موسيل : "إن اسم الأكيدر هذا ربما كان في الأصل الأكدر ، وهو الاسم الذي كان معروفا به لدى عدد من الشعراء ، أما التصغير إلى الأكيدر فقد استعمله العرب كما هو الحال في طلحة وطليحة ومسلمة ومسيلمة"[٤] . ويذكر موسيل أيضا : "أن محاربا شجاعا باسم الأكيدر بن الهمام ، كان قد قتل في معركة وقعت في مصر ، مما يستدل به

---

(١) حمد الجاسر : في شمال الجزيرة ، ص . ١١٠ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص . ١١٠ .

(٣) االهمداني : صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي الرياض (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص ٣٧٦-٣٦٨ .

(٤) Musil, **Arabia Deserta**, p. 540 .

على أن الأكيدر ليس بالاسم الغريب ، في أوساط البيئة الإسلامية" .

وقد عُدَّ الأكيدر من ذوي الشأن في عصره ؛ فقد قال الجاحظ : "إن من القدماء في الحكمة والرياسة والخطابة عبيد بن شربة الجرهمي ، وأسقف نجران ، وأكيدر صاحب دومة الجندل ، وافيعي نجران ، وذرب بن حوط ، وعليم بن جناب ، وعمرو بن ربيعه بن حارث بن عمرو مزيقياء ، وجذيمة بن مالك الأبرشي[١] .

وهنالك دلائل مختلفة على أن الأكيدر ودومة الجندل ، كانا على صلة ، مع القوتين العظيمتين آنذاك : البيزنطيين والفرس . وتدل العلاقة بين الأكيدر والزعيم الغساني جودي بن ربيعة ، وقت سقوط دومة الجندل بيد القائد المسلم خالد بن الوليد عام ١٣ للهجرة/ ٦٢٤ للميلاد ، على أن الأكيدر كان يتصرف بما تقتضيه مصلحة البيزنطيين ، الذين كانوا حلفاء للغساسنة في الوقت نفسه . ويظهر من النصوص المكتوبة ، أن الأكيدر كان عاملاً للامبراطور البيزنطي (هرقل) . ويؤكد ذلك ويوضح ، مدى تعاون الأكيدر مع الغساسنة[٢] .

وهناك دليل آخر على وجود صلات بين دومة الجندل والحيرة ، التي كان لملوكها بعض النفوذ في دومة الجندل .

وتوجد رواية تصف كيف أن الأكيدر أهدى للرسول (صلى الله عليه وسلم) جبة من صنع الساسانيين[٣] . والمرجح أن هذه الجبة كانت كسوة الأكيدر من كسرى ، ملك الساسانيين . وإن دل هذا على شيء ، فإنما يدل على وجود صلة بين الأكيدر والساسانيين ، في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام ، إلى الحد الذي جعل الإمبراطور الساساني يرسل هدية ثمينة على شكل كسوة ، إلى الأكيدر .

وتوجد رواية تتحدث عن الأكيدر ، وكيف أنه كان يعيش في صباه في الحيرة جنوبي

---

(١) الجاحظ : البيان والتبين . القاهرة وبغداد (١٣٨٠هـ-١٩٦٠/م) الجزء الأول ص ٣٦٢ .

(٢) Musil, **Arabia Deseta**, p. 537 .

(٣) الساسانيون وهم الفرس الذين حكموا ايران وأجزاء أخرى من بلاد المشرق من القرن الثالث الميلادي إلى مجيء الاسلام .

العراق ، في بلدة تدعى دومة ، يسكنها مع إخوته ويزورون أخوالهم من كلب ، في الصحراء .

وفي إحدى رحلاتهم هذه لَمَحوا مدينة متهدمة ، لم يبق إلا بعض حيطانها ، وكانت مبنية من الحجارة (الجندل) . وكما تقول الرواية ، فإنهم أعادوا بناء المدينة واستقروا بها ، وزرعوا فيها أشجار الزيتون ودعوها (دومة الجندل) ، بسبب كثرة الجندل فيها ، وتيمناً باسم (دومة) في الحيرة .

ولكن (موسيل)[1] يشكك في هذه الرواية مبيناً أن دومة الجندل كانت أقدم من دومة الحيرة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلا يوجد دليل واحد يثبت أن دومة الجندل كانت مهجورة ومتهدمة ، في أي وقت من الأوقات .

ومهما اختلفت الروايات ، فإن الرواية السالفة تثير الاهتمام لأنها تربط بين الحيرة ، المتحالفة مع الفرس وبين الأكيدر ، و هو ما يعطى بعض الأهمية للرأي القائل بوجود صلة بين الاكيدر والحيرة ، وليس فقط وجود صلة بينه وبين البيزنطيين وحلفائهم الغساسنة .

٤ - سوق دومة الجندل:

كانت للعرب في الجاهلية أسواق في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية ، يتجمعون فيها في مواسم خاصة ، يتبادلون البيع والشراء . وقد عُدّت دومة الجندل من أقدم أسواق العرب وأهمها ، نتيجة لموقعها الجغرافي ، ووجود عدد من القبائل العربية في المناطق المجاورة لها . ففي الجاهلية (من القرن الخامس الميلادي وما قبله) ، كان من عادة القبائل أن تتجمع في دومة الجندل في أول يوم من ربيع الأول وحتى آخره ، لأغراض البيع والشراء[2] .

---

(١) Musil, **Arabia Deserta**, pp. 543-544 .

(٢) جواد علي : المفصل ، ج٧ ، ص ٣٨٧-٣٨٨ .

وقد ورد أن البيع في هذه السوق كان "بيع الحصاة" ، وهو نوع من أنواع المقامرة أبطله الإسلام . وهذه الطريقة في البيع قديمة ، اختلف الدارسون في تفسيرها ؛ فمنهم من قال : "أن يقول أحد المتبايعين للآخر : ارم هذه الحصاة ، إيذاناً بوجوب البيع وانقطاع الخيار" . كما ورد أن أكيدر ، صاحب دومة الجندل ، كان يرعى الناس ويقوم بأمرهم أول يوم فتقوم سوقهم إلى نصف الشهر ، وربما غلب على السوق بنو كلب ، فيعشرهم ويتولى أمرهم بعض رؤساء بني كلب ، فتقوم سوقهم إلى آخر الشهر . وقد ذُكر أن سوق دومة الجندل كانت بين الأكيدر العبادي من السكون ، وبين قنافة الكلبي . وكانت غلبة الملكين أن يتحاجيا ، فأيهما غلب صاحبه بما يلقي عليه ، تركه والسوق يفعل به ما يشاء ، ولا يبيع فيها أحد من الشام ولا من العراق إلا بإذنه . ولم يشتر ولم يَبع حتى يبيع الملك كل شيء يريد بيعه .

وكانت سوق دومة الجندل تعد من الأسواق الكبرى للعرب ، إذ كان يشترك فيها الكثير من قبائلهم ، خاصة كلب وغسان وطي . وقد ذكر بعض المؤرخين ، أن العرب كانوا يلقون في سيرهم إليها نصبا كبيراً لوعورة الطريق ، والتعرض للأخطار وفقدان الأمن . ولا يحملهم على ذلك إلا ما تغريهم به هذه السوق من ربح وفائدة . ومن جهة أخرى ، ورد أن قوافل قريش كانت إذا قصدت دومة الجندل ، وسلكت الطريق التي تمر بالحزن ، فإنها تكون آمنة مطمئنة لأنها تمر ببلاد مضر ، ولا يتحرش مضري بمضري[(١)] .

وقد كان المتولون لأمر الأسواق يأخذون عشور التجار ، ولهم جباة يجوبون السوق ليأخذوا عُشر ما يباع . فكان الأكيدر يعشر سوق دومة الجندل ، وربما يتولاها سادة بني كلب أو بعض الغساسنة[(٢)] .

ويجب أن يُنظر إلى سوق دومة الجندل ، من خلال النظرة إلى الطرق التجارية في الجزيرة العربية ككل ، وعلى ضوء أهمية المكان بالنسبة للجزيرة . فدومة الجندل تقع

---

(١) المصدر السابق ، ج٤ ، ٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٤٧٨-٤٧٩ .

على الطرق الممتدة من وسط وشرق الجزيرة ، إلى سورية وجنوب فلسطين حيث كانت غزة ميناءً رئيساً يشتري منه التجار منتجات المناطق الواقعة على البحر المتوسط . وقد رأينا سابقا كيف كان للأكيدر صلات مع الحيرة في العراق ، وعلاقات تجارية مع إمبراطورية الفرس في الشرق . وعلى هذا ، فيُمكن القول إن علاقات دومة الجندل التجارية ، كانت تمتد إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية ، بحيث تصل إلى أماكن أخرى مختلفة .

ويرى بعض المؤرخين أن أسواق العرب تلك ، سواء سوق دومة الجندل أو غيرها ، إنما كانت في الأصل مواقع مقدسة ، بها أصنام تعبدها القبائل وتأتي للتقرب إليها في مواسم معينة ، هي مواسم حجها . فتتحول تلك المواسم إلى أسواق للبيع والشراء . فقد ذكر أن بني وبره كانوا يفدون إلى دومة الجندل للتقرب إلى (ود) ، وكان سدنته من بني الفرافصة من كلب[١] .

٥- المميزات الثقافية لدومة الجندل

تدل النصوص الأدبية على الدور ، الذي لعبته دومة الجندل في التعريف بالكتابة ونشر الشعر ، قبل ظهور الإسلام ؛ فبالنسبة للكتابة توجد إشارة واضحة ومحددة لدومة الجندل ، ودورها في هذا المجال . فيقول جواد علي[٢] : إن أهل دومة كانوا يقرأون ويكتبون ، وأن أحدهم علَّم أهل مكة ذلك . وكان هذا هو بشر بن عبد الملك ، شقيق الأكيدر ، الذي ذهب إلى الحيرة في العراق ، وتعلم الخط العربي من أهلها . ثم أتى مكة في بعض شأنه ، وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي ، أحد رؤساء أهل مكة قبل الإسلام . إذ رآه سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب ، فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ، ثم

---

(١) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٣٨٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج . ٥ ص ١١١ .

أراهما الخط فكتبا[1] .

وفي ذلك قال شاعر من دومة الجندل ، موجها كلامه لأهل مكة مُعرباً عن فضل أهل دومة الجندل عليهم ، من جهة تعليمهم القراءة والكتابة :

فلا تجحدوا نعماء بشر عليكم فقد كان ميمون النقية أزهرا

أتاكم بخط الجزم حتى حفظتم من المال ما قد كان شيئا مبعثرا

وأتقنتم ما كان من المال مهملا وأطمنتم ما كان منه منفرا

فأجمعتم الأقلام عودا وبدأة وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا

وأغنيتم عن مسند الحي حميرا وما زبرت في الصحف اقيال حميرا[2]

ومن جهة أخرى ، فقد عُدّت دومة الجندل من مجامع أسواق العرب ، ومن أمهات القرى من بلاد العرب ، التي احتضنت ثقافات شتى . ومن ذلك ما يتعلق بغناء الجاهليين ، الذي عُدَّ أصله ومنشؤه في أمهات القرى ، ومنها دومة الجندل . و على هذا فقد قال المؤرخون إن غناء الجاهليين يرجع إلى ثلاثة أوجه : النصب والسناد والهزج ؛ فأما النصب ، فغناء الركبان وغناء الفتيان والقينات ؛ اما السناد فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات ؛ وأما الهزج ، فالخفيف الذي يرقص عليه وينشد بالدف والمزمار .

ويروي بعض أهل الأخبار أن أصل الغناء ومعدنه ، إنما كان في أمهات القرى من بلاد العرب ، حيث فشى بها وانتشر . ومن هذه مكة والمدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة ، وتلك القرى مجامع أسواق العرب[3] .

---

(١) المصدر السابق ج٣ ، ص ٣٨٢ .

(٢) حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص ١٣٨-١٤٠ .

(٣) جواد علي : المفصل ، ج٥ ، ص ١١٢ .

٦ - الديانات في دومة الجندل قبل الفتح الإسلامي

كما رأينا في فصول سابقة ، فقد كان الناس في دومة الجندل يعبدون أصناما مختلفة ، ولكن في الفترة التي ، سبقت ظهور الإسلام بوقت قصير ، ظهرت كل من الديانتين النصرانية واليهودية في دومة الجندل . ولا يتفق المؤرخون على هذا الأمر تماماً . فيقول ابن خلدون ، على سبيل المثال ، إن الديانة الرئيسة في دومة الجندل قبل الإسلام كانت النصرانية ؛ بينما يقول ياقوت الحموي إن الديانة اليهودية كان لها أتباعها أيضا . ويمكننا القول هنا إن كلاً من الديانتين انتشرتا في دومة الجندل قبل ظهور الإسلام ، ولكن الغلبة كانت للنصرانية ، خاصة في القرن السابع الميلادي ، وربما قبل ذلك ، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن الأكيدر نفسه كان يعتنق النصرانية . وفوق هذا فإن معظم الروايات تتفق على أن قبيلة كلب ، وهي القبيلة التي سيطرت على معظم المناطق المحيطة بدومة الجندل ، كانت تعتنق النصرانية ، بعد أن هجرت عبادة الصنم (ود) .

يقول جواد علي :

"وإضافة إلى الديانتين النصرانية واليهودية ، فإن بعض الناس في دومة الجندل ظلوا يعبدون أصناما مختلفة حتى ظهور الإسلام . وقد ركزت الروايات على وجود صنم (ود) ، وأنه كان يُعبد بدومة الجندل . وقيل أن هذا الصنم كان من نصيب عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبره بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعه ، أعطاه إياه عمرو بن لحي ، فحمله إلى وادي القرى فأقره في دومة الجندل وسمى ابنه عبد ود . . وقد تعبد له بنو كلب "[١] .

وقد ورد اسم (ود) في القرآن الكريم (سورة نوح الآية **٢٣**) . كما تحدث عنه الكلبي في كتابه (الأصنام) ، وذكر أن قبيلة كلب كانت تتعبد له بدومة الجندل ، ووصفه

---

(١) جواد علي : المفصل ، ج ٦ ص ٢٥٥ .

فقال : "كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال ، وقد ذبر عليه حُلَّتان ، مُتزر بحلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلّده ، وقد تنكَّب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ، ووفضةً فيها نبل"[١] .

ويقول هشام بن الكلبي ، إن قبيلة كلب تركت عبادة (ود) ، واتجهت إلى الديانة النصرانية بعد ذلك[٢] . وعلى أية حال ، فقد حطّم خالد بن الوليد صنم (ود) ، بعد ظهور الإسلام .

وقد كانت عبادة الأصنام أمراً شائعاً لدى العرب إبّان جاهليتهم ، وكانت منتشرة بكثرة بينهم . وقد عُدَّ من بيوت الأصنام المشهورة (غمدان) ، الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء ، وخرَّبه عثمان بن عفان رضي الله عنه . ومنها (بوبهار بلخ) ، الذي بناه (حنو شهر) الملك ، على اسم القمر . ثم كان لقبائل العرب أوثان معروفة ، مثل : (ود) بدومة الجندل لكلب ، و (سواع) لبني هذيل ، و (يغوث) لبني مذحج ، و يعوق لهمدان و (نسر) لحمير و (اللات) بالطائف لثقيف ، و (مناة) للخزرج ، و (العزى) لقريش نواحي مكة و (آساف ونائلة) على الصفا والمروة . وكان قُصي ، جد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينهاهم عن عبادتها ، ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى ، وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو الذي يقول :

أربــــــاً واحــــــداً أم ألــــف ربٍ   أدين إذا تــقــسّــمت الأمــــور

تــركت اللات والـعـزى جـمـيـعـاً   كـذلك يـفـعل الـرجل الـبـصـيـر

ويلخّص هذان البيتان النتيجة ، التي توصل إليها كثير من الناس في القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد) ، عندما بزغ فجر الإسلام ودعا إلى عبادة إله واحد .

---

(١) جواد علي : المفصل ، ج ٢ ص ١١٥ .

. Faris, N.A., **The Book of Idols**, Princeton, (1952) , p.49

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨-٤٩

٧- المواقع الأثرية

أ – قصر مارد في دومة الجندل :

يُعدُّ أحد أكثر الآثار أهمية ، في شمال المملكة العربية السعودية . ويُمثل القصر قلعة مسوّرة ، تنتصب على مرتفع يطل على مدينة دومة الجندل القديمة . وقد أعيد بناء بعض أجزاء القلعة ، إلا أن القسم الأكبر منها ظل على حاله ، منذ إنشاء القلعة في قديم الزمان . وشكلُ البناء الأصلي مستطيل ، إلا أن بعض الإضافات ، بما فيها أبراج مخروطية ، أحدثت فيه في أزمنة متأخرة . والجزء السفلي من هذه الأبراج بُني من الحجارة ، أما الجزء العلوي فهو من الطين .



قلعة مارد

وقد أصاب الكثير من الهدم والتدمير الجدار الخارجي للقلعة ، وكذلك الأبراج عندما هاجمها سطام بن شعلان في عام ١٢٦٩/١٢٧٠هـ (١٨٥٣م) . ولكن طلال بن رشيد احتل القلعة وسيطر عليها بعد ذلك ، إلا أن نواف الشعلان استعادها عام ١٣٢٧هـ-١٩٠٩/م ، بعد حصار دام عشرة أشهر . وتقول رواية محلية إن نوافاً أرسل إلى سورية لتزويده ببعض الأدوات المعدنية الخاصة ، التي يستعملها متسلقو الجبال وذلك لتمكين رجاله من تسلق جدران القلعة . وتوجد في داخل القلعة بئر عميقة لا زالت في حالة جيدة ، ولا بد أنها كانت ذات أهمية كبيرة للموجودين أو المحاصرين داخل القلعة ، إذ كانت وسيلتهم الوحيدة للتزود بالماء .

ولم يجر تحديد عمر هذه القلعة بعد ، ولكن الجزء الأسفل منها قديم بالتأكيد . وقد يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، حيث أشارت إليها زنوبيا ملكة تدمر . ويقال إن القلعة أعيد بناؤها في عهد الأكيدر ، في صدر الإسلام . وقد رأينا كيف استطاع القائد المسلم خالد بن الوليد محاصرة القلعة واقتحامها ، أثناء الغزوة الإسلامية الرابعة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (انظر القسم الرابع : دومة الجندل في عهد الخليفة أبي بكر) .

وقد كشفت الحفريات ، التي جرت في الجزء الأسفل من القلعة عام ١٣٩٦هـ-١٩٧٦/م ، عن بعض الخزفيات النبطية والرومانية ، التي ترجع إلى القرنين الأول والثاني بعد الميلاد . ولا شك أن إجراء المزيد من الحفريات ، سيحدد الزمن الذي تعود إليه هذه القلعة ، وهو موضوع لم يبت فيه بعد . ولا شك أن كلمة (مارد) مشتقة من القدرة والامتناع ، كما يُفهم من علماء اللغة . فالقصر الممرد : هو المزين المحكم الصنعة . قال ياقوت الحموي : مارد والمريد : كل شيء تمرد واستعصى . وقد يجوز أن يشتق من غير ذلك . وقد قالت الزباء في مارد وفي الأبلق في تيماء : "تمرد مارد وعز الأبلق" . ولم يحدد المتقدمون من مؤرخي العرب زمن بناء القصر أو انشاؤه .

وبالإجمال يبدو أن الهدف من بناء الحصن ، كان حماية دومة الجندل من الغزاة ،

كما حدث عندما حاصرته الزباء ملكة تدمر ، أو عندما غزا خالد بن الوليد دومة الجندل ، أو في مراحل مختلفة من التاريخ ، عندما كانت تتعرض دومة الجندل للهجوم .

ب - بلدة دومة الجندل القديمة :

كانت مدينة دومة الجندل القديمة ، ذات مساحة أكبر من المدينة الحديثة . ويدل على ذلك بقايا السور القديم ، الذي اكتُشف أخيرا ، وكان يحيط بالمدينة القديمة . وتوجد إلى الغرب من مدينة دومة الجندل الحالية ، بقايا أبنية قديمة من الحجارة والطين ، تقع في منطقة منخفضة مساحتها حوالي ٧٥٠ × ٤٠٠ متر ، يحيط بها السور القديم المشار إليه . وقد تعني هذه المساحة ، مساحة الأبنية القديمة داخل السور فقط .

وإلى الجهة الغربية من هذه المنطقة ، يوجد الآن عدد من البساتين والآبار الحديثة ، ولكن لا يزال هناك بقايا كثير من الآثار النبطية ، وربما الرومانية . إضافة إلى وجود دلائل تشير إلى بعض المباني المدفونة ، التي لم يجر التنقيب عنها بعد . وكما ذكرنا ، فإن مدينة دومة الجندل القديمة كانت محاطة بسور كبير لا تزال آثاره باقية ، ويقال إن الدخول إلى المدينة لم يكن ممكناً ، إلا من بابين ، أحدهما يدعى النقيب ، والثاني البرج ، وأن سور المدينة كان يعلوه طوق من السلاسل ، فما كان على القادم إلا أن يحرك السلسلة لتنبيه الحارس في قلعة مارد ، فيوعز هذا إلى حراس الأبواب بالذهاب لمعرفة الوافد .

ج - بلدة الطوير القديمة :

جرت ملاحظة هذه المواقع ، أولاً بواسطة البعثة الآثارية ، التي قَدمت إلى منطقة الجوف عام ١٣٩٦هـ١٩٧٦/م . ويقع هذا الموقع بجوار طريق سكاكا - قارا . والمكان عبارة عن منطقة مستوية من الأرض مساحتها ٥٠٠ × ٢٠٠ متر ، وتغطيها الكثبان الرملية ، التي عثر فيها على بقايا أسوار قديمة من الطين ، قد تكون في الأصل سوراً لبلدة قديمة .

مياه تنساب من أحد الآبار الارتوازية في الطوير

قصر كاف

وقد عُثر على خزفيات كثيرة في هذا المكان ، نسبة كبيرة منها أوعية وصحون للطعام ، هذا إضافة إلى خزفيات زرقاء وخضراء ، عُثر عليها في هذا الموقع أيضاً ، ومن المحتمل أنها ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد . ويرجح هذا الاحتمال ما أشار إليه الجغرافي اليوناني الشهير (بطليموس) ، من أن هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان في تلك الفترة .

د – بئر سيسار (سيسرا) :

توجد هذه البئر بين الصخور القليلة الارتفاع ، على مسافة مائتي متر إلى الجنوب الغربي من قصر زعبل ، في مدينة سكاكا . وقد حفرت هذه البئر المتسعة ، على شكل نصف مخروطي في الصخور . وأبعاد فوهته هي ٨ × ٩ أمتار ، وعمقه خمسة عشر مترا ، وجوانبه رأسية . ويوجد سلم محفور في جوانب البئر ، يصل إلى القاع . كما توجد



بئر سيسرا

فتحات محفورة في الصخر تحت السلم ، وإحدى هذه الفتحات هي مدخل إلى نفق يوجد في البئر .

وقد قال عالما الآثار (البروفسور وينيت وزميله ريد) ، عند زيارتهما الجوف ، في عام ١٩٦٢م : إن هذا البئر يشبه تماما بركة للماء موجودة في (الجيب) في فلسطين[١] . والمعروف أن بعض المناطق المنخفضة في سكاكا ، والمحيطة بالبئر من الجهتين الشرقية والجنوبية ، كانت تسقى من ماء البئر بواسطة أنفاق تحت الأرض ، وكذلك بواسطة قنوات على سطح الأرض ، منحوتة في الصخر . وقد اكتشفت بعض أجزاء هذه القنوات صدفة بعد أن كانت مطمورة بالرمل .

هـ- مغيرا :

يقع هذا المكان على مسافة أربعين كيلومتراً شرقي مدينة سكاكا ، به بعض برك المياه ، وتؤدي إليها ممرات محاطة بجدران حجرية .

و – المدارة :

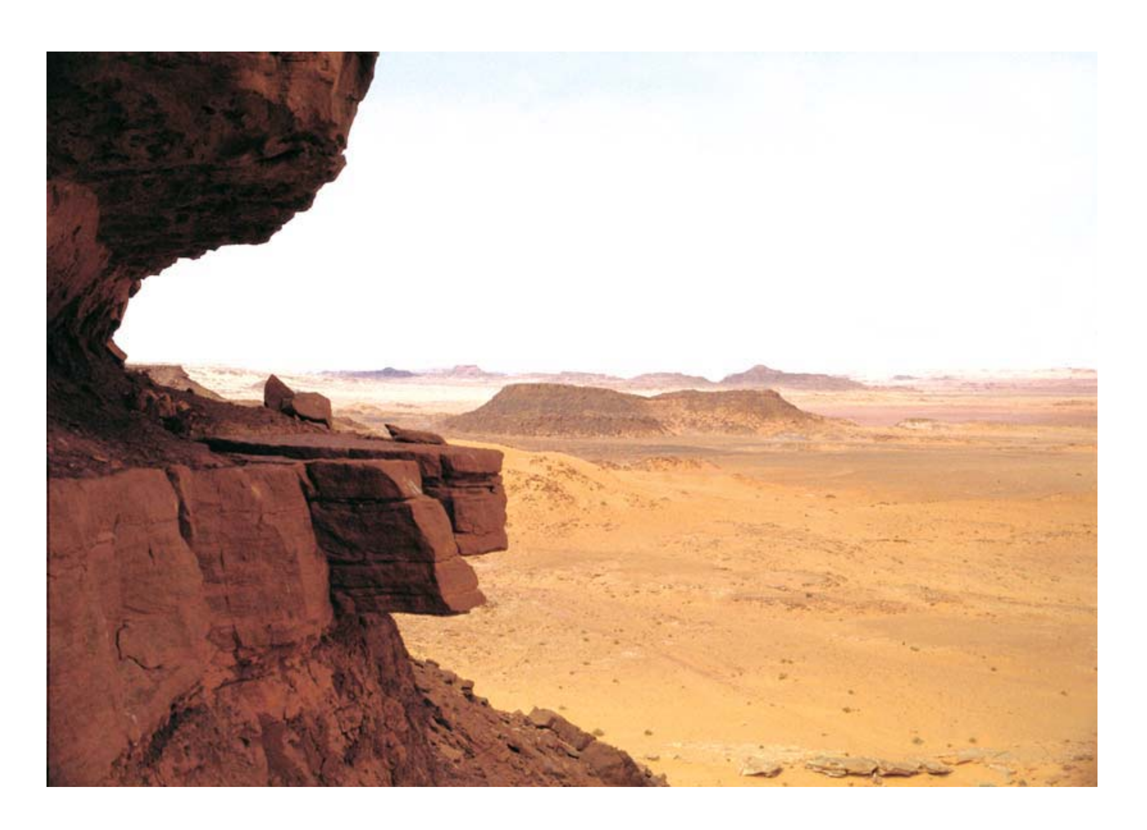
تقع بالقرب من الرجاجيل ، وعثر فيها على جرة مملوءة بالقطع المعدنية ، تبدو وكأنها نقود فاطمية . وفي دراسة أجراها جي . سي . مايلز[٢] عن النقود الفاطمية ، ظهرت في الدراسة صورتان لقطعتين من النقود تشبه النقود ، التي عثر عليها في المدارة . وتحمل القطعتان المذكورتان على التوالي الأرقام ٣٦٩ ، ٣٨٧ .

أما النقود التي عثر عليها في هذا الموقع ، فمنها قطعتان ضُربتا في مصر ، في عهد الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م) ، تزن الكبيرة منهما ٤٫٢٧ غراما وقطرها **٢٢** مللم ، بينما تزن القطعة الثانية ١٫٥٨ غراما وقطرها **٢٠** مللم . وتحمل كل

---

(١) Winnett & Reed, **Ancient Records**, p. 11 .

(٢) Miles, G.C. **Fatimid Coins**, Numismatic Notes and Monographs No. 121, New York,(1951), p. 36; p. 38 and Plate IV.



مغيرا

ز- موقع الصنيميات :

وجد هذا الموقع الأثري ، في الجزء الغربي من مدينة دومة الجندل . ويتكون الموقع من مجموعة من التلال الأثرية الصغيرة ، التي كشفت أعمال الحفر الأثري ، التي جرت عام ١٤٠٥هـ-١٤٠٦هـ في عدد منها ، أنها تمثل نمطاً من المقابر النبطية الجماعية المشيدة بالحجارة . وقد عثر داخل تلك المقابر ، على هياكل عظمية لعدد من الأشخاص ، وجد بجانبها مواد حضارية ، مثل : الأواني الفخارية ، والحلي . والنقود ، وقد دلت تلك المعثورات على أن هذه المقابر ، تعود إلى العصر النبطي[١] .

---

(١) خليل ابراهيم المعيقل ، سليمان عبد الرحمن الذييب ، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف ، ١٤١٧هـ١٩٩٦/م ، ص ص ٤٠-٤٣ ؛ خالد عبد العزيز الدايل ، " التقرير الحقلي عن حفريات دومة الجندل في موسم ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، أطلال ، العدد العاشر ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م . ص ص ٩١-٩٤.



حلي عثر عليها في موقع الصنيميات

ح- سور دومة الجندل :

تقع بقايا أسوار دومة الجندل في الجزء الغربي والشمالي من المدينة ، على مسافة ليست قريبة من أحياء المدينة . وتمتد تلال السور الأثرية إلى مسافة تقدر بحوالي ٢ كم . وتتضح آثار السور بشكل واضح ، في المنطقة الواقعة إلى الغرب من حي الغرب ، محاذية السفح الشمالي للمرتفع الصخري ، ثم تمتد بعرض منخفض الوادي باتجاه الشمال ، ثم ينحرف السور بزاوية شبه حادة باتجاه الشرق ، ويمتد حتى يحاذي مزارع النخيل من الجهة الشمالية . وفي عام ١٤٠٥هـ

حُفرت أجزاء من السور الواقع غرب حي الغرب . وقد كشفت الحفريات عن بقايا سور حجري ، مدعم بأبراج مربعة ، ويرتفع لأعلى من خمسة أمتار(١) .

ط- قيال :

عثر على هذا الموقع عام ١٤١٠هـ ، ويقع على مسافة حوالي ١٢كم إلى الشمال

---

(١) المرجع السابق ، ص ص ٤٤-٤٦ ؛ خالد الدايل "تقرير عن أعمال ونتائج الموسم الثاني لحفرية دومة الجندل ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م" ، أطلال ، العدد الحادي عشر ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م . ، ص ص ٥١-٥٢ .

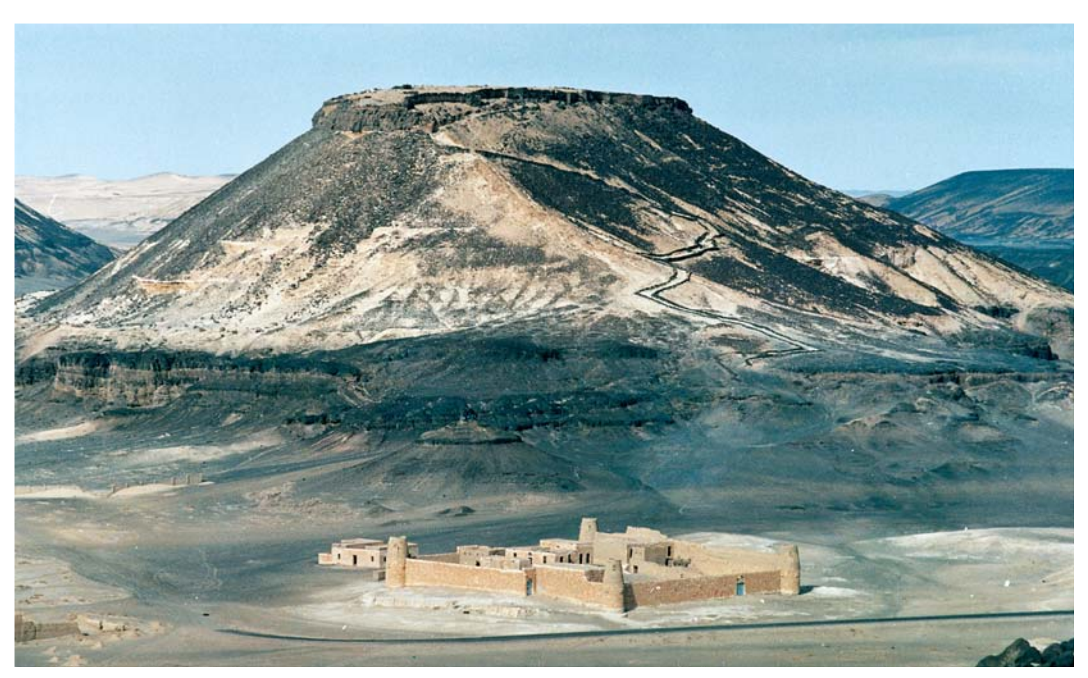
الغربي من مدينة سكاكا . تدل الطبيعة الطوبوغرافية للموقع ، إضافة إلى المخلفات المعمارية ، على أن للموقع وظيفة رسمية ، إذ يُعتقد أن الموقع كان مركزاً لحامية عسكرية نبطية مهمتها مراقبة حركة القوافل التجارية ، وتأمين حرية هذه الحركة داخل منطقة الجوف .

يتكون موقع قيال من ثلاثة أجزاء ، أولها القرية السكنية الواقعة على السفح الجنوبي لجبل قيال . وتتكون هذه القرية من مجموعة من الوحدات المعمارية المنفصلة ، وعددها ٢٣ وحدة مكونة من غرفة واحدة أو غرفتين متلاصقتين . شيدت هذه الوحدات بالحجارة الرملية ، وترتفع جدرانها لأكثر من متر واحد . وقد وجد داخل تلك الغرف ، وبالقرب منها ، كمية من الكسر الفخارية ، منها عدد محدود من الفخار النبطي الرقيق والمرسوم . ويوجد الجزء الثاني من الموقع فوق القمة الشرقية المنخفضة لجبل قيال ، ويتكون من مبنى وحيد ، وبقايا أسوار حجرية على حافة قمة الجبل . وتؤكد طبيعة مخطط المبنى وموقعه احتمال أن يكون هذا المبنى بقايا لمعبد ، كان يخدم المستقرين بالموقع من القوات النبطية . أما الجزء الثالث من الموقع ، فيقع إلى الغرب من القرية السكنية ، وهو بقايا أسوار حجرية كبيرة مندثرة لمبنى كبير الحجم . هذا الجزء من الموقع غير واضح المعالم ، لكنه -بلا شك- يعود إلى الفترة الرئيسة نفسها للموقع ، التي تؤكد الأدلة الأثرية أنها الفترة النبطية[1] .

ي- قصر الصعيدي :

يقع قصر الصعيدي على قمة جبل الصعيدي ، المطل على بلدة كاف من الجهة الشمالية . بُني القصر على القمة المستوية للجبل ، ومن ثمّ فإن مخطط المبنى يأخذ شكلاً غير منتظم ، إذ إن الجدران الخارجية شيدت على الحافة الطبيعية لقمة الجبل ، لذلك فإن المخطط ذو مسقط غير منتظم الأضلاع ، ويغطي المساحة الكبيرة لقمة الجبل . ودُعّمت الجدران الخارجيةً للسور بأبراج مربعة عديدة ، لذلك فإن أبرز منشآت القصر القائمة ،

(١) المعيقل ، الذييب ، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف ، ص ص ٥١-٥٩ .



جبل الصعيدي في منطقة كاف ، ويظهر القصر أيضاً

الأسوار والأبراج المرتبطة بها إضافة إلى مبنى صغير مستقل ، في الجزء الجنوبي من ساحة القصر . وهذا المبنى أطواله ١١ × ٦ م ، وعثر داخله على عدد من الكسر الفخارية ، التي تعود إلى فترتين حضاريتين مختلفتين هما : منتصف الألف الأول قبل الميلاد ، والعصر النبطي . وقد تعرّض المبنى ، منذ إنشائه إلى مراحل التجديد والترميم ، التي كان آخرها التجديد الذي جرى في فترة حكم ابن شعلان لكاف ، في سنة ١٣٣٨هـ[١] .

ك- قصر إثرة :

يقع قصر إثرة (المعروف حاليا بقصر المذهن) ، في وسط بلدة إثرة ، وهو مبنى مشيد بحجارة بازلتية ، منحوتة بدقة وعناية . ومخطط القصر ذو مسقط شبه مستطيل ، يتكون من ساحة غير منتظمة ، تفتح عليها مجموعتان من الوحدات المعمارية ذات طابقين . وتربط الوحدتان بمدخلين مستقلين ، أحدهما يقع في الواجهة الشمالية للقصر . وتعلو هذا

(١) المصدر السابق ، ص ص ٥٩ - ٦١ .

المدخل كتابة بالخط الكوفي ، لآيات قرآنية ، تعود لفترة استخدام المبنى خلال العصر الإسلامي المبكر . أما المدخل الثاني ، فيقع في الطرف الجنوبي لواجهة القصر الشرقية ، ويعلو الواجهة الداخلية لهذا المدخل نحت بارز لوجه إنسان . ويظهر من طبيعة الوحدات المعمارية القائمة ، أن القصر كان مستخدماً للسكن حتى وقت قريب جداً ، وهذا ما أسهم في المحافظة على المبنى والعناية به ، خلال العصور المختلفة . وتشير الأدلة الأثرية والمعمارية إلى احتمال أن تاريخ إنشاء القصر تعود ، إلى فترة ازدهار إثرة ، خلال العصر النبطي(١) .

٨- مواقع النقوش

أ- جبل برنس :

هو تلة صخرية رملية صغيرة ، تقع بالقرب من قصر زعبل . كنتيجة لعوامل التعرية على مر العصور ، تشكل سطح صخري مستو يواجه الجهة الغربية ، وقد اكتسى باللون الأسود ، بفعل الظواهر الطبيعية المختلفة . وقد نقشت على هذا السطح الصخري بعض الرسومات ، التي تمثل مجموعة من النسوة ، عددهن ثلاث عشرة امرأة ، وقد رفعن أذرعهن إلى أعلى ، كأنهن يقمن بحركات راقصة .

وفي مكان قريب من هذه الرسومات ، توجد نقوش على الصخر بعضها بالعربية وهي حديثة ، بينما الأخرى نقوش نبطية(٢) .

ب - قارة النيصة :

تقع قارة النيصة إلى الشمال الشرقي من دومة الجندل ، على مسافة حوالي **١٢** كم منها . والموقع مرتفع صخري ، ذو واجهات صخرية ملساء . وقد هيأت طبيعة المرتفع الصخري ، ونوع الأحجار الرملية ، مساحات مناسبة ومهيأة للكتابة والرسم . وقد خلّف

---

(١) المصدر السابق ، ص ص ٦١ - ٦٣ .

(٢) Winnett & Reed, **Ancient Records** , p. 11 .

إنسان هذه المنطقة على تلك الواجهات ، أنماطاً مختلفة من الرسوم الصخرية والكتابات ، أبرزها بالخط النبطي والثمودي والعربي الإسلامي . وتبلغ عدد النصوص في هذا الموقع ، أكثر من ١٥٠ نصاً(١) .

ج- قارة المزاد :

تقع قارة المزاد على مسافة ٤ كم تقريبا ً إلى الشمال الغربي من حي اللقائط . وهي جبل صغير ذو قمة صخرية مرتفعة . في عام ١٤١٠هـ ، عُثر في الواجهة الشرقية لقمة الجبل ، على مجموعة من الكتابات النبطية المهمة ، بلغ عددها **٢٢** نقشاً(٢) .

د- موقع القلعة :

تقع على مسافة ٥ كم شمال مدينة سكاكا ، على يمين الطريق المؤدي إلى عرعر ، وهي صخرة كبيرة عثر في جزئها السفلي ، على مجموعة من الكتابات الثمودية والنبطية ، إضافة إلى رسوم صخرية على الجزء العلوي منها ، تمثل حيوانات وطيوراً ، أبرزها طائر النعام .

---

(١) المعيقل ، الذييب ، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف ، ص ص ١٧٧-١٨٥ ؛

Al-Muaikel, **Archaeology of The Jawf**, pp. 139-182 .

(٢) المعيقل ، الذييب ، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف ، ص ص ٨٩ - ١٤٣ .

٩ - دومة الجندل وشمالي الجزيرة العربية وبلاد الشام

منذ القرن الأول الميلادي إلى القرن السابع الميلادي

(القرن الأول للهجرة)[١]

كانت دومة الجندل في بداية هذه الفترة، تقع ضمن أراضي الأنباط، بينما كانت في نهايتها تقع ضمن حدود الدولة الإسلامية، التي أسسها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكانت المدينة المنورة مركزها. وفي خلال القرون التي انقضت، منذ أن ضم الرومان مملكة الأنباط إلى مناطق نفوذهم في عام ١٠٦ للميلاد، إلى أن جاء الإسلام في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، كانت دومة الجندل تقع خارج حدود الدولة الرومانية، ثم البيزنطية في بلاد الشام. كذلك، ظلت بمنأى عن سيطرة الدولتين البارثية[٢] والساسانيين، المتعاقبة في الشرق. وعند النظر إلى تاريخ دومة الجندل في العصور المبكرة، نجد أن المخطوطات الآشورية والبابلية تُعطي معلومات كافية عنه، بينما يُفتقر بشدة إلى المعلومات التاريخية والشواهد الأثرية، التي توضح تاريخ دومة الجندل وما جاورها، خلال العصور الرومانية والبيزنطية والأموية. وكانت دومة الجندل أيام الأنباط، تعد واحدة من أهم المدن الواقعة على الطرق التجارية، التي تخضع لسيطرتهم وتمر عبر مناطق نفوذهم، ممتدة ما بين دمشق، في الشمال، ومدائن صالح، في الجنوب. وعندما ضمَّ الإمبراطور الروماني (تراجان) مملكة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية في عام ١٠٦ بعد الميلاد، أصبح الجزء الشمالي من الجزيرة العربية منفصلا عن البحر الأبيض المتوسط، بواسطة الخطوط الدفاعية الأمامية، التي أقامها الرومان.

---

(١) من مقالة الدكتور جيوفري كنج، قسم الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود الرياض (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

(٢) يختلف المؤرخون في تفسير كلمة (Parthian) وعلى ماذا تدل؛ فالبعض منهم يقول أن هذه التسمية مشتقة من اسم قبيلة البارثافا (Parthava) وآخرون يقولون أنها الاسم القديم لبلاد الفرس (Persia) ويبدو أن كلا المعنيين صحيح.

وكانت إمبراطورية ال (Parthian) تمتد على رقعة متسعة من أرض الفرس (إيران) ووسط الجزيرة العربية، في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وكان مركز هذه الإمبراطورية يقع في مقاطعة (خورسان) الإيرانية الآن.

وظل الوضع على هذا الحال إلى أن جاء المسلمون وتغلبوا على البيزنطيين ، الذين خلفوا الرومان ، وذلك في موقعة اليرموك عام ١٥ للهجرة ، أي ٦٣٦ للميلاد . فأزال المسلمون التحصينات التي بناها الرومان .

ونتيجة للانتصارات التي حققها المسلمون ، توحدت الجزيرة العربية وبلاد الشام تحت حكم الخلفاء الراشدين ومن تبعهم .

وكانت التحصينات والخطوط الدفاعية ، التي أقامها الرومان على حدودهم مع الجزيرة العربية ، ذات علاقة وثيقة بدفاعهم عن طريق (تراجانا) . وهي التي تربط دمشق وبُصرى وعمان والعقبة ، وقد أنشأها الإمبراطور الروماني (تراجان) بين عامي ١٠٦و١١٧ ميلادية . وإلى الشرق من هذه الطريق ، أقام الرومان سلسلة من التحصينات والقلاع تمتد في عمق الخطوط الدفاعية بين الأراضي الرومانية ، غربي نهر الأردن وفلسطين وسوريا ، وبين الصحراء ، في شمالي الجزيرة العربية .

أما إلى الشمال ، فإن النظام الدفاعي امتد إلى سوريا ، وكان القصد منه الدفاع عن الأراضي الرومانية ، ثم البيزنطية ، ضد هجمات البارثيين والساسانيين ، التي تتجه إلى شمالي سوريا من حوض نهر الفرات . وقد أمكن التغلب على هذه التحصينات الرومانية في القرن الثالث الميلادي ، عندما أخضعت قوات تدمر ، بقيادة الزباء (زنوبيا) ، كل المنطقة من آسيا الصغرى إلى مصر إلى سيطرة عرب تدمر .

وعندما سحقت قوات الإمبراطور الروماني (اورليان) قوات تدمر في عام ٢٧٢م ، أعاد الرومان تنظيم خطوط دفاعهم ، حتى لا يتكرر ما فعله بهم التدمريون . ولهذا اتسعت دفاعاتهم وتحصيناتهم ، مع التركيز على التحصينات في الطرف الشمالي لوادي السرحان ، وطرق دومة الجندل في الجنوب . ويوجد في الأزرق نقش روماني يعود إلى الفترة ما بين عامي ٣٢٦-٣٣٣م ، وهذا ما يؤكد أهمية الأزرق للرومان ، من حيث هو نقطة للسيطرة على صحراء شرق الأردن ، وشمالي وادي السرحان . ويعزز هذا الرأي وجود قصر الاسيخن (Al-Usaikhin) إلى الشمال الشرقي من الأزرق ، وقصر

العويند (Al-Uwainid) إلى الجنوب الغربي . وتقع مجموعة القلاع الرومانية هذه ، على الطريق الممتدة من وسط الجزيرة العربية إلى سفوح جبل حوران في الشمال ، حيث توجد مجموعة أخرى من القلاع قريبة من الطريق المؤدية إلى مدينة بصرى . كذلك ، فإن التحصينات الواقعة على رأس وادي السرحان حول الأزرق ، تسيطر على الطريق الممتدة من الوادي ، إلى المناطق الأكثر زراعة وسكاناً في الغرب ، على حافة الصحراء .

وربما كان نفوذ الرومان في صحاري شرق الأردن وسوريا ، أكبر مما نعرف مداه الآن . وقد قيل إن بعض مواقع الأمويين في الصحراء ، ربما كانت في الأصل مواقع رومانية . أما في أقصى الطرف الجنوبي من الأردن ، فإن الآبار هناك تدل على وجود تجمعات سكانية كبرى ، في العصور النبطية والرومانية والبيزنطية الأولى ، مشيرة إلى مدى الاهتمام ، الذي أولاه هؤلاء للسيطرة على المصادر المهمة للمياه ، التي كانت مقصد القوافل القادمة من دومة الجندل ووادي السرحان . وإذا أُخذ في الاعتبار كل هذه الشواهد ، التي تشير إلى مدى اهتمام الرومان بالسيطرة على مداخل الصحراء ، فإنه يصعب التخيل أنهم لم يبدوا اهتماماً بدومة الجندل ، وبالأجزاء الجنوبية من وادي السرحان . وعلى هذا ، فإن للحجر ، الذي عثر عليه في دومة الجندل وعليه نقوش لاتينية ، أهمية خاصة من حيث إنه دليل على وجود اتصال روماني ، بالطرف الجنوبي لوادي السرحان ، وبدومة الجندل نفسها . وقد أرجع الدكتور الغول تاريخ الحجر إلى ما بين عامي ١٩٧-٢١٢ للميلاد ، ويشير إلى شخص معين باسم فلافيوس ديونيسس . (انظر فصل : "الأهمية الأثرية لمنطقة الجوف") .

وإذا استُثنيت الشواهد التي تدل على مدى اهتمام الرومان بوادي السرحان وشمالي الجزيرة العربية ، وهو ما يبدو جلياً من واقع تحصيناتهم وقلاعهم ، فإن هناك عدداً من الدلائل التي تشير إلى أن الرومان اتبعوا سياسة الحضور والوجود ، في القرى الواقعة على الطرق الرئيسة في الجزيرة العربية . ففي معبد روافا (Rawwafa) جنوب غربي تبوك ، عُثر على نقش إغريقي ونبطي ، يرجع إلى ما بين ١٦٦-١٦٩ بعد الميلاد ، وقد ذكر كل من (مراكوس أو ربليوس) ، و (لوشيوس أو ريليوس) ، في هذا النقش ، وهما من

أباطرة الرومان .

وعندما أصبحت النصرانية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية البيزنطية في أوائل القرن الرابع الميلادي ، أدى ذلك إلى استمرار التوغل في أطراف الصحراء ، عن طريق الرهبان الذين أقاموا أديرتهم هناك . ونتيجة لاعتبارات سياسية وغيرها ، أقام البيزنطيون ، الذين خلفوا الرومان ، أحلافا مع القبائل ، التي كانت تعتنق النصرانية ، ويوجد مثال على ذلك ، هو دولة الغساسنة ، التي أنشئت في القرن السادس الميلادي .

أما في القرن السابق لذلك التاريخ ، فقد تعرضت الخطوط الدفاعية البيزنطية في فلسطين ، إلى هجمات متتالية من قبل الأعراب ، حتى إن جزيرة (تيران) ، مع بعض مراكز الحدود المهمة ، استولى عليها الأمير العربي إمرؤ القيس . ولهذا ، رأى البيزنطيون ، بعد أن استعادوا هذه المراكز ، أن خير وسيلة تمكنهم من الاحتفاظ بها ، هي تشجيع إقامة دولة محلية محالفة لهم . وتم لهم ذلك بإقامة دولة الغساسنة ، في القرن السادس للميلاد . وظل الوضع كذلك إلى أن انتصر المسلمون عليهم في معركة اليرموك . وتعطي بعض الشواهد الأثرية صورة عن مدى التقدم ، الذي بلغه هؤلاء العرب ، الذين حالفوا البيزنطيين ، وعن مدى إخضاعهم لمناطق واسعة لنفوذهم . فهناك في (الرصافة) ، على الشاطيء الجنوبي لنهر الفرات ، قصر غساني كبير ، إلى جانبه برج لأحد الأديرة الغسانية ، الذي أصبح جزءاً من قصر الخليفة الأموي ، هشام بن عبد الملك ، بعد ذلك . ومن الآثار ، التي خلفها الغساسنة أيضاً ، (جابية) بالقرب من دمشق ، و (القسطل) في الأردن . ويبدو واضحاً من المصادر الإسلامية ، أن نفوذ الغساسنة امتد إلى دومة الجندل إلى أن أخضعها خالد بن الوليد لسيطرته ، في عام ١٣ للهجرة (٦٣٤م) . ويبدو أن الغساسنة قد سيطروا على دومة الجندل ، في القرن السابع الميلادي ، ومع أن حاكمها في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان الأكيدر ، إلا أن قائدها العسكري عند اقتحام خالد لها ، كان (الجودي) وهو غساني . وقد هزم خالد (الجودي) واشترى ابنته ، وتزوجها عبدالرحمن ابن الخليفة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنهما . أما الاكيدر نفسه ، وهو من كنده ، فقد قيل إنه كان يعترف بسلطة الأمير البيزنطي (هرقل) . وتشير

المصادر الإسلامية بوضوح إلى أن الأكيدر كان نصرانياً . لذلك يمكن القول إنه في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي ، وصل نفوذ البيزنطيين وحلفائهم الغساسنة ، إلى دومة الجندل نفسها .

وفي الواقع أنه في الوقت ، الذي أرسل فيه الرسول (صلي الله عليه وسلم) حملاته إلى دومة الجندل ، ونظم حملاته إلى مؤتة وتبوك ، كان البيزنطيون والغساسنة قد بدأوا يستعيدون قوتهم في الشمال تدريجياً ، بعد اجتياح الساسانيين واحتلالهم الأراضي البيزنطية ، في سوريا وفلسطين ومصر ، بين عامي ٦١١-٦٢٨ للميلاد ٦-٧هـ . ويظهر من الشواهد الأثرية في الأردن ، التي ترجع إلى ما قبل هذا التاريخ ، أن البيزنطيين كانوا قد تخلوا عن الجزء الجنوبي من الصحراء ، الذي كانت تسيطر عليها التحصينات الرومانية من قبل ، وسلّموه إلى الغساسنة وإلى قوات القبائل العربية الحليفة الأخرى . وبعد الغزو الساساني لفلسطين في عام ٦١٤ للميلاد ، كان لابد للإمبراطور (هرقل) من إعادة تنظيم خطوط البيزنطيين والعرب الدفاعية ، بعد تغلبه على الساسانيين ودحرهم في السنة السابعة للهجرة ، ٦٢٨-٦٢٩ للميلاد .

ومع أن نفوذ الغساسنة وسلطانهم ، لم يعد كبيراً كما كان من قبل في القرن السادس الميلادي ، إلا أنهم لعبوا دوراً بارزاً بمساندتهم للقوات البيزنطية في مؤتة ؛ وكذلك في مواجهة غزوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) على تبوك ، وفي مواجهة الحملة الإسلامية الأخيرة على دومة الجندل ؛ وكذلك في معركة اليرموك ، التي شهدت الهزيمة النهائية للبيزنطيين .

كما أن الشواهد التاريخية تشير إلى أن الخطوط الدفاعية البيزنطية ، وتحصيناتهم على الحدود الجنوبية لإمبراطوريتهم ، كانت بأيدي القبائل العربية الحليفة ، عندما شن المسلمون حملاتهم على هذه المناطق . وكانت فلسطين ، وهي إحدى المقاطعات البيزنطية ، قد قُسّمت إلى ثلاثة أقسام ، الأولى : وتشمل الساحل وقسماً من شرقي الأردن ؛ وفلسطين الثانية : وتتألف من المنطقة الواقعة حول بحيرة طبرية ؛ ثم منذ نهاية

القرن الرابع الميلادي فلسطين الثالثة ، التي تمتد من ساحل البحر الأبيض المتوسط في غزة ، إلى الصحراء في شرق الأردن ، وخلف الكرك في الشمال ، وإلى العقبة في الجنوب . وإلى الشمال من الكرك حتى حوران ، كانت توجد المقاطعة العربية (Provincia Arabia) ، وهي قلب المملكة النبطية القديمة .

وعندما تخلى البيزنطيون عن التحصينات الرومانية ، في القرن الخامس الميلادي ، أثرّ ذلك بشكل أساسي على الصحراء الجنوبية ، وعلى فلسطين الثالثة . وفي القرن السادس الميلادي ، أُوكل أمر الدفاع في هذه التحصينات إلى الغساسنة ، ثم إلى قبائل البهراء وبلي . وهذه هي القبائل العربية ، التي كانت حليفة للإمبراطور (هرقل) ، في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأثناء الفتوحات الإسلامية . ونظراً لأن دومة الجندل كانت إحدى الأسواق الكبرى ، وتقع على الطرق الرئيسة من الجزيرة العربية إلى الشمال والشرق ، فقد كان من الأهمية بمكان للدول الرئيسة في المنطقة ، أن يكون لها بعض النفوذ على هذه المدينة . وهذا هو السبب الذي جعلها هدفاً لقوات المسلمين ، في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وعهد من جاءوا بعده . ولكن عندما أخضع خالد بن الوليد دومة الجندل ، أثناء حملته للسيطرة على دمشق ، فإن دومة الجندل لم تعد بالأهمية نفسها ، التي كانت لها من قبل ؛ بل إنها تغيب عن سير الأحداث حتى تقع واقعة التحكيم بين معاوية بن أبي سفيان ، وعلي بن أبي طالب .

ومع أن دومة الجندل لم تحظ بعد هذا التاريخ ، إلا باهتمام ضئيل من قبل المؤرخين والجغرافيين العرب ، إلا أن الشواهد الأثرية في الأردن ، تجعلنا نتساءل عن مدى تأثير العصر الأموي على وادي السرحان ، وعلى دومة الجندل نفسها . ففي الأجزاء الشمالية من الأردن وحوران وما خلفه ، توجد العديد من المواقع ، التي تعود إلى العهد الإسلامي المبكر ، وإلى العصر الأموي ؛ كذلك فإن المناطق الزراعية في غرب الأردن وحوران ، كانت مأهولة ومزدهرة حيث عُثر على كميات كبيرة من الخزفيات الإسلامية والأموية المبكرة ، في العديد من القرى المنتشرة هناك . إضافة إلى وجود العديد من المباني الأثرية في الصحراء الأردنية ، التي شيدها الأمويون ، أو وسّعوها . فبين الأزرق وعمان توجد

بعض المباني الأموية الرئيسة ، مثل : قصر (عمرا) ، وقصر (المشاش) ، و (الموقر) ، و (المشتى) ، وقصر (الحلابات) . وبعض هذه المباني كانت إما للسكن ، أو لإيواء قطعان الماشية . ولكن توزيع هذه المراكز الأموية باتجاه الأزرق ووادي السرحان يدل على أن طريق وادي السرحان ، كانت لا تزال ذات أهمية ، بل دومة الجندل نفسها . ولسوء الحظ ، فإن الأبحاث الأثرية التي أُجريت لا تكفي للوصول إلى نتائج ثابتة ، ولكنه من السابق لأوانه ، أيضا ، القول إن دومة الجندل قد تضاءلت أهميتها ، فقط لتوقف الحديث عنها في الكتب .

على أن مجيء العباسيين إلى السلطة ، وما تبعه من انتقال مركز الدولة الإسلامية إلى العراق في عام ١٣٢هـ . (٧٥٠م) ، أدى إلى التأثير على الأردن بشكل عام ، وإلى تضاؤل أهمية كثير من المستوطنات ، ويدل غياب الخزفيات العباسية في المنطقة ، بعد تحول الطرق القديمة إلى طرق جديدة أخرى ، نتيجة لإنشاء مدينة بغداد وازدياد أهمية العراق ، على أن المستوطنات والمراكز الأموية في الأردن ، قد تلاشت وهُجرت . وربما كان لذلك تأثير على دومة الجندل أيضاً ، خاصة أنها أصبحت لا تقع على الطريق ، التي تخترق الجزيرة العربية وتؤدي إلى الأماكن المقدسة . وكمثال على هذه الطريق ، التي استعيض بها عن الطرق القديمة ، (درب زبيدة) من بغداد إلى مكة المكرمة ، التي تخترق الصحراء بعيدا عن دومة الجندل إلى الجنوب[1] .

ومع أن العهد العباسي أدى إلى تضاؤل أهمية الأردن ، والجزء الشمالي الغربي من الجزيرة العربية ، بشكل عام ، إلا أن هذه الأهمية بدأت تعود تدريجيا إلى تلك الأجزاء ، خاصة بعد انتصارات صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين ، في فلسطين . فبدأت التجمعات السكنية تظهر وتزدهر مرة أخرى . وبدأ التركيز يعود إلى تطوير هذه المنطقة ، وامتد التطور إلى سوريا وفلسطين أيضا . ففي وادي الأردن ، وفي الجزء الجنوبي من منطقة البحر الميت ، توجد دلائل بارزة على وجود صناعة للسكر هناك ، أثناء عصر

---

(١) د . سعد الراشد ، درب زبيدة ، طريق الحج من الكوفة إلى مكة . مكتبات جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليا) (١٩٨٠) وظهرت دراسات أخرى عن درب زبيدة في مجلة (أطلال) .

المماليك وبعده .

أما الجزء الشرقي من الصحراء في عصر الأيوبيين وما تلاه ، فإن الوضع حوله لا يزال غير مفهوم ، علماً بأن القلعة الرومانية القديمة في الأزرق قد أعيد بناؤها عام ٦٣٤هـ (١٢٣٧م) ، على يد (عزالدين أيبك) الأيوبي . وإلى الشمال ، في قرى حوران . وفي بصرى ، وصلخد ودمشق ، فقد قام الأيوبيون ، ومن بعدهم المماليك ، بجهود كبيرة لتطوير هذه المدن والقرى . أما في الجنوب ، فقد أنشأ السلطان المملوكي (قانصوه الغوري) (الخان) في العقبة ، في عام ٩٢٠ للهجرة (١٥١٤-١٥١٥م) ، ولا يزال هذا الخان الحصين أحد معالم العقبة إلى الآن . وأما بعيداً إلى الجنوب في منطقة الحجاز ، فلم تجر حتى الآن الدراسات ، التي يمكن أن تلقي ضوءاً على مدى تأثر هذه المناطق بالممالك الإسلامية المذكورة ، مع أن هناك نقشاً على القلعة في تبوك ، يفيد بأن هذه القلعة قد أعيد ترميمها على يد السلطان العثماني محمد الرابع ، في عام (١٠٦٤هـ١٦٥٣/-١٦٥٤م) .

وهناك مؤشرات واضحة على أن حركة التطوير ، شملت كل الجزء الجنوبي من بلاد الشام مع مجيء الأيوبيين إلى السلطة ، ليس فقط في المدن الكبرى ، مثل القدس ودمشق ، ولكن في القرى والواحات أيضا . وربما تكون دومة الجندل نفسها قد تأثرت بذلك ، بطريقة أو أخرى ؛ فهناك -مثلاً- بعض الدلائل ، التي تشير إلى أن بعض الخزفيات الأيوبية والمملوكية ، قد أخذت طريقها إلى دومة الجندل .

الفصل الرابع

تاريخ منطقة الجوف من ظهور الإسلام، حتى بداية الدولة السعودية الأولى

١- دخول الإسلام إلى دومة الجندل

(عصر الرسول صلى الله عليه وسلم)

كان من الطبيعي بعد ظهور الإسلام ، وهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة في عام (٦٢٢م) ، أن يسعى المسلمون إلى إقامة دولة إسلامية ، لها مقوماتها ودعائمها المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف . وكان الرسول قد وضع أسس هذه الدولة ، التي عملت على تأمين أهلها ، والحفاظ على سلامتهم ضد الأعداء المتربصين بها ، من جهة ، والعمل على نشر دعوة دين الحق ، في مختلف أرجاء الجزيرة العربية ، من خلال الاتصال بقادة وحكام تلك المناطق ، من جهة أخرى .

وكانت القوافل ، التي تمر بالجزيرة محمّلة بالبضائع ، تتعرض دوماً للاعتداءات من قبل بعض سكان المناطق ، التي تمر بها حتى وصلت هذه الاعتداءات إلى حد يتطلب ردع هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق . فكانت الغزوات ، التي بدأها الرسول ﷺ بنفسه ، وقاد أولها إلى مدينة دومة الجندل ، لردع حاكمها الأكيدر وضم دومة الجندل إلى حظيرة الدولة الإسلامية الناشئة .

أ - الغزوة الأولى :

بعد ظهور الإسلام ، وإرساء قواعد الدولة الإسلامية في المدينة المنورة في السنة الأولى للهجرة (٦٢٢م) ، سعى المسلمون إلى نشر الدعوة في كل الاتجاهات ، بقدر ما تسعفهم به إمكاناتهم . وفي حياة الرسول ﷺ وبعد مماته ، اتجه الموفدون إلى مختلف أرجاء الجزيرة العربية لنشر الدعوة ، ونُظّمت الغزوات من أجل هذا الهدف العظيم . ومن تلك الغزوات ، التي خرجت من المدينة المنورة ، كانت أولاها ضد دومة الجندل ، قادها الرسول ﷺ بنفسه . وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة (٦٢٦م) .

ابتدأت هذه الغزوة في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول للسنة الخامسة

للهجرة ، وعادت إلى المدينة في التاسع عشر من شهر ربيع الثاني ، كما ذكر الواقدي[١] . وأيده في هذه الرواية محمد بن اسحاق[٢] ، الذي قال إن الرسول ﷺ خرج في غزوة إلى دومة الجندل ، بعد أن ولّى سبع بن عرفطه إدارة المدينة . وكان يصحب الرسول ألف رجل ، ودليل من بني عذره اسمه ، مذكور . فلما وصل المسلمون إلى دومة الجندل وجدوها خالية ، لأن سكانها فروا بعد سماعهم بتقدم المسلمين ، وخلّفوا وراءهم ماشيتهم وأمتعتهم ، فغنمها المسلمون . وعندما أرسل الرسول ﷺ رجالا للبحث عن الفارين من الأهالي ، لم يجدوا إلا رجلاً واحدا أقنعوه بالرجوع معهم . واعتنق الرجل الإسلام على يد الرسول ﷺ . ثم عادت الغزوة إلى المدينة .

وذكر الطبري[٣] ، أن عودة المسلمين إلى المدينة المنورة كانت في العاشر من شهر ربيع الثاني في السنة الخامسة للهجرة .

ويظهر أن من الأسباب ، التي أدت بالرسول ﷺ إلى غزو دومة الجندل ، إعتداءات جنود الأكيدر المتكررة على قوافل التجار ، المتجهة من المدينة إلى سوريا ونهبهم بضائعهم ومؤنهم . وزادت الاعتداءات حدة ، حتى وصلت مشارف المدينة المنورة نفسها ، فقرر الرسول ﷺ شن تلك الغزوة لتأديب المعتدين .

وعلى أية حال ، فإن الغزوة الأولى كانت لإخضاع دومة الجندل ، أو السيطرة عليها . وعلى الرغم من أن السكان ولوا هاربين ، مخلّفين بعض أمتعتهم وماشيتهم غنيمة هيّنة للمسلمين ، إلا أن المسلمين بدورهم انسحبوا من المدينة ، بعد وقت قصير . ومن الفوائد التي تحققت للمسلمين من غزوتهم هذه أن أنظارهم بدأت تتجه لدومة الجندل تمهيدا لفتحها وإخضاعها ، وهذا ما سنراه في الصفحات القادمة .

---

(١) الواقدي : كتاب المغازي ، حققه : ed. Marsden Jones, OUP , London (1965), I , PP. 402-404

(٢) ابن اسحق ؛

The Life of Muhammad, trans. Into English from the Arabic by A. Guillaume. OUP (1974), P. 419

(٣) الواقدى : المرجع السابق ص ٤٠٤ ، وانظر أيضا في كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري ، حققه :

. ed. M. J. de Goeje, **Prime Series III** (1881-1882). pp. 1462-1463

وقد ناقش المؤرخ الرحالة التشيكي موسيل تاريخ تلك الغزوة ، وشنّها في شهر ربيع الأول . فاستبعد شن تلك الغزوة في هذا التاريخ ، الذي يصادف منتصف شهر أغسطس (آب) ، لأن جو الصحراء الشديد الحرارة في هذا الشهر يجعل السير مستحيلاً ، بسبب جفاف الآبار على طول الطريق ، وكذلك ندرة الحشائش ، الواجب توافرها لرعي الإبل ، آخذاً في الاعتبار المسافة ، التي كان على المسلمين أن يقطعوها في هذه الظروف بين المدينة المنورة ودومة الجندل ، ثم المدينة المنورة ، وتقدر بتسعمائة كيلاً . وهو أمر يرى أنه لا يمكن إنجازه في فترة الـ ٢٥ يوماً ، التي يُقال إن الغزوة استغرقتها . وربما اعتمد موسيل في شكوكه على أن ابن هشام وابن اسحق ، وهما ممن يعتد بهما في ما يتعلق بالتاريخ الإسلامي ، لم يُحددا مدة الغزوة .

ويُرجّح موسيل أن الغزوة الأولى ، ربما وقعت في وقت مبكر من فصل الربيع ، في السنة الخامسة للهجرة .

ويبدو أن استبعاد موسيل شن هذه الغزوة في هذا التاريخ ، المذكور بسبب شدة الحرارة في جو الصحراء وقتئذ ، يعالج الأمر من ناحية مادية ، ويُغفل عدة نواح أخرى مادية وروحية . ذلك أن العرب ألفوا فعلاً حياة الصحراء ، ببردها وحرها ، وتكيفوا مع طبيعة الحياة حتى أصبحت لديهم أنماطٌ معلومة من رحلات الشتاء والصيف . وتكيّفوا مع هذه البيئة بكامل مقوماتها ، واعتادوا التحرك في بلاد العرب في كل فصول السنة ، وفقاً لمصالحهم . كما يبدو أن موسيل أغفل جانباً على قدر عظيم من الأهمية ، هو الجانب الروحي ، وما يتعلق بعقيدة الإنسان المؤمن الصادق مع ربه .

فالمؤمن يبيع نفسه وماله في سبيل الله . قال تعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[١] .

---

(١) سورة التوبة (الآية ١١١) .

وقال تعالى : ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يُصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كُتب لهم به عملٌ صالح إنَّ الله لا يُضيع أجر المُحسنين﴾[1] .

ولم يكن خافياً على المؤمنين أن حرَّ نار جهنم أشد من حر الصحراء صيفاً ، فقد قال تعالى : ﴿فرح المُخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يُجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون﴾[2] .

وعلى هذا ، فإن استبعاد موسيل شن الغزوة الأولى في اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الأول في السنة الخامسة للهجرة ، أمر -في نظرنا- في غير محله ، إذا أخذنا في الاعتبار الوضع المادي والروحي للمسلمين . وما ذكره عن استحالة قطع المسافة بين المدينة ودومة الجندل ثم المدينة في **٢٥** يوماً ، فإنه قد يبدو أمراً ممكناً عند غيره .

ب- الغزوة الثانية :

يروى أن الغزوة الثانية كانت في شهر شعبان في السنة السادسة للهجرة (يناير - فبراير ٦٢٨ م) . وترد رواية عن سبب هذه الغزوة تقول : "والظاهر أن شرّهم -يعني أهل دومة الجندل- لم ينقطع عن تجار المدينة ، حتى اضطر الرسول ﷺ إلى أن يرسل إليهم سرية عليها عبد الرحمن بن عوف . وأوصاه حين دفع إليه اللواء بقوله «خذه يا ابن عوف فأغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم» ، ثم قال «ان استجابوا لك فتزوج بنت ملكهم»"[3] .

(١) سورة التوبة (الآية ١٢٠) .

(٢) سورة التوبة (الآية ٨١) .

(٣) حمد الجاسر : في شمالي غرب الجزيرة ، ص ١١٤ .

ولمّا بلغ عبد الرحمن بن عوف دومة الجندل ، دعا أهلها إلى الإسلام ؛ فأسلم الإصبغ بن عمرو الكلبي ، من كبار كلب ، وأسلم معه ناس كثيرون من دومة ، وتزوج عبد الرحمن (تماضر) ابنة الإصبغ ، هي أم أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف ، ويشير كل من الواقدي واليعقوبي إلى أن هذه الغزوة لم تكن موجهة إلى دومة الجندل ، بل ضد القبائل التي كانت تعيش إلى الجنوب والجنوب الغربي منها ، حتى أن اليعقوبي ، وهو بصدد الحديث عن هذه الغزوة تجاهل ذكر دومة الجندل ، مشيراً إلى أن هذه الغزوة كانت موجهة ضد قبيلة كلب ، خاصة وقد كان من نتائجها دخول أحد فروع قبيلة كلب في الإسلام .

وإذا كان الواقدي يُعد الإصبغ بن كلب أميراً أو ملكاً لقبيلة كلب ، فإن اليعقوبي لا يُعده كذلك ، بل يدعوه بالسيد فقط .

ويقول موسيل[١] إنه لم تكن هناك أية قبيلة بدوية شمالية ، تدعو زعيمها بألقاب الأمراء أو الملوك ؛ ذلك أن قبيلة كلب نفسها لم تكن تمتلك القوة الكافية في تلك الأزمنة ، بحيث يكون لها ملك ، إذ إنهم كانوا يخضعون للغساسنة ، الذين ما كان لهم أن يقبلوا إطلاق "لقب" ملك على أحد التابعين لهم ، بأي شكل من الأشكال .

ج- الغزوة الثالثة :

وعلى الرغم من الغزوتين الأولى والثانية لدومة الجندل ، إلا أن الإسلام على ما يبدو لم يستتب فيها ، وهو ما كان سبباً لشن الغزوة الثالثة ، في السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م) . ويبدو أن الأكيدر ، حاكم دومة الجندل وعامل الإمبراطور البيزنطي (هرقل) ، واصل تعرّضه للقوافل التجارية القادمة من المدينة المنورة ، بسبب إعراض التجار عن التوقف في مدينته . ويقول حمد الجاسر[٢] في هذا الصدد : "ولعل لمكانة دومة الجندل وكثرة التجارة بها ، وعدم تعريج أحد من المدينة عليها ، دخلاً في هذا التعرّض ، الذي

---

(١) Musil, **Arabia Deserta**, pp.538--539

(٢) حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة . ص ١١٣ .

لا يبعد أن يكون للمنافسة التجارية أثر فيه غير قليل" .

أرسل الرسول ﷺ خالد بن الوليد ، على رأس غزوة إلى دومة الجندل ، في السنة التاسعة للهجرة ، يرافقه أربعمائة وعشرون فارساً . وكانت مدينة تبوك منطلقاً للغزوة ، حيث كان الرسول ﷺ بها مع خالد ، إثر غزو المسلمين لها . ويُروى أن الرسول ﷺ قال لخالد : «ذاك ستجده يصيد البقر»[1] ، مما يؤيد حقيقة ولع الأكيدر بالصيد ، ومهارته فيه .

ويختلف المؤرخون فيما حققته هذه الغزوة ، ولهم في نتائجها أقوال كثيرة ؛ فمنهم من يقول إن خالداً أخضع دومة الجندل بالقوة ، وأخذ ملكها أسيراً . وتقول هذه الرواية إن خالداً حاصر الأكيدر وأخاه وأتباعهما في القلعة ؛ ولكن الأكيدر رأى خارج أسوار القلعة بقرة وحشية ، فدفعه حبه للصيد إلى الخروج من القلعة حيث كان المسلمون يترصدونه ، فأخذوه أسيراً وقتلوا أخاه حساناً . وتقول رواية أخرى إن الاكيدر كان يجلس مع زوجته على سطح القلعة في ليلة مقمرة ، عندما رأى بقرتين وحشيتين بالقرب من بوابة القلعة ؛ فأغراه حبه للصيد بالخروج إليهما ، حيث حاصره المسلمون وأسروه . ويروي الواقدي أن خالد بن الوليد أطلق سراح الاكيدر ليُقنع أخاه حساناً ، الذي كان لا يزال معتصما داخل القلعة ، ليفتح أبوابها للمسلمين[2] .

ومن المحتمل أن خالداً لم يحاول تحصين دومة الجندل . أو البقاء فيها . بسبب القوة الصغيرة . التي كانت ترافقه ؛ وربما يكون من الأصح أن نكتفي بالقول إن خالداً أسر الأكيدر خارج دومة الجندل ، عندما كان الأخير في رحلة صيد . ولّما أصبح الأكيدر أسيراً لدى المسلمين أخذوه معهم إلى المدينة المنورة إلى رسول الله ﷺ .

ويتساءَل (موسيل)[3] : كيف استطاع خالد أن يترك وراءه قوة في دومة الجندل ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٢) Musil, **Arabia Deserta**, p. 539 .

(٣) المرجع السابق ، ص . ٥٤١ .

والعودة إلى المدينة المنورة مع الأكيدر أسيراً ومعه الغنائم ، التي كسبها ، ولا يرافقه سوى نفر قليل من جنده ، ويسير كل المسافة بين دومة الجندل والمدينة المنورة ، وسط جموع كبيرة من القبائل المعادية للمسلمين؟ .

ويعلق موسيل أن مثل هذه الرواية تنقصها الدقة ، لأن خالداً كان سيحتاج إلى كل قوته لترافقه في رحلة العودة إلى المدينة المنورة ، لضمان السلامة في طريق محفوفة بالمخاطر . ويخلص أخيراً إلى تأكيد الرواية التي تقول ، إن خالداً لم يترك وراءه قوة في دومة ، ولم يقم بفتحها آنذاك ، بل أخذ الأكيدر أسيرا عندما صادفه في رحلة من رحلات الصيد ، التي كان يقوم بها الأكيدر بين وقت وآخر ؛ فعاد به القائد المسلم إلى الرسول ﷺ في تبوك .

ويذكر المؤرخون المسلمون في مجيء الأكيدر إلى الرسول ﷺ ، أن الأكيدر كان على مظهر من القوة والثراء ، وأنه أهدى للرسول ﷺ بعض الهدايا . ويذكر حمد الجاسر[1] أن الأكيدر أخرج قباء من ديباج ، منسوجاً بالذهب مما كان كسرى يكسوهم به فقال : (يا رسول الله اقبل مني هذا ، فإني أهديته لك) ، فقال الرسول ﷺ : «ارجع بقبائك فإنه ليس أحد يلبس هذا في الدنيا إلا حُرمه في الآخرة» . فرجع به إلى رحله حتى أتى منزله ؛ ثم إنه وَجدَ في نفسه أن تُرد عليه هديته ، فرجع وقال : (يا رسول الله ، إنّا أهل بيت ، ويشقُ علينا أن تُرد هديتنا ، فاقبل مني هديتي) . فقال النبي ﷺ : «ادفعه إلى عمر» .

ويذكر الجاسر[2] أيضاً ، أن الأكيدر أرسل إلى رسول الله ﷺ جبة من ديباج منسوجاً فيها الذهب ، فلبسها الرسول ﷺ ؛ وأنه أهدى أيضا جرة منٍّ إلى رسول الله ﷺ ، فأعطى لكل واحد قطعة .

وبعد وصول الأكيدر إلى الرسول ﷺ في المدينة ، وإشهار إسلامه ، كتب له

---

(١) حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص ١١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٧ .

الرسول ﷺ كتاباً فيه أمان ، وما صالحه عليه . وقد ورد أن كتاب الرسول ﷺ أو معاهدته مع الأكيدر ، كانت بالنص الآتي : «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام ، مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها ، إنه له الضاحية من الضحل والبور والمعامي وإغفال الأرض ، والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامن من النخل والمعين من المعمور وبعد الخمس لا تعدل سارحتكم ، ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات . تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذاك العهد والميثاق لكم بذلك الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين»[١] .

كما ذكر أنه قد وفد حارثة بن قطني بن زائد بن حصن بن كعب بن عليم الكلبي ، وحمل ابن سعدانه بن حارثه بن مغفل بن كعب بن عليم ، إلى رسول الله ﷺ فأسلما . فعقد لحمل بن سعدانه لواء ، فشهد بذلك اللواء صفين مع معاوية ؛ وكتب لحارثة بن قطني كتاباً فيه «هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب مع حارثة بن قطن : لنا الضاحية من البعل ، ولكم الضامنة من النخل ، على الجارية العشر وعلى الغائرة نصف العشر ، لا تجمع سارحتكم ولا تعدل فاردتكم ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة بحقها ، لا يحظر عليكم النّبات ولا يؤخذ منكم عشر الثبات ، لكم بذلك العهد والميثاق ، ولنا عليكم النصح والوفاء وذمة الله ورسوله ، شهد الله ومن حضر من المسلمين»[٢] .

ويرمي موسيل ظلالاً من الشك حول صحة المعاهدة ، التي سبق ذكرها ، بين الرسول ﷺ وبين الأكيدر ، فهي تتضمن إشارة واضحة إلى أن الأكيدر قد أعلن إسلامه[٣] ؛ بينما هنالك الكثير من الروايات ، التي تذكر أن الأكيدر قد دفع

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) Musil, **Arabia Deserta**, p. 542 .

الجزية مما يعني أنه لم يُسلم . ويقتبس حمد الجاسر عن ابن حجر قوله ، الذي يخلص فيه إلى أن من يقول بإسلام الأكيدر فقد أخطأ خطأً ظاهراً بل كان نصرانياً ، وهذا رأي تؤيده الأحداث اللاحقة . وعلى أية حال ، فإن الرسول ﷺ لمّا صالح الأكيدر ، عاد هذا إلى حصنه وبقي فيه إلى أن أسره خالد في أيام أبي بكر ، وقتله كافراً[١] .

وإذا افترضنا أن الأكيدر أعلن إسلامه ، فإن من الثابت أنه قد ارتد عن الإسلام ، بعد وفاة الرسول ﷺ . وهنا يختلف المؤرخون في مصيره ، بعد ذلك ؛ فمنهم من يقول إن الخليفة عمر بن الخطاب أجلاه من دومة الجندل إلى الحيرة ، فنزل في موضع فيها قرب عين التمر ، وبنى فيها منازل سماها دومة ، وقيل دوماء .

وتذكر في هذه المناسبة الأبيات التالية :

يا من رأى ظعنا تحمل غدوه　　من آل اكدر شجوه يعنيني

قد بدلت ظعناً بدار إقامة　　والسير من حصن أشم حصون

---

(١) حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص ١١٧ .

٢ - دومة الجندل في عهد أبي بكر الصديق

ذُكر أنه في السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ م) ، أرسل الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه قائدين مسلمين لفتح السواق ، وهي المنطقة الواقعة إلى الشمال والشمال الشرقي من الجزيرة العربية . وسلك كل من القائدين ، خالد بن الوليد وعياض بن غنم ، طريقاً مختلفاً إلى السواق[1] . فأما عياض فقد سلك الطريق الرئيسي عبر الصحراء ، حيث أوصلته إلى دومة الجندل مباشرة . وفي الوقت نفسه اتجه خالد بن الوليد إلى العراق ، وأخضع الحيرة والأنبار ، قبل أن يعود لمساندة حملة عياض بن غنم على دومة الجندل .

وتبيّن المصادر التاريخية العربية أهمية هاتين الحملتين . فكما عرفنا من قبل ، فإن الرسول ﷺ كان قد عين امرأ القيس بن الإصبغ ، زعيماً على قبائل كلب وقضاعة . ولكن هاتين القبيلتين ارتدتا عن الإسلام بوفاة الرسول ﷺ ، بينما بقي امرؤ القيس على ولائه للمسلمين ، وأراد أن يشن حملة على وديعة تنفيذاً لأوامر الخليفة أبي بكر .

وفي ذلك الوقت وصل القائد الإسلامي (أسامة بن زيد) إلى مواطن قضاعة ، وبدأ حربه ضد المرتدين ، وهي الحرب التي أصبحت تعرف بحروب الردة (من السنة الحادية عشرة للهجرة/ ٦٣٢ م إلى السنة الثالثة عشرة للهجرة / ٦٣٤م) . وأرسل أسامة إلى امرىء القيس يطلب مساعدته ، وهذا ما دفع قضاعة إلى ترك مراعيهم والالتجاء إلى وديعة في دومة الجندل .

ويرى بعض المؤرخين أن امرأ القيس كان له قليل من الأتباع بين قبائل كلب وقضاعة ، وأنه ربما كان في الأصل زعيماً لفرع من كلب ، وأنه ما وصل إلى مكانته تلك من الرفعة والسلطة ، إلا عن طريق المسلمين ، الذين كان بدوره يعتمد عليهم في مساندته . وبهذا تمتع امرؤ القيس بنفوذ قوي وفعال في دومة الجندل ، نتيجة لعلاقته بالمسلمين في المدينة المنورة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٨-١١٩ .

وتوجد دلائل تشير إلى أن امرأ القيس لم يحقق الكثير في حروبه ضد المرتدين ، في منطقة دومة الجندل ، قبل وصول القائد المسلم أسامة ؛ لأن من الثابت أن المرتدين كانوا يستطيعون الوصول بماشيتهم إلى دومة الجندل نفسها ، وهذا ما يعزز الرأي الذي يقول إن دومة الجندل لم تكن خاضعة في الحقيقة لأمرىء القيس ، وأتباعه من المسلمين .

ويعطينا موسيل الصورة التالية عن علاقة المسلمين بالقبائل ، التي كانت تسكن في المناطق المحيطة بدومة الجندل إبّان تلك الفترة فيقول :

"إن أبا بكر سعى للسيطرة على دومة الجندل ، وهى أعظم واحة في شمالي الجزيرة العربية ، وذلك من أجل سحق قوة القبائل المعادية . واستناداً إلى رواية سيف ، فإن الأقرع وشرحبيل تقدما بقواتهما إلى موطن قضاعة عند دومة الجندل ، بينما كان عمرو بن العاص في الوقت نفسه يشن غاراته على قبائل سعد وبلي . وعلى أية حال ، فالظاهر أنه لا عمرو ولا شرحبيل قاما بالهجوم على دومة الجندل نفسها . وبعد إخماد حركة المرتدين ، تم إخضاع بعض قبائل قضاعة ، وعيّن أبو بكر عَمْراً والوليد بن عقبة ، زعيمين على تلك القبائل . كما عيّن عمرو بن العاص شخصاً يُدعى (عمرو) ممثلاً له ، وقائداً لقوات المسلمين . وعمرو هذا من قبيلة عذره ، إحدى فروع قبيلة قضاعة . أما الوليد بن عقبة ، فقد عيَّن امرأ القيس قائداً للقوات الموجودة قريباً من دومة الجندل . وجمع عمرو وامرؤ القيس أنصارهما ، ودمجا قواتهما تمهيداً لتحقيق مطالب أبي بكر"[١] .

ويُضيف موسيل : "وطبقا لما ورد ذكره سابقاً ، فقد كان على عمرو والوليد إخضاع قضاعة ؛ ولكنهما فشلا في إخضاع القبيلة كلها . وعندما ذهبا إلى سوريا تركا هذا الواجب لزعيمين ، أحدهما من قبيلة عذره ، والثاني من قبيلة كلب ، وناصر عمرو وأتباعه المسلمين في المناطق والمراعي الواقعة جنوبي تيماء ، بينما انضم امرؤ القيس بن الإصبغ الكلبي ، إلى قبائل قضاعة الموالية ، وذلك في المناطق الواقعة بين تيماء ودومة

---

(١) Musil, **Arabia Deserta**, p. 547 .

الجندل . ونستنتج من ذلك أن امرأ القيس لم يحكم دومة الجندل ، وأنها لم تكن معقلاً قوياً للمسلمين ، وإلا لدانت لامرىء القيس بكل تأكيد . ويُرَجّح أن الزعيمين ، سالفي الذكر ، قد استمالا قبائل قضاعة بالإقناع والترغيب ، أكثر منه بالقوة"[١] .

وإضافة إلى الحملات العسكرية المبكّرة ، التي شنها المسلمون في منطقة دومة الجندل ، فإنهم بدأوا بإرسال حملاتهم باتجاه العراق ، في زمن أبي بكر ، مع تركيز المزيد من الاهتمام على دومة الجندل . واستناداً إلى الطبري ، فإن موسيل يلخص الوضع العسكري للمسلمين قائلاً : "كان على المسلمين أن ينفذوا أوامر أبي بكر ، بمهاجمة العراق من الشمال والجنوب . فكان على خالد بن الوليد أن يقود الجيش المتجه إلى الجنوب ، وذلك بعد عودته من معركة اليمامة المظفرة . أما عياض بن غنم ، فقد أوكل إليه الهجوم من الشمال . وكان عياض آنذاك في قلب الجزيرة العربية ، ما بين (النباج) والحجاز . وكان عليه السير إلى (المسيخ – Musajjah) ، ومن هنا يغزو العراق . وموقع (النباج) هذا لم يجر تعيينه بالضبط[٢] ، وإن كان مطابقاً لموقع محطة (النبكية) ، على الطريق الرئيس المؤدي إلى البصرة . وبما أن الحدود الشرقية للحجاز تمتد إلى الجنوب الغربي من تيماء ، فإن المنطقة التي شملت نشاط عياض وجيشه كانت تمتد من (النباج) ، إلى واحة تيماء . ولمّا كان عليه تنفيذ أوامر أبي بكر ، فإنه لا يستطيع اختراق (المسيخ – Musajjah)[٣] ، وشمال العراق ، إلا عن طريق دومة الجندل فقط . وهذا ما كان يفرض عليه مهاجمة دومة بجيشه ، وبمساندة من يناصره من مسلمي قضاعة"[٤] . ويبدي (موسيل) الملاحظات الآتيــة فيقول :

"إنه لم يستولي على دومة الجندل ويخضعها تماماً ، فقد كان باستطاعة القبائل الشمالية أن تقطع كل وسيلة اتصال بين العراق وسوريا ، كما كان يمكنهم توجيه ضربة

(١) المرجع السابق ص ٥٤٧ .

(٢) اسم (النباج) مرادف لموقع في الوقت الحاضر يقع إلى الشرق من طبرجل في وادي السرحان .

(٣) (المسيخ) مكان لم يجر تحديد موقعه .

(٤) Musil, **Arabia Deserta**, p. 549 .

قاصمة للمسلمين ، الذين يقاتلون في المنطقتين المذكورتين"[١] .

وهكذا ، فمن الواضح أن المسلمين كان عليهم إخضاع دومة الجندل لأسباب سياسية وجغرافية ، إضافة إلى السبب الرئيس وهو نشر الدين الإسلامي . ذلك أن دومة الجندل كانت تسيطر على الطرق التجارية ، في الجزء الشمالي من الجزيرة العربية ؛ إضافة إلى أنها كانت معقلاً للقبائل المناهضة للمسلمين . ومن هذه الواحة نفسها كان يمكن التحكم بالطرق التجارية بين سوريا والمدينة ، أو بين الحيرة والعراق والمدينة . وما لم تكن دومة الجندل بأيدي المسلمين ، فلن يتم إخضاع القبائل في شمالي الجزيرة .

لهذا فقد كانت الحملة على دومة الجندل واجباً تفرضه الضرورة ، لأسباب عسكرية وتجارية (كما سبق ذكره) . ويعلق (موسيل) على هذا الموقف بقوله : إذا فشل خالد بن الوليد في الاستيلاء على دومة الجندل ، فما كان في إمكانه مجرد التفكير بالسير عبر الصحراء من العراق إلى سوريا ؛ لأنه بعمله هذا يكون قد عرّض نفسه لمخاطر الهجوم ، ليس من قبل الفرس والبيزنطيين فقط ، بل من قبل بدو الشمال وسكان دومة الجندل نفسها . وعلى الرغم من أن المسلمين ثبّتوا أقدامهم في جنوب العراق ، إلا أن مواقعهم في شمال الجزيرة العربية كلها كانت مهددة بالمخاطر ، التي جسدتها دومة الجندل وما حولها من القبائل . ولهذا ، فإن استجابة خالد لمطلب عياض بن غنم بالمساعدة ، كانت سريعة ؛ إذ سار بجيشه في الحال من عين تمر إلى دومة الجندل ، حيث اشترك الجيشان في حصار المدينة . وبوجود الجيشين أصبح موقف المسلمين يؤهلهم الآن لهزيمة القبائل المعادية لهم . ويقدم موسيل[٢] وحمد الجاسر[٣] صورة لسكان دومة الجندل ، عندما سمعوا بتقدم جيش خالد بن الوليد باتجاه مدينتهم ؛ فنرى أنهم سرعان ما أرسلوا موفديهم إلى كل القبائل الحليفة طلباً لمساعدتهم . ومن ناحية أخرى ، شنّوا هجوماً على عياض بن غنم للتخلص منه ، قبل وصول قوات خالد بن الوليد لمناصرته . وكذلك ،

---

(١) المرجع السابق ص ٥٤٩ .

(٢) Musil, **Arabia Deserta**, p. 550 .

(٣) حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص ١١٨-١١٩ .

فإن أهالي دومة الجندل استدعوا حلفاءهم ، عند سماعهم بتقدم خالد وجيشه . ولكن قادتهم اختلفوا فيما بينهم . ويقول حمد الجاسر[1] : " . . . ولمّا بلغ أهلها مسيره ، بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم ، وكان وديعة قد أتاهم من قبل في كلب وبهراء ، يسانده ابن وبره بن رومانس ، وأتاهم الحدرجان في الضجاعم ، وابن الأيهم في طوائف من غسان ، فلمّا بلغهم دنو خالد وهم على رئيسين أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعه وقد اختلفوا . فقال أكيدر : أنا أعلم الناس بخالد ، ولا أحد أيمن طائراً منه ، ولا أحدٌ في حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قلوا أو كثروا إلا انصرفوا عنه ، فأطيعوني وصالحوا القوم ؛ فأبوا عليه . فقال : لن أمالئكم على حرب خالد ، فشأنكم فخرج ، وبلغ ذلك خالداً فبعث عاصم بن عمرو معارضاً له ، فأخذه ، فقال : إنما تلقيت الأمير خالداً ، فلما أُتى به خالداً أمر به فضربت عنقه ، وأخذا ما كان معه . ومضى خالد حتى نزل على أهل دومة الجندل ورؤساؤهم الجودي بن ربيعه ، ووديعة الكلبي وابن رومانس الكلبي وابن الأيهم الغساني وابن الحدرجان الضجعمي ، فجعل خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض ، وكان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بالحصن لم يحملهم الحصن" .

" فلما اطمأن خالد ، خرج الجودي فنهض بوديعه ، فزحفا لخالد وخرج الحدرجان وابن الأيهم إلى عياض ، فاقتتلوا فهزم الله الجودي ووديعة على يد خالد ، وهزم عياض من يليه وركبهم المسلمون ، فأما خالد فانه أخذ الجودي أخذا ، وأخذ الأقرع بن حابس وديعة وأرز بقية الناس إلى الحصن فلم يحملهم ، فلما امتلأ الحصن أغلق من فيه الباب دون أصحابهم ، فبقوا حوله جرداء ، فقال عاصم بن عمرو : يا بني تميم . . حلفاؤكم كلب أجيروهم وآزروهم ، فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها ، ففعلوا وكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بن تميم بهم . وأقبل خالد على الذين أرزوا إلى الحصن ، فقتلهم حتى سد بهم باب الحصن ، ودعا خالد بالجودي فضرب عنقه ، ودعا بالأسارى فضربت أعناقهم ، إلا أسارى كلب فإن عاصماً والأقرع وبني تميم قالوا : قد أمّناهم . فأطلقهم

(١) المرجع السابق ، ص ١١٨-١١٩ .

خالد لهم وقال : مالي ولكم ؟ أتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام . فقال عاصم : لا تحسدهم العافية ، ولا تحوزهم الشيطان .

ثم طاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه ، واقتحموه عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا الشرخ ، فأقاموهم فيمن يزيد . فاشترى خالد ابنة الجودي ، وكانت موصوفة . . . وممن استشهد في هذه الوقعة في دومة الجندل نافع بن غيلان بن سلمة الثقفي ، فجزع عليه غيلان وكثر بكاؤه"[١] .

وأقام خالد بدومة الجندل فترة من الزمن ، قبل عودته إلى الحيرة ؛ وهناك استُقبل استقبالاً حافلا[٢] .

وهكذا انتهت الحملة الرابعة والأخيرة على دومة الجندل . وكان من نتيجة هذه الحملة أن أصبحت المدينة والمنطقة كلها بأيدي المسلمين ، ما مكّنهم من مواصلة حملاتهم على سوريا ، خاصة وقد أصبح الجزء الشمالي من الجزيرة العربية مأمون الجانب بالنسبة لهم .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٢) Musil, **Arabia Deserta**, pp. 551-552 .

٣- التحْكيم

من أهم ما يرد عن دومة الجندل في عهد الخلفاء الراشدين ، حادثة (التحكيم) بين علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان . ففي أثناء النزاع ، الذي جرى بين علي ومعاوية ، الذي وصل حدَّ الاقتتال بين أتباعهما في موقعة صفين ، في السنة السابعة والثلاثين للهجرة / ٦٥٧م ، اتفق الطرفان على تحكيم القرآن الكريم في خلافهما ، على أن يختار كل طرف منهما شخصاً يمثله ، بحيث يكون قرار هذين الشخصين فاصلاً في القضية . وقد كثر القول في أن التحكيم ربما قُصد به خديعة ، أراد بها معاوية إيقاع الفرقة في جماعة علي عندما ظهر له أن الحرب كانت تسير ضده . يقول الطبري في ذلك[1] (فلما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد ، وخاف في ذلك الهلاك ، قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فُرقة؟ قال : نرفع المصاحف ثم نقول : ما فيها حكم بيننا وبينكم ، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجد فيهم من يقول : بلى ينبغي أن نقبل ، فتكون فرقة بينهم ، وإن قالوا بلى نقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى أجل ، أو إلى حين ؛ فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم ، من لثغور الشام بعد أهل الشام ، ومن لثغور العراق بعد أهل العراق . فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت قالوا : نجيب كلمة الله عز وجل ونيب إليه) .

ويروى أن علياً بن أبي طالب شعر بالخديعة ، إلا أن قومه خالفوه وحدث ما توقعه عمرو بن العاص . واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري ، على الرغم من معارضة علي بن أبي طالب لذلك . واختار أهل الشام عمراً بن العاص . ويروى أن عمرا بن العاص كان يفوق الأشعري ذكاء . ولمّا اجتمع عمرو وأبو موسى في دومة الجندل سنة ٣٧ هـ ، اتفقا فيما بينهما على خلع علي بن أبى طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، على أن يكون الأمر شورى بين المسلمين ؛ فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبّوا .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، حققه :

. M. J. de Goeje, **Prima Series VII**, leiden (1898), P. 3329

وينقل الطبري عن رواية لأبي محنف[١] أنهما أقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال عمرو بن العاص : يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق ، فتكلم أبو موسى وقال : إن رأيي ورأي عمرو قد اتفقا على أمر ، نرجو أن يصلح الله عزّ وجل به أمر هذه الأمة . فقال عمرو : صدق وبر . يا أبا موسى تقدم فتكلّم ، فتقدم أبو موسى ليتكلم فقال له ابن عباس : ويحك والله لأظنه قد خدعك . إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ، ثم تكلّم أنت بعده ، فإني لا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فإذا قمت في الناس خالفك . فقال له : إنا قد اتفقنا . فتقدم أبو موسى فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، لم نر أصلح لأمرها ، ولا ألم لشعثها ، من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه . وهو أن نخلع علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا . ثم تنحى فأقبل عمرو بن العاص ، فقام مقامه فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وقال : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية فإنّه وليّ عثمان بن عفان ، والطالب بدمه وأحق الناس مقامة .

وهناك من المؤرخين من يشكك في أن التحكيم قد جرى في دومة الجندل ، إذ يقول أكثر الرواة – كما يقول ياقوت – إن التحكيم كان بأذرح ، مستشهدين بأن أكثر الشعراء قد ذكروا أذرح في ما يتعلق بحادثة التحكيم هذه[٢] .

ومما ورد في الشعر المتعلق بذكر حادثة التحكيم ، وحصولها في دومة الجندل ، قول الشاعر الأعور الشني :

رضينا بحكم الله في كل موطن ... وعمرو وعبد الله مختلفان

وليس بهادي أمة من ضلالة ... بدومة شيخا فتنة عميان

ومن الجدير بذكره هنا ، أن أبا موسى نقلا عن النبي ﷺ ذكر أن تحكيما آخر سبق ،

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ص ٣٣٥٨-٣٣٥٩ .

(٢) حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص ١٢٠ .

وأنه جرى في دومة الجندل بين اليهود عندما " حكم في بني اسرائيل في هذا الموضع -يقصد دومة الجندل- حكمان بالجور"[1] .

أما (ابن جرير ، وقبله ابن سعد في الطبقات وغيرهما من المؤرخين ، نصوا على وقوع التحكيم في دومة الجندل ، و ذكروا بأن أذرح هي المكان الثاني بعد مرور عام ، إذا لم يحضر الحكمان أو أحدهما)[2] .

وقد روى أن كتاب القضية بين علي ومعاوية قد كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من شهر صفر سنة ٣٧هـ ، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان ، مع كل واحد منهما أربعمائة من أصحابه ؛ فإن لم يجتمعا لذلك ، ففي العام المقبل بأذرح . ويرى ابن جرير أن اجتماع الحكمين كان بدومة الجندل[3] .

وقد ناقش هذا الأمر الشيخ حمد الجاسر في كتابه (في شمال غرب الجزيرة)[4] مناقشة موضوعية ، نوردها لأهميتها ، فقال :

(وجاء في تاريخ ابن خلدون : "والتقوا بأذرح من دومة الجندل"

وعلق المحشى : "كذا في الأصل" وهكذا أوردت في تاريخ ابن الأثير : "حتى توافوا من دومة الجندل بأذرح" . وقد ورد في الطبري : "وأنهما يجتمعان في دومة الجندل فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح" وأن بين دومة الجندل وأذرح تسع مراحل ، والمعروف ان اجتماع الحكمين كان بدومة الجندل ، وأن كلمة "أذرح" زائدة هنا في الطبري وابن الأثير) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٠-١٢١ .

(٣) ورد تأكيد لهذا الرأى في الموسوعة الإسلامية الإصدار الجديد .

(٤) حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص ١٢١ .

ويقول الشيخ الجاسر : "ونضيف إلى هذا أن "أذرح" هي في الشام وليست متوسطة بين الفريقين ، فعلي رضي الله عنه كما هو معروف في الكوفة . ومعاوية -رحمه الله- في دمشق . وأذرح قريبة من دمشق ، بخلاف دومة الجندل ، التي تقع في مكان متوسط ، وعلى بعد متساو من مكاني الرجلين . ولعل مما أوقع ياقوت وغيره أن كتاب القضية ينص على أن التحكيم يكون في دومة الجندل في السنة الأولى ، وإذا لم يتم فيكون بأذرح ، لعل اختيار أذرح كان من معاوية ، رحمه الله . وأن علياً رضي الله عنه لم يُقم لهذا الاختيار اعتباراً لأنه صمم على اجتماع الحكمين في السنة الأولى ، وفعلاً تم ذلك" .

وقد جاء عند الطبري أنه في سنة **٣٩هـ** . بعث معاوية مُسلماً بن عقبة المري إلى دومة الجندل ، وكان أهلها قد امتنعوا عن بيعة علي ومعاوية ، فدعاهم إلى طاعة معاوية وبيعته فامتنعوا . وبلغ ذلك عليًّاً فَسَيَّرَ مالكاً بن كعب الهمدان في جمع ، إلى دومة الجندل ، فلم يشعر مسلم إلا وقد وافاه مالك ، فاقتتلوا يوماً ثم انصرف مُسلم منهزماً وأقام مالك أياما يدعو أهل دومة الجندل إلى البيعة لعلي ولم يفعلوا ، وقالوا : لا نبايع حتى يجتمع الناس على إمام ، فانصرف وتركهم[1] .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، حققه :

. M. J. de Gieje, **Prima Series VI**, PP. 3358-3359

٤ – دومة الجندل ومنطقة الجوف من منتصف القرن الأول الهجري/السابع الميلادي إلى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي

تُعدُّ الفترة الممتدة من التحكيم ، بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، في سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧-٦٥٨م ، حتى بداية الدولة السعودية الأولى في القرن ١٢هـ/١٨م ، من أكثر الفترات غموضاً في تاريخ دومة الجندل ومنطقة الجوف ، حيث تندر المعلومات المتعلقة بالوضع الاجتماعي والسياسي ، إلا من إشارات عابرة دوّنها الجغرافيون والمؤرخون ، تتعلق بالبلدات أو المنطقة . كذلك فإن الأدلة الأثرية والنقوش ، التي اكتشفت حتى الآن ، لا تمثل قدراً كبيراً من المعلومات . أما الروايات الشفهية المحلية ، فهي الأخرى محدودة ، وغير موثوقة . وقد أشار الرحالة البريطاني وليام جيفورد بالجريف ، الذي زار الجوف عام ١٨٦٢م ، إلى شح المعلومات حول هذه الفترة . . . .[١] .

هذه الفجوة في المعلومات التاريخية ، يمكن إرجاعها إلى حقيقة أن مجيء الإسلام وضم دومة الجندل ساهم في اضمحلال ازدهار المدينة ، وتهميش دورها في التاريخ ، عمّا كانت تتمتع به في العصر الجاهلي[٢] .

وقبل دراسة أسباب اضمحلال دور دومة الجندل ، وتقييم درجات هذا الاضمحلال ، لا بد من الإشارة إلى أن الأدلة الأثرية ، وبقايا البلدة القديمة بدومة الجندل ، تشيران إلى أن البلدة وبساتينها كانتا أكبر حجماً ، خلال العصور القديمة . وأن بقايا أسوار البلدة تؤكد هذه الحقيقة . كما أن السور القديم ، الذي يحيط بها ، كان أكبر من البلدة نفسها في العصور المتأخرة[٣] ، إضافة إلى أن الرقعة الزراعية ، كانت كذلك أكبر مما هي عليه في نهاية الفترة ، التي نحن بصددها .

---

(١) William Gifford Palgrave, **Narrative of a Year's Journey throuh Central and Eastern Arabia (1862-63)**, 3rd. ed., 2 vols., London, Macmillan, 1866, vol. 1, p. 62.

(٢) Musil, **Arabia Deserta**, p. 552.

(٣) See, e.g., Al-Muaikel, vol.1 pp. 328-29; Wallin, p. 31.

أول الرحالة الأوربيين ، جورج أوغست والن ، الذي مكث في دومة الجندل أربعة أشهر خلال عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م ، أشار إلى الوضع الزراعي في دومة الجندل خلال عصر ما قبل الإسلام ؛ لكن لا بد من الإشارة إلى أن والن لم يكن لديه أدلة دامغة حول العصر الحضاري ، الذي يشير إليه كما يلي :

" . . . . البساتين ومزارع النخيل تنتشر على مساحة شاسعة من الوادي ، ويوجد هناك عدد كبير ووافر من الآبار والعيون ، وجميعها كان يحيطها سور واحد . وفي الحقيقة فإنه لا زالت هناك بقايا زراعات قديمة ، تشمل مساحة أكبر مما هي عليه الآن . ومن وقت إلى آخر تُكتشف بقايا قنوات مياه أرضية ، شيدت بالحجارة المقطوعة بطريقه جيدة ، ويُعتقد أنها كانت في الماضي تُستخدم لجمع مياه الأمطار في الآبار ، أو لنقل مياه الآبار والعيون ، وهذه القنوات اختفت في الوقت الحاضر . وخلال وجودي في دومة الجندل ، كُشف في حي السعيدان عن قناة حجرية واسعة ، يستطيع الرجل المشي داخلها واقفاً ، ويعتقد أنها كانت تؤدي إلى البئر الوحيد في مزارع ذلك الحي . ولكون هذه القناة مليئة بالرمال ، لذلك لم يُكشف إلا جزء منها ، وبالتالي فإن مصدر هذه القناة واتجاهها لم يحدد . كذلك عثر على قنوات أخرى في دومة الجندل ، كانت تتجه إلى أماكن لا يظهر في الوقت الحاضر أنها مستزرعة"(١) .

وعودة إلى أسباب اضمحلال حضارة دومة الجندل ومنطقة الجوف ، لا بد أن يُشار في البداية إلى أنها أسباب معقدة . أولاً : رأينا في الصفحات الماضية أن دومة الجندل تمتعت في عصور ما قبل الإسلام ، بوضع مدينة الدولة ؛ وثانياً : أن دومة الجندل لم تزدهر فقط على منتجات المدينة الزراعية ، بل كان ضمن سكان المدينة التجار ، الذين كانوا يتاجرون مع البلدات والمناطق الأخرى . ثالثا : كانت دومة الجندل ملتقى طريقين : الطريق القادم من اليمن وجنوب غرب الجزيرة ، عبر شمال غربها باتجاه الشمال نحو سوريا وفلسطين عبر وادي السرحان ، والطريق الثاني القادم من العراق ، كلا الطريقين كانا طرق قوافل مزدحمة . رابعاً : سوق دومة الجندل ، التي تُعقد لمدة شهر في كل عام ،

---

(١) Wallin, p. 31 .

ويفد إليها سكان الجزيرة من أركانها الأربعة ، إضافة إلى التجار من سوريا والعراق . وأخيراً ، فإن دومة الجندل كانت مركزاً دينياً لسكان المنطقة والبادية ، التي كانت تفد عليها من الصحراء القريبة . وبعد دخول دومة الجندل ضمن الأراضي الإسلامية ، فقدت البلدة كل تلك المميزات ، التي كانت تتمتع بها قبل الإسلام .

وقد حدثت بعض التغيرات سريعاً ، وأخرى وقعت خلال المئة سنة التالية . وانتهى فجأة وضع دومة الجندل كدويلة مستقلة ، وكذلك وضع المدينة كمركز ديني للمنطقة بكاملها . وتغير وضع الأسواق الموسمية في الجزيرة العربية ، ولكن التغير الأكثر أهمية ، هو تغير الموقع الإستراتيجي لدومة الجندل على طرق القوافل ، وقد تأثر كثيراً بسقوط الخلافة الأموية سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م .

نقل العباسيون مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد ، وربطوا عاصمتهم الجديدة بأهم الطرق التجارية عبر مدينة الكوفة ، ومنها مباشرة إلى الأراضي المقدسة ، في مكة المكرمة والمدينة المنورة . لذلك ، فإن دومة الجندل فقدت أهميتها كملتقى طرق ، ومن ثمَّ فإن الطريق ، الذي يمتد من جنوب الجزيرة إلى بلاد الشام عبر دومة الجندل ، فقد أهميته كمحصلة لانتقال مركز الخلافة باتجاه الشرق إلى العراق . هذه التحولات أسهمت بشكل ملاحظ ، وعملت على التأثير على الوضع الاقتصادي لدومة الجندل .

وإضافة إلى ما سبق ذكره ، فإن عوامل أخرى أسهمت في التغير ، كما أشار إلى ذلك فريق المسح الأثري ، الذي زار المنطقة عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م . فقد ذكروا أن عوامل بيئية أسهمت في التغير ، الذي حدث خلال العصور الإسلامية ، حيث استطاعت الصحراء التغلب على الإنسان ، ومن ثمَّ فإن عدداً من المواقع الأثرية في حوض الجوف طمرتها الرمال . لذلك ، فإن التحولات التي حدثت في العصور الإسلامية ، تُعزى أسبابها إلى التغيرات البيئية[١] .

وكما ذُكر سابقاً ، فإن هناك إشارات عابرة لدومة الجندل في عدد من المصادر

---

(١) Adams, p. 39 .

العربية ، ومعظمها ذات طابع جغرافي حُدد من خلالها موقع دومة الجندل ، والمسافة بينها وبين المدن المهمة القريبة منها .

كذلك ، توجد إشارات ذات طابع مختلف ، لها علاقة بالطرق التي تمر عبر دومة الجندل ووادي السرحان ، واستخدام تلك الطرق بواسطة عدد من الشخصيات في أوقات مختلفة . فعلى سبيل المثال ، سلكها الشاعر المتنبي ، وعدد من القادة العسكريين ، أمثال علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، خلال صراعهما ، أو بواسطة العباسيين خلال الأيام الأخيرة للدولة الأموية[١] .

كما توجد إشارات ذات نمط مختلف ، وهي تذكر القبائل في منطقة الجوف ووادي السرحان ، أو تذكر أحداثاً محددة في المنطقة . وأول تلك المعلومات ليس لها علاقة بموضوع هذا الجزء من الكتاب ، أما ثانيها فتحمل أهمية أثرية محدودة جداً . وفي المقابل ، فإن هناك معلومات ذات أهمية كبيرة ، خاصة لأولئك المهتمين بالجانب التاريخي للمنطقة . لذلك ، فإن المعلومات التي سوف نعرضها هنا ، ستكون شاملة وتعالج أحداث منطقة الجوف ووادي السرحان . كذلك فإننا هنا لن نحصر أنفسنا بالمصادر المبكرة ، بل سيكون للكتّاب المُحدثين ، الذين تحدثوا عن المنطقة نصيب من هذه المعالجة . وكما رأينا في الجزء الخاص بالغزوات الإسلامية ضد منطقة الجوف ، فإن القبيلة المسيطرة في المنطقة كانت قبيلة كلب . وتبدأ قصتنا بأحداث العداء بين قبيلة كلب القحطانية وقبيلة بني سليم القيسية العدنانية . يذكر أبو الفرج الأصبهاني :

"يذكر زيد بن يزيد بن عمير بن الحباب ، استناداً إلى كبار رجال قبيلته بني سليم ، أن عُمير بن الحباب غزا كلباً حيث قابل مجموعة منهم عددها ٦٠٠ أو ٧٠٠ رجل في منطقة الإكليل وقتل عدداً كبيراً منهم . . . . ، ومرة أخرى كونت قبيلة كلب مجموعة من المقاتلين ، لكن عمير قتلهم أو جرحهم . وبعد ذلك غزاهم عمير مرة أخرى وقابلهم بالجوف وقتلهم . ثم بعد ذلك غزاهم مرة أخرى في السماوه ، وقتل عدداً كبيراً

---

(١) Musil, **Arabia Deserta**, pp.520-23 .

والمعركة الدامية التي ذكرها أبو الفرج ، بدأت بهجوم قيس ضد قرقيسيا ، حاضرة كلب . وقد ردت كلب بقتل بعض رجال من قبيلة قيس ، كانوا يعيشون بينهم في تدمر . وتبع ذلك هجوم قيس على الإكليل . وقد حدث هذا الصراع خلال فترة حكم الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ) . وكان ذلك محصلة للخلاف بين القبيلتين ، الذي أثارته أسباب عديدة ، أهمها نفوذ بني كلب لدى البلاط الأموي . وقد ازداد هذا الصراع بصورة كبيرة ، منذ معركة مرج راهط التي كانت القبيلتان فيها في مواجهة . وكان لزعيم كلب حسان بن مالك بن مجدل ، دور في تثبيت خليفة مروان بن الحكم ، عندما كانت كلب ذات ثقل عسكري ، إلى جانب حلفائهم غسان والسكون والسكاسك وتنوخ وطي وقين . وقد قاتلوا بجانب الأمويين ضد عبدالله بن الزبير ، المطالب بالخلافة ، وحلفائه بني سليم من قيس ، ويؤازرهم بنو عامر من هوزان وذبيان وغطفان . وقد انتهت المعركة لصالح الأمويين ، وتعرض خلالها بنو قيس لهزيمة ثقيلة لن ولم ينسوها . إلا أن العداء الذي استشرى بين كلب وقيس ، والدماء التي أريقت ، أضعفت قبيلة كلب إلى درجة أفقدتهم سيطرتهم على صحراء السماوة ، وأدت بهم إلى الهجرة إلى فلسطين لبعض الوقت[١] . وخلال المراحل الأخيرة من الصراع ، بين العباسيين والأمويين ، أرسلت قبيلة كلب ألفين من المقاتلين لمساعدة حاكم بصرى الأموي ؛ لكن جزءاً كبيراً من هذه القوة قاتلت عند وصولها إلى جانب العباسيين . ومع ذلك ، وبعد انتقال السلطة إلى العباسيين مباشرة ، شاركت قبيلة كلب في تمرد ضد الحاكم الجديد[٢] . وخلال الحكم العباسي ، هاجمت مجموعة من بادية كلب مراكز السلطة ، وعلى سبيل المثال هاجموا وقتلوا الحاكم العباسي لمدينة حمص في سوريا (٢٥٠هـ) ، وفي مناسبة أخرى ، وبالتعاون مع قبائل أخرى ، هزموا حاكم الموصل (٢٩٤هـ) ، وفي العام نفسه هُزمت مجموعة من بادية كلب وطي في ميدان المعركة ،

---

(١) لمزيد من المعلومات عن معركة مرج راهط أنظر : الطبري ، تاريخ الأمم ، ج ٢ ص ٤٧٢ - ٤٨٦ ؛

Hitti, pp.192, 280-81; Julius Wellhausen, **Arab Kingdom and its Fall,trans**, Margaret Ggraham Weir, ed, A. H. Harley, London, Curzon Press, 1973, pp.170-84, 201-07; **Encyclopaedia of Islam**, s.v. " Kalb b. Wabra: II. . - Islamic Period", by A. A. Dixon

(٢) **Encyclopaedia of Islam**, s.v. "Kalb b. Wabra: II. - Islamic Period" , by. A. A. Dixon .

من قبل الجيش العباسي[١] . وخلال حركة تمرد القرامطة (٢٦١-٢٧٠هـ) ، استطاع هؤلاء إقناع فصائل من قبيلة كلب بالانضمام إليهم ، خاصة بنو العليس بن دمدام وبنو الإصبغ[٢] وبنو زيد . وقد شاركت كلب ، بين الحين والآخر ، في الغزوات ، التي كان يشنها القرامطة ، خاصة تلك الغزوات الموجهة إلى المناطق الشمالية . وبعد مهاجمة مدينة طبرية ، وقتل نائب والي الأردن ، أرسل الخليفة العباسي المكتفي بالله ، جيشاً قوياً ضد كلب . وحتى تحمي كلب نفسها من هذا الجيش العباسي ، قتلت القائد القرمطي ، وأُخذ رأسه إلى بغداد لتؤكد للخليفة العباسي ولاءها ؛ لذلك لم يقم الخليفة بأي إجراء ضدهم[٣] .

جاورت قبيلة طي القحطانية كلباً من الشمال . وقد تميزت علاقات كلب وطي بأنها علاقات صداقة قوية . كانت القبيلتان أقوى القبائل ، التي قطنت شمال الجزيرة العربية . أما في اتجاه الغرب ، فقد جاورتها قبيلة عنزة العدنانية ، وفي الجنوب الشرقي كانت تجاورهم قبيلة غطفان ، وهي قبيلة عدنانية كذلك[٤] .

وخلال القرن الرابع الهجري بدأت قبيلة كلب تضعف ، وكان من أسباب ذلك اتجاه أفراد القبيلة للاستقرار ، إضافة إلى دورهم في الحركة القرمطية[٥] . وقد استقرت كلب في عدد من الحواضر في الجوف ووادي السرحان ، إلا أن بعضهم انضوى تحت قبائل أخرى . أما هؤلاء الذين فضلوا البقاء في البادية ، فكان دورهم محدوداً وهاجر بعضهم باتجاه الشمال[٦] .

وفي القرن الرابع الهجري ، أصبحت قبيلة طي تسيطر على صحراء النفود . وشمل

---

(١) Ibid .

(٢) من المعتقد أن هؤلاء هم بنو الأصبع بن عمرو ، قائد أحد فصائل كلب خلال الغزوة الإسلامية الثانية ضد دومة الجندل .

(٣) **Encylopaedia of Islam**, s.v. "Kalb. Wabra: II. - Islamic Period" , by. A.A. Dixo; **Encylopaedia of Islam**, s.v. " Kqrmati", by W. Madelung.

(٤) حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ٤٣ ، ١٥٤-١٥٥ .

(٥) لمرجع السابق ، ص ٤٤- ١٢٢ .

(٦) المرجع السابق ، ١٢٢- ١٥٥ .

نفوذها الجوف ، التي أصبحت تعرف بجوف آل عمرو ، نسبة إلى آل عمرو ، وهم من فرع الفضل من قبيلة طي[1] . وذكر أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (٧٠٠-٧٤٩هـ) ، أن آل عمرو كانوا مسيطرين في الجوف[2] ، وقد ورد ذلك في سياق حديثه عن آل فضل وفروعهم ، والمناطق التي كانوا يسيطرون عليها . ويعتقد أن آل عمرو سكنوا الجوف خلال القرن السابع الهجري ، وقد ازداد نفوذ فضل في شمال الجزيرة العربية ، خاصة بعد ضعف قبيلة كلب ، حتى استطاع آل فضل وقبيلتهم طي مدَّ نفوذهم من سوريا ، حتى الجوف ووادي السرحان ، واستمرت سيطرتهم ونفوذهم على هذه المناطق ، خلال الفترة الواقعة بين القرنين السابع والتاسع الهجريين[3] . ومن المحتمل أن نفوذ آل عمرو في الجوف قد استمر ، حتى بداية القرن الثالث عشر الهجري[4] . وفي المقابل ، نجد أن قبيلة السرحان ، وهي إحدى فروع قبيلة كلب ، أصبح لها نفوذ في وادي السرحان ، خلال القرن الثاني عشر الهجري . ويذكر مصطفى الدباغ أن وادي السرحان سمي بذلك ، نسبة إلى تلك القبيلة ، التي هاجرت في وقت لاحق شمالاً باتجاه الأردن وفلسطين وما تزال بقاياهم تعيش حتى الآن[5] .

وفي الوقت نفسه ، الذي بدأت فيه قبيلة كلب بالاضمحلال ، بدأت قبيلة عنزة وغطفان بالدخول إلى وادي السرحان والجوف . ويذكر الحسن بن أحمد الهمداني (توفي ٣٣٤هـ) في كتابه "صفة جزيرة العرب" ، أن ذبيان ، إحدى فروع قبيلة غطفان ، سكنت وادي السرحان[6] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٢) احمد بن يحي بن فضل الله العُمرى ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، مخطوطة رقم ٣٤١٧ ، متحف أيا صوفيا ، استانبول ، ج ٤ ، ورقة ٢٩ ؛ نقلا عن حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص ١٢٢ .

(٣) حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص ٤٤ ، ١٢٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٥) مصطفى الدباغ ، الجزيرة العربية : موطن العرب ومهد الإسلام ، جزآن ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣م ، ج ١ ، ص ١٧٤ ؛ نقلاً عن حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص ٤٣ ، ١٢٢ ، ١٥٦ .

(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٢ ؛ حمد الجاسر يقرأ بياض قراقر على أنها بياض قرقر ، وذكر أن الهمداني سمى الوادي بوادي بياض قرقرا على أنها بياض قرقر ؛ حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص ٤٣ ؛ كذلك قال الويس موسل ، أن قرقر أو قرقير موارد ماء في وادي السرحان ١٨٠ كم إلى الجنوب الشرقي من عمان عند تقاطع طريقين مهمين ؛ انظر

. Musil, **Arabia Deserta**, pp.494-95

ومنذ بدأت بعض فروع غطفان ، وعدد من القبائل العدنانية الأخرى ، الاختلاط بقبيلة عنزة ، بدأت كذلك عنزة الاختلاط ببعض فروع من قبيلة طي ، وبعض عناصر كلب . لذلك ، ظهرت قبيلة جديدة تتكون من بعض عناصر من غطفان وعدنان . ومع ذلك فالعنصر العدناني هو الأكثر سيطرة . وهذه القبيلة الجديدة هي قبيلة الرولة ، فرع من قبيلة عنزة . وقد بدأ ظهور قبيلة الرولة في المنطقة بشكل كبير ، بعد سقوط الدولة السعودية الأولى في عام ١٢٣٣هـ .[١] .

وإضافة إلى تاريخ القبائل في منطقة الجوف ووادي السرحان ، فقد تحدثت بعض المصادر المتأخرة عن الإسلام في دومة الجندل ، قبل عهد الدولة السعودية الأولى ، وذكرت بعض الممارسات ، التي كان السكان يمارسونها . فيذكر جورج أوغست والن أن قوات الدولة السعودية الأولى ، عندما دخلت دومة الجندل ، هدمت قبراً قديماً في حي الدرع ، كان السكان يزورونه ، ويعتقدون أنه قبر ذي القرنين[٢] . وقد أكد حاجي خليفة وجود هذا القبر وقال : "يوجد في الجوف نبع ماء يجري من أسفل لوح رخامي كبير ، والذي بنى فوقه ذو القرنين قبة ، وفي عام ١٥١٣م وجد كنز فضي عظيم بالقرب منه . . ."[٣] . أما الكاتب الثالث ، الذي تحدث عن الديانة في دومة الجندل قبل عهد الدولة السعودية الأولى ، فهو الرحالة البريطاني وليام جيفورد بالجريف ، الذي زار الجوف في صيف عام ١٨٦٢م ، وأشار إلى أن السكان لا يملكون معلومات ذات قيمة تتعلق بأصولهم ، وتاريخ استقرارهم في دومة الجندل ؛ إلا أنهم يجمعون على أن أصولهم تنحدر من قبيلة طي[٤] .

---

(١) حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص ٤٤ ، ١٥٥-١٥٦ .

(٢) Wallin, p. 32 .

(٣) Haji Khalifa, op. Cit., p.530, cited by Musil, **Arabia Deserta**, p. 553 .

(٤) **Palgrave**, Vol. 1 p. 61 .

٥ - الآثار المعمارية في تلك الفترة

أ - مسجد عمر بن الخطاب في دومة الجندل :

إن أحد أهم المعالم الأثرية في دومة الجندل ، مسجد ينسب إلى الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب ﵁ . وقد أورد (الدكتور جيوفري كنج) من جامعة الملك سعود[١] ، الذي زار المسجد في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، وصفاً له . كما أن الرحالة جورج والن ، الذي سبق أن زار منطقة الجوف عام ١٢٦٠-١٢٦١هـ (١٨٤٥م) ، أورد وصفاً مختصراً للمسجد في كتابه ، الذي وضعه عن رحلاته في تلك الفترة[٢] .

يصف (الدكتور كنج) المسجد بأنه مبنى قديم من الحجر ، أُعيد بناء بعض أجزائه في مراحل متأخرة . ويقول (والن) إن الأمراء السعوديين ، في الدولة السعودية الأولى ، أعادوا بناء المسجد على موقعه القديم نفسه . كما يقول أيضا إنه في عام ١٢٦١هـ ، وهو العام الذي زار المنطقة فيه ، كانت مئذنة المسجد هي المئذنة الوحيدة في دومة الجندل . ويعتقد احتمال أن المبنى كان كنيسة قبل الإسلام ، لأن الديانة النصرانية عُرفت في المنطقة آنذاك . (انظر فصل : "الديانات في دومة الجندل قبل الفتح الإسلامي") وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها ، ولكن لا يوجد سبب مادي يؤكد الاعتقاد أن المسجد كان كنيسة في الأصل .

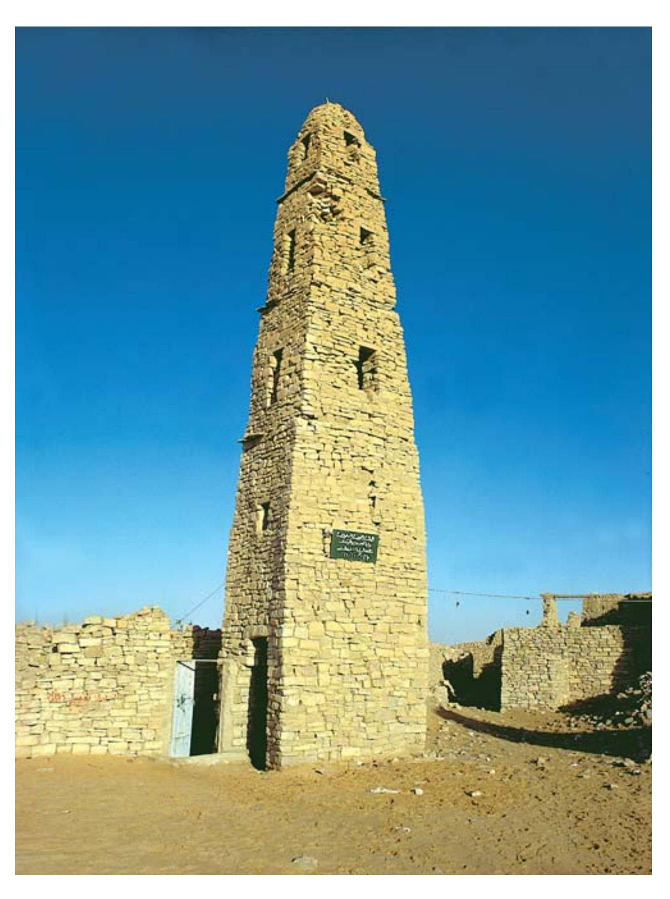
ويقول (الدكتور كنج) في وصفه للمسجد ، إن جدار القبلة يقع إلى الجهة الجنوبية الغربية من المبنى ، وأن هذا الجدار يحد طريقاً غير ممهد يخترق قاعدة المئذنة . أما المئذنة نفسها ، فهي عند الزاوية الجنوبية من المسجد ، في موقع مستقل عن باقي المبنى . أما البناء نفسه فمن الحجر ، وقد تكون حجارة البناء ، في كل من المسجد والمئذنة ، أخذت

---

(١) Geoffrey King, “Amosque attributed to Umar b. Al-Khattab in Dumat al-Jandal in al-Jawf, Saudi Arabia”, **Journal of the Royal Asiatic Society**, (1978), No. 2, pp. 109-123.

(٢) G.A. Wallin, " Narrative of a Journey from Cairo to Medina & Mecca , by Suez, Araba, Tawila, al-jauf, Jubbe, Hail and Nejd, in 1845" , **journal of the Royal Geographical Society** XXIV (1854), pp. 141-142.

من قصر مارد ، الذي يشرف مباشرة على المسجد . ومن الأدلة المتاحة يمكننا القول إن مادة البناء الرئيسة في دومة الجندل ، قبل الإسلام وبعد ظهوره بقليل ، كانت الحجارة . ويتم الدخول إلى بهو المسجد من خلال باب خشبي ، يوجد في الجهة الجنوبية من المبنى . ومن هناك يؤدي ممر غير مسقوف إلى المكان المخصص للصلاة في المسجد ، كما يؤدي أيضاً إلى سلم حجري ، يستعمل للصعود إلى السطح ومنه إلى المئذنة . وداخل المسجد مقسّم إلى ثلاثة أجزاء ، تفصلها صفوف من الأعمدة توازي جدار القبلة . أما السقف ، الذي يرتكز على هذه الأعمدة ، فهو مستوٍ وقد بني من الخشب وسعف النخيل ، وهي المواد التقليدية في أواسط الجزيرة العربية . ويوجد في جدار القبلة عدد من التجاويف المستطيلة ، تُحفظ فيها المصاحف الشريفة . وقد طُليت بعض الأجزاء الداخلية من المسجد بالجبس . وإلى الجهة الشمالية من قاعة الصلاة ، توجد ساحة مستطيلة الشكل .



مئذنة مسجد عمر بدومة ا لجندل

وجدار القبلة في المسجد ملفت للانتباه ، بسبب وجود محرابين فيه ، وقد وضع منبر في المحراب الثاني ، وتوجد منابر مثله في عدد من المساجد ، في أجزاء مختلفة من الجزيرة العربية . وعلى هذا ، فإن تصميم البناء في مسجد عمر يتفق مع نمط البناء



مسجد عمر من الداخل

العربي التقليدي ، ويمكن تمييز مكان المحراب على السطح الخارجي لجدار القبلة ، بسبب وجود بروز غير منتظم يشذ عن باقي الجدار .

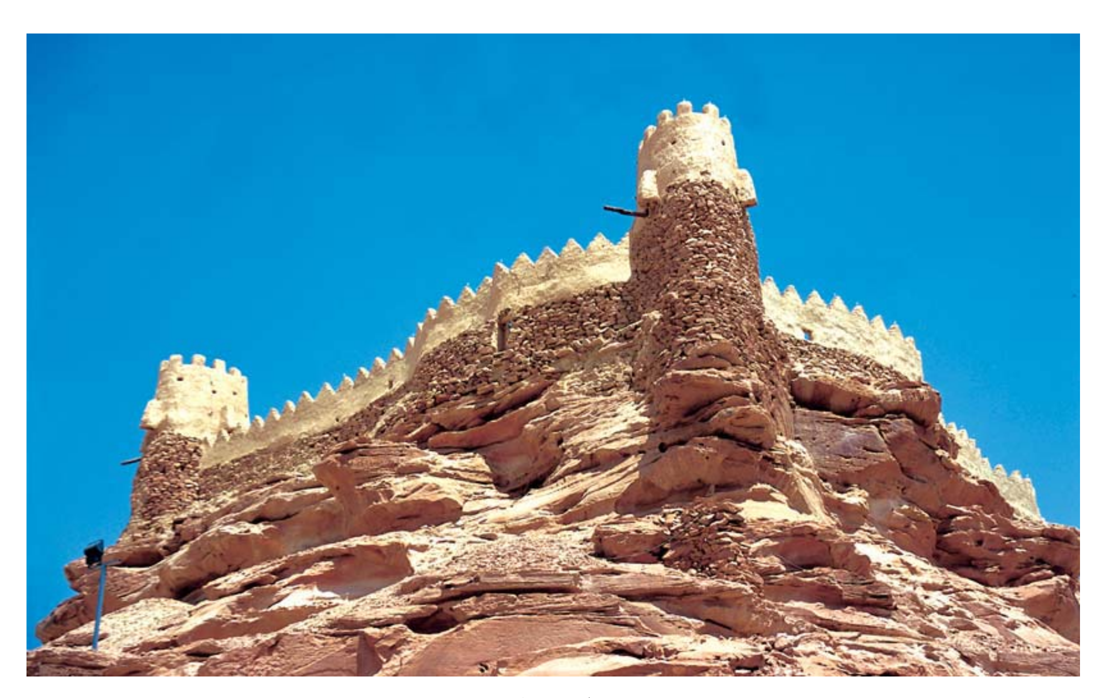
يبلغ ارتفاع المئذنة الحجرية خمسة عشر متراً ، والجزء الأسفل منها مربع الشكل ؛ ثم تبدأ جدرانها العلوية بالميلان نحو الداخل ، لتكوّن في النهاية شكلاً هرمياً . ويُعد شكلها هذا ، فريداً ومتميزاً لمآذن المساجد في المملكة العربية السعودية . أما من الداخل ، فتقسم المئذنة إلى أربعة مستويات ، أو طوابق ، مبنية على سقف الممر ، الذي يؤدي إلى الطريق الخارجي . والدخول إلى المئذنة من طريق الصعود إلى سقف المسجد أولاً ومن هناك إلى الطابق الأول منها . وكانت الطوابق العليا للمئذنة تتصل ببعضها ، بواسطة سلم حجري ؛ ولكن بعض أجزاء السلم انهارت ، مما جعل الصعود إلى المئذنة مستحيلا الآن . ويدخل الضوء المئذنة عن طريق النوافذ ، التي في جدرانها .

ب- قلعة زعبل :

تقع هذه القلعة على رأس هضبة من الصخر الرملي ، وهي هضبة شديدة الانحدار في الطرف الشمالي الغربي من مدينة سكاكا . ومواد البناء المستعملة فيها هي الحجارة والطين .

إن قصر زعبل هو عبارة عن قلعة ذات بناء غير منتظم الشكل ، له أربعة أبراج في زواياه ، أحدها لا يزال في حالة جيدة ، وتستطيع أن ترى من القلعة منظراً رائعاً لمدينة سكاكا ، بحدائقها وبساتينها الخضراء ، ومن خلفها الصحراء ، التي تمتد لمسافات شاسعة .

وكان الوصول إلى القلعة في رأس الهضبة ، يتم من طريق ضيق متعرج يتجه إلى الهضبة صعوداً . ولا شك أن موقع القلعة هذا ، جعل منها حصناً تصعب مهاجمته .



قلعة زعبل



قلعة زعبل من الداخل

ويوجد ضمن جدران القلعة أحواض دائرية الشكل ، ربما كانت تستعمل لحفظ الماء ، إذ لا توجد بها بئر ، كما هو الحال في قصر مارد في دومة الجندل .

ومن المعتقد أن تاريخ إنشاء القلعة يعود إلى مائة وخمسين سنة مضت ، ولا شك أن الأهالي لاقوا مشقة كبيرة في بنائها بهذه الصورة . وقد يكون بناء القلعة قد تم على أنقاض بناء أقدم من هذا التاريخ بكثير ؛ ولكن النقص الوحيد في القلعة ، الذي يقلل من قيمتها كحصن دفاعي لا يسهل اقتحامه ، هو عدم وجود مصدر دائم للمياه فيها .

ويتناقل أهل الجوف رواية مفادها ، أنه يوجد عند سفح الهضبة ، التي بُني فوقها قصر زعبل ، قبر أو مقام لأول صحابي وفد إلى هذه البلاد .

ويوجد بالقرب من زعبل غار منحوت ، يُدعى (غار حضرة) ولا يعرف سبب للتسمية . وقد يكون اسم لشخص عاش في هذا الكهف ، في أحد العهود القديمة .



قلعة الطوير القديمة

ج- قلعة الطوير :

هي عبارة عن مجموعة كبيرة من الصخور تقع في بلدة الطوير . وتوجد على هذه الصخور نقوش ثمودية وأخرى نبطية ، كذلك توجد عليها رسومات تمثل سبع نعامات .

د- قصر مويسن :

يقع هذا القصر في منطقة مويسن ، على مسافة ١٢كم تقريبا إلى الشمال الشرقي من دومة الجندل ، وعلى بعد حوالي ٣٠كم إلى الغرب من مدينة سكاكا . والقصر عبارة عن مبنى ذي مسقط مستطيل ، طوله ٢٧م وعرضه ١٠م ، وقد شيّدت جدرانه الخارجية بالحجر الرملي ، حتى ارتفاع مترين ، بينما بنيت الأجزاء العلوية للجدران الخارجية ، وجميع

الجدران الداخلية ، بالطوب اللبن . يتكون الجزء الداخلي للقصر من مجموعة من الغرف ، تفتح على ساحتين ، يفصلها جدار قاطع يقسّم الساحة الداخلية إلى قسمين . وتتركز وحدات المبنى في الجزء الغربي ، الذي عثر في جزئه الجنوبي على بقايا فرن . وتظهر إلى الشرق والجنوب من القصر أساسات حجرية ، وبقايا قنوات ري وآبار قديمة . وتدل المواد الأثرية ، التي عُثر عليها داخل القصر وخارجه ، تدل على أن أساسات المبنى تعود إلى مرحلة تسبق العصر الإسلامي ، إلا أن استخدام المبنى استمر حتى فترة ليست بعيدة[١] .

هـ- قلعة القدير :

تقع قلعة القدير على سفح صخري مرتفع إلى الغرب من قارا ، وهي عبارة عن مبنى حجري صغير الحجم ، لم يتبقّ منه إلا أساساته الحجرية ، التي ترتفع إلى أكثر من ٥ر١م . والجزء المتبقي من القلعة يظهر مبنى صغيراً ذا مسقط غير منتظم ، مساحته ٧ X ٦م تقريباً ؛ وفي إحدى زوايا المبنى توجد بقايا لبرج صغير . إنّ أهمية المبنى لا تنبع من طبيعته المعمارية ، بل إن اكتشاف نقش عربي يوجد على مسافة قريبة جداً إلى الشمال من المبنى أسهم في إبراز المبنى ، وحدّد تاريخ بنائه وصاحب البناء ، حيث يشير النقش إلى أن شخصاً اسمه حماد بن كعب قام بعمارة هذا البيت ، في أول شهر محرم من سنة ٥١٨هـ[٢] .

(١) AL-Muaikel, **Archaeology of the Jawf**, pp.126-129 .

(٢) AL-Muaikel, **Archaeolgy of the Jawf**, pp. 129 ,199 .

الفصل الخامس

التاريخ الحديث لمنطقة الجوف

١- منطقة الجوف والدولة السعودية الأولى

وصل نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى الجوف ، في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود الأول ، الذي خلف والده مؤسس هذه الدولة . ويرجع ولاء منطقة الجوف للحكم السعودي ، إلى عام ١٢٠٨ للهجرة / ١٧٩٣ للميلاد .

ويقول ابن بشر[(١)] عن الظروف ، التي أدت بالدولة السعودية الأولى إلى بسط نفوذها على المنطقة ما يلي :

"أمر عبد العزيز بن محمد بن سعود أهل الوشم والقصيم وجبل شمر ينفرون غزاة مع أمرائهم ، فصار أهل الوشم مع محمد بن معيقل ، وأهل القصيم مع محمد بن عبد الله آل حسن ، وأهل الجبل مع أميرهم محمد بن علي ، وأمرهم بأن يسيروا إلى دومة الجندل المعروفة بجوف عمرو في الشمال . فسار الجميع وأميرهم محمد بن معيقل ونازلوا أهل تلك الناحية وأخذوا منها ثلاثة بلدان ثم حاصروا الباقين وقتلوا عدة قتلى ، وقتل من الغزو رجال منهم عمهوج بن المعرقب" .

ويشير جورج أوغست والن ، الذي زار الجوف عام ١٢٦١هـ١٨٤٥/م[(٢)] ، إلى أنّ القوات السعودية انتقلت إلى أماكن أخرى ، وواصلت حملاتها بعد أن دانت لها السيطرة على الجوف . وقد عُيّن ممثل للإمام السعودي ليكون أميرا على الجوف . ويشير والن إلى أن الجيش السعودي دمر قبراً تعلوه قبة في حي الدرع ، في دومة الجندل .

وقد استمر النفوذ السعودي في الجوف ، حتى سقوط الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا ، في عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م . وبانضمام الجوف إلى الدولة السعودية الأولى ، أصبحت ترتبط إداريا بحائل ، التي شارك أميرها محمد بن علي ، في الحملة على الجوف وكان أحد قادتها .

---

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، الرياض ، ج١ ص ١٠١-١٠٢ .

(٢) G. A. Wallin, **Travels in Arabia**, (1845&1848), Falcon-Oleander, (1979) p.146 .

وبسقوط الدولة السعودية الأولى ، خضعت الجوف لنفوذ قبيلة الرولة ، وأمرائها من آل شعلان ، الذين قوي نفوذهم في شمال الجزيرة العربية ، ولكن لم يرد اسم أمير أو حاكم معين من آل شعلان ، حكم المنطقة آنذاك .

٢ - منطقة الجوف والدولة السعودية الثانية

قامت الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبد الله آل سعود ، في عام ١٢٣٨هـ . وعزّزها وقوّاها ابنه وخلفه الإمام فيصل[١] . وخضعت الجوف لنفوذ الدولة السعودية ، وكان عدد سكان المنطقة ، آنذاك ، أربعين ألفاً ، كما قدّره الرحالة بالجريف[٢] مع أن الرحالة ، الذين زاروا المنطقة بعده ، أعطوا أرقاماً أقل . وتختلف الروايات على السنة ، التي خضعت فيها المنطقة لحكم آل سعود ، بعد قيام الدولة السعودية الثانية .

ويُذكر في سياق الحديث عن الدولة السعودية الثانية ، أن فيصل بن تركي أرسل محمداً بن علي آل عرفج -أمير بريدة سابقاً- إلى الجوف ، ليكون أميرا عليها . وكان محمد آل عرفج من مواليد بريدة في القصيم ، وينتسب إلى قبيلة تميم . وكان الإمام تركي بن عبد الله قد أوكل إلى ابن عرفج إمارة بريدة أكثر من مرة ، ولكن الإمام فيصل عزله أخيراً وسجنه ، وعيّن ابن عم لمحمد بن عرفج مكانه[٣] . وبعد إطلاق سراحه ، أرسل ابن عرفج إلى الجوف ليُصبح أميرها ، وتنقل عنه الأبيات الآتية التي قالها متوجداً بها على مسقط رأسه :

آه واعـــزاه من جـــفـــن جـــفـــاه   جرهـدي الـنوم عن جلـد الصـريم

جاظ عقلي واجتهدت وقمت ألــوج   اتجلـد واجـتـلـد كـني كصيـم

---

(١) إضافة إلى ما نُقل عن مؤرخي نجد السابقين ، توجد دراستان عن الدولة السعودية الثانية في الوقت الحاضر ، الأولى بعنوان : السعودية في القرن التاسع عشر (Saudi Arabia in the Nineteenth Century) ، لمؤلفها ر . بايلي وندر (R. Bayly Winder) ، المطبوعة في لندن عام ١٩٦٥م . والثانية للدكتور عبدالفتاح أبو علية بعنوان : "الدولة السعودية الثانية" ، المطبوعة في المدينة المنورة عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٢) Palgrave, **Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arrabia**, (1862-1863), London and Cambridge (1865) Vol. I, p. 61

(٣) ابن عمه كان عبدالعزيز بن محمد آل عرفج .

تذكرت برد الشتا وعصر مضى — جنة الدنيا ولذات النعيم

وقوله وهو يصف الطريق لراكب الذلول :

اركبه يومين والثالث عساك — عند أهل جبة ولو عقب العتيم

والضحى باكر وفيد تلتفت له — من ورا منبوز وركيها مقيم

والعشا عقبه بديرة عزوة لي — مبرمين ابتوت نقاظ البريم

إلى قوله :

عمهم لي بالسلام وقل لهم — حاير بالجوف والمرعى وخيم

حار فكري من بكم يا عزوتي — لو لبي الراى ما فيكم حكيم

يبتصر بالحال عمن زارني — بايت وأصبحت واعز سقيم[1]

ومن المحتمل أنّ مجيء محمد آل عرفج إلى الجوف ، كان في عام ١٢٤٣هـ١٨٢٨/م . وبقي أميراً عليها إلى أن رجع إلى القصيم وقُتِلَ فيها عام ١٢٥٨هـ١٨٤١/م[2] .

عيّن الإمام فيصل بن تركي آل سعود عبد الله بن رشيد أميراً على حائل ، في سنة ١٢٥٠هـ١٨٣٤/م . وبقيت حائل وجبل شمر تحت إمرة آل الرشيد ، إلى أن أخضعها المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود لسيطرته عام ١٣٤٠هـ١٩٢١/م .

وفي الأيام الأولى لحكم آل رشيد لحائل وجبل شمر ، وبعد أن قوّى عبد الله بن رشيد مركزه هناك ، أرسل أخاه عبيد بن رشيد في حملة إلى الجوف عام ١٢٥٤هـ١٨٣٨/م ،

---

(١) يُعد محمد بن علي آل عرفج من شعراء نجد البارزين ، وله من شعر الغزل نصيب وافر . (انظر : منتجات من الشعر النبطي لأشهر شعراء نجد ، ص ١٨-٢٠) .

(٢) ورد في الطبعة الأولى من الكتاب قصيدة للأمير أحمد بن محمد السديري وقد ذكر أن تلك القصيدة قيلت بسبب تعرض أحد الإمامين تركي بن عبدالله ، أو ولده فيصل ، لحادثة في سوريه . والحقيقة أن تلك القصيدة قيلت في مناسبة غزوة إلى عُمان .

يرافقه ثلاثة آلاف رجل مع إبلهم ، وأجبر الأهالي في منطقة الجوف على دفع الزكاة ، ولكنه لم يترك هناك ممثلاً له ، أو حامية من جنده بعد انسحابه[١] .

وفي عام ١٢٦٩هـ١٨٥٣/م أعاد طلال بن عبد الله آل رشيد غزوه لمنطقة الجوف ، كما فعل أبوه من قبله ، وأرسل عمه عبيداً وأخاه متعباً على رأس هذه الحملة . وبهذا أصبحت الجوف خلال سنتين من هذا التاريخ ، تخضع لحكم آل الرشيد ، الذين تركوا بها حامية من جبل شمر تمركزت في عدد من المواقع المهمة في المنطقة . وكان طلال بن عبد الله بدوره ، يتبع سلطة الإمام فيصل بن تركي في الرياض[٢] .

وكان الوضع في منطقة الجوف مهيئاً لامراء آل رشيد ، لبسط سيطرتهم عليها في تلك الفترة . وفي هذا يقول الدكتور عبد الله صالح العثيمين :

"كان هناك صراع بين حي الدلهمية والسراح من جهة ، وخذما والجرعاوي من جهة أخرى ، وقد خرب في ذلك الصراع حي الجرعاوي الذي كان سكانه ينتمون إلى الرمال من قبيلة شمر ، وكان هؤلاء قد هاجروا من جبة إلى الجوف ، وفي عام ١٢٥٤هـ١٨٣٨/م تقريبا بعث أمير الجبل أخاه عبيدا ليضع حدا للصراع المشار اليه ، وكانت نتيجة ذلك أن دخلت الجوف تحت نفوذ عبد الله وأصبحت تدفع الزكاة دون أن يكون له ممثل مقيم فيها"[٣] .

وفي مكان آخر يوضح الدكتور العثيمين الدوافع ، التي جعلت ابن رشيد يهتم بمنطقة الجوف فيقول : "لم يكن غريبا أو غير متوقع أن يمتد نظر الأمير عبد الله بن رشيد إلى منطقة الجوف بعد أن استتبت له الأمور في جبل شمر ، ولعل ما شجعه على غزوها عدة أمور منها : أن تلك المنطقة كانت مربوطة بإمارة حائل من الناحية الإدارية في فترة غير بعيدة من زمن إمارته"[٤] .

---

(١) G. A. Wallin, **Travels in Arabia**, p. 146, A. Musil, Negd, New York, pp.(1928) pp. 238-239 .

(٢) Musil, **Northern Nagd**, pp. 238-240 .

(٣) عبد الله صالح العثيمين ، نشأة امارة آل رشيد ، (١٤٠١هـ١٩٨١/م) ص ١١٨-١١٩ . وانظر أيضا والن ص ١٤٤ ، ١٤٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١٩٩ .

وكان لأهالي جبة دور في مساعدة ابن رشيد على قطع الصحراء ، في طريقه إلى الجوف مع قواته . وكان عبد الله بن رشيد وشقيقه عبيد قد لجأ إلى جبة[1] في فترة سابقة ، ونالا مساعدة الأهالي وتأييدهم ، وبهذه المناسبة قال عبد الله بن الرشيد القصيدة الآتية في جبه وزعيمها ابن رخيص :

قل هيه يا اللي لي من الناس وداد ... ما ترحمون الحال يا عزوتي ليه
ما ترحمون اللي غدا دمعه ابداد ... طول الزمان وحرق الدمع خديه
من شوفتي للغر مزبور الأنهاد ... متمشلح ياطا على أقدام رجليه
الشوك ماله عن مواطيه رداد ... أيضا ولا سبت قوي يوقيه

ومنها أيضا :

جبة سقاك الله من الوسم رعاد ... ما حدرت خشم ام سنمان تسقيه
اللي بها للمنهزم زبن ميعاد ... من لاذ به كن الحرم لايذ فيه
ابن رخيص نازل حد الأجراد ... قال اقبلوا وانتم هل الدار ياهيه

ومنها :

عيسى يقول الحرب للمال نفاد ... والمال لمن هبت نسانيس ذاريه
عيسى يقول الحرب ما به لنا ازواد ... انشد مسوى السيف قل ليه حانيه
لا عاد ما انصل به ونضرب بالحداد ... ودوره يم العرفجيهترويه
والله لو اني من ورا جسر بغداد ... اني لكم مثل العمل عند راعيه

---

(1) Musil, **Northern Negd**, p. 238 .

أهالي الجوف والقوى المتنافسة :

أظهر أهل الجوف عدداً من المواقف ، اتسمت بالصلابة والتصدي ضد محاولة السيطرة على منطقتهم . وإذا كانت تلك المواقف لم تدون ، إلا أن الشعر العامي ، حفظ منها ما يُعرّف على بعض المراحل والصور التاريخية ، المتعلقة بهذه المنطقة . ويتمثل هذا المحفوظ من الشعر في قصائد عديدة ، تختص بحروب آل الرشيد وأهل الجوف . وقد ساعد على ذلك أن كلا الأميرين : عبد الله الرشيد ، وعبيد الرشيد ، كانا شاعرين ، وأن بعضاً من الأهالي كانوا شعراء أيضا ، كغالب السراح ووالده حطاب ومفضي العطية وغيرهم . ومن تلك القصائد ، التي تصور شدة الصراع حول حكم الجوف ، قصيدة عبيد العلي الرشيد ، التي قالها رداً على رسالة وصلت اليه من دومة الجندل ، تستنهضه لحرب خليف وحطاب في دومة الجندل ، إذ يقول :

يا لله ياللي للجزيلات وهــــاب ... تعطي ولا جزل العطا منك ممنــون

يا غافر الزلات يارب الأربـــاب ... يا ناصر موسى على قوم فرعـــون

تفتح لنا من باب نصرك لنا باب ... وأصحاب بدر وان فتحته يحضرون

آمين يا قاضي الحوائج والأنـــواب ... يا وامر وأمرك على الكاف والنــون

يا راكب اللي لا مشي يوثب أوثــب ... لا شفت زوله يختفق تقل مجنــون

عقب أربع يلفي عزيزين الأقراب ... اللي على الديرة قديم يحامـون

لولاك ما كزيت خط ونجّــاب ... لا بد ما نمشي وناصل على الهون

ان كان تشكي لي خليف وحطاب ... فالله خبر بعهود ناس يبوقون

وان كان تنخاني على عوج الأطناب ... فأنا ترى سيفي على الضد مسنون

حنا لذولا مجهدين بالأطلاب ... نتنا مراسيل من الهند يلفون

ان سهل الباري وجينا بالأطواب		السعر ما ينقص عن اللي تعرفون

آتيك بجموع يعايون الاداب		وا ويل من باشناق نزله يحلون

ضياغم ترخص حلاله والارقاب		ودون الرفيق بما لهم ما يدارون

فأجابه غالب بن حطاب بقصيدته الآتية :

ان جيتنا يا عبيد نفتح لك الباب		حنا نقيف وفن ربعك يخشون

الجوف تلقى به خليف وحطاب يهجون		ما هم فريق (. . .) عنكم يهجون

والله لو جمعت جندك والأطواب		ذي ديرة السراح دونه يعيون

للي دفس بربوعكم جر الأسباب		اللي له الدفّات يا عبيد تكسون

يا عبيد ما قصدك زكاة ونواب		كلام فاضي مير يا عبيد تكمون

يا عبيد يوم انك رفيق لحطاب		والدبس عند حسين يغرف بماعون

وبعد إحدى المعارك بين عبيد بن رشيد وأهل الجوف ، أنشد ابن رشيد قائلا :

جمع ما تعطي من اليد مخلوف		باسم الولي معطي العطايا الجسام

حنا على بعض القبايل بنا نوف		محنا من اللي عيشته بالكلامي

يارب يا معبود ياخالق الشوف		تكتب لنا نصر سريع شمامي

ملبوسنا جوخ وملبوسهم صوف		وردو كما ورد القطيع الظوامي

وقال عبيد بن رشيد في قصيدته الموجّهة إلى حطاب بن سراح ، من أهل الجوف :

يا من يبشر بي خليف وحطاب		تبشيرة الكافر بموسى وهارون

اللي رمى برصاص نرميه باطواب		وعقب الهدير أن ساعف الله لترغون

جبنا لهم من ديرة الهند الأطواب　　تسعين ليلة والمراسيل يمشون
ما تجرتي من تجرة الناس بخضاب　　من روس قوم للحراير يجرّون

وعندما تمكّن الأمير عبيد بن رشيد من القبض على حطاب وابنه غالب السراح بدومة الجندل ، وبطريقة تنبىء عنها قصيدة غالب السّراح بأنها محتملة الوقوع من قبيل عبيد بن رشيد ، وأنه كان بإمكانهما عدم الأخذ بظاهر قوله ، ومن ثم عدم إتاحة الفرصة له للتمكن منهما ، إذ يعاتب غالب أباه حطّاباً وهما في سجن ابن رشيد بحائل بقوله[1] :

يا ونتي ونة معيد ضعيفة　　على ديار خابرينه ورانا
من قبل ما حنا ذراها وريفة　　اليوم صارت تحت وطية عدانا
واليوم يا حطاب ما به حسيفة　　هذا جزاء ما تستحقه لحانا
ما طعت شوري يوم أنا بالسقيفة　　يومك تقول اهنا وانا أقول هانا
واليوم تمر الكسب عندي طريفه　　من قبل ما ناكل مذانب حلانا
ولو البكاء ينفع بكينا مريفه　　الغرس اللي شرعوا به عدانا
وانا أشهد ان عبيد جانا بحيفة　　وأنا أشهد انه سلطة من سمانا

ووصف مفضي العطية ، من أهالي الجوف ، معركة بين متعب بن رشيد ، وأهل الجوف في قصيدة له قال فيها :

في تالي الاتوام[2] متعب لفانا　　وادعى بمارد مثل ضرب النحاحيس

(١) أوردها الأستاذ عبدالرحمن بن عقيل مع بعض الاختلاف عمّا نوردها هنا . وكان ذلك في مجلة العرب (ج ٣ ، ٤ ، ص ٢٧٤) رمضان – شوال ١٤٠٢هـ وقد نسبها إلى حطاب بن سراح بينما هي لغالب ابنه ، ولهما بهذا قصة معروفة .

(٢) الاتوام : أي شهر جماي الثانية . والعرب هنا يسمون ربيع أول وربيع ثاني وجماد أول وجماد الثانية (أتوام) من توأم .

يبغى يكادينا ولا أبدا كدانا[1]	**وجيناه ما جازت علينا الدهاميس**
اللي وقع بأرض اللقائط فدانا	**ويفدا العيال اللي تدور النواميس**
لوا هني لو ان متعب تنانا[2]	**لما نفرغ باقي القرن[3] والكيس[4]**
متعب[5] وتى يبغي يقطع حلانا	**وبحّر جموعه بالقينة المفانيس**

---

(١) يريد أن يقارعنا وينهكنا ولم يتسن له ذلك .

(٢) تنانا : انتظرنا .

(٣) القرن : وفاض من الجلد يتجنده المحارب وبه ملح البارود .

(٤) الكيس : يحمله المحارب وبه الرصاص وغيره من الذخيرة .

(٥) هو متعب بن عبدالعزيز بن متعب ، حكم عشرة أشهر ، ثم قتله وأخويه : مشعلاً ومحمداً ، أبناءُ حمود بن عبيد وهم : فيصل وسلطان ومسعود وماجد ، وكان ذلك في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) .

٣ - منطقة الجوف والحكم العثماني

في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، قررت الحكومة العثمانية أن تمد نفوذها إلى منطقة الجوف . وكان ذلك يعني تحدياً لنفوذ ابن رشيد ، في شمال الجزيرة العربية . أما الظروف التي جعلت الحكومة العثمانية تتخذ مثل هذا القرار ، والدوافع التي كانت خلفه ، وإقامتهم القصيرة في الجوف ، ثم جلاؤهم عنها فتعكس تماماً ضعف ارتباط الحكومة العثمانية بهذه المنطقة ، والظلال الخفيفة التي تركها وجود العثمانيين فيها .

ويمكن أن تُرى رغبة الحكومة العثمانية ، في توسيع منطقة نفوذها ومده إلى الجوف ، من خلال رغبتها في السيطرة على معظم أجزاء العالم العربي آنذاك .

وهناك عدد من الروايات ، التي تتحدث عن مجيء الأتراك إلى هذه المنطقة ، ومع أنها روايات تصل إلى حد التناقض أحياناً ، إلا أن وجود عدد من الوثائق العثمانية الرسمية ، يلقي الضوء على هذا الموضوع . ومن بين هذه الوثائق ، وثيقة تبين أن أميراً من أمراء شعلان ، الذين ينتسبون إلى قبيلة الرولة ، ساعد الأتراك على استخلاص المنطقة من نفوذ آل رشيد وضمها إلى سورية . وتقول هذه الوثيقة : "إلى ولاية سورية

"نظرا للخدمات والجهود التي بذلها هزار الشعلان في سبيل استخلاص قطعة الجوف الواقعة ضمن أراضي الولاية البهية (سوريا) من أيدي الرشيد ، وبناء على إشعار دولتكم بضرورة الإنعام على المذكور بنيشان مجيدي من الدرجة الثالثة ومنحه سيفا بقيمة ألف أو ألفي غرش على أن يشترى ويقدم له هناك ، فقد تمت الموافقة وذلك بعد استئذان الإدارة السنية للجانب المملوكي لهذا الأمر ، وقد أحيل الموضوع إلى الوزارة (نظارات) المالية الجليلة لعمل النيشان المنصوص عليه وصدرت هذه لإيفاء اللازم" .

(دفتر العينيات رقم٩٥)

في ١١ ربيع الأول لسنة ١٢٨٩هـ .

(١٩/٥/١٨٧٢م)"

والسؤال هنا : ما الذي حدا بالأتراك إلى المجيء على رأس قوة تركية إلى الجوف؟ فمن المعروف أن الأتراك قد دأبوا على محاولة توسيع مناطق نفوذهم ، ابتداء من العام ١٢٨٦هـ١٨٧٠/م (بعد شق قناة السويس) . فقد حاولوا بسط سيطرتهم على اليمن وعسير والإحساء ، في أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر ، ومن هنا كانت محاولاتهم للسيطرة على الجوف أيضا ، على الرغم من فشلهم في استمرارهم فيها لمدة طويلة .

وقد ذُكر ، منذ قليل ، أن هناك روايات مختلفة عن سبب مجيء الأتراك إلى الجوف . ولعل من المفيد إيراد رواية محلية يتداولها الناس هنا ، تقول : "أنه في عهد عبيد بن الرشيد أمير حائل ، تنازعت عائلتان من الجوف (دومة الجندل) على قطعة أرض ، واحتكمتا إلى عبيد بن الرشيد ، فحكم بها لأحدهما ؛ فغضب المحكوم ضده وعاد إلى الجوف حيث اتصل بالدولة العثمانية ، التي قامت بدورها بإرسال عباس باشا والياً على الجوف ، ومعه قوة صغيرة . وبقى فيها عاما كاملاً أحس بعده بالملل ، ورغب في العودة إلى تركيا . فأخبره عبيد بن الرشيد أنه سينوب عنه بإرسال التمور والحبوب المستحقة على المنطقة إلى الدولة العثمانية ؛ وأنه سيتولى الحكم بنفسه . فصادف ذلك هوى في نفس عباس باشا فغادر المنطقة ، وجاء عبيد بن الرشيد وبسط نفوذه على المنطقة مرة أخرى ، وقتل الرجل الذي اتصل بالأتراك .

وروى أن عبيداً بن الرشيد قال بهذه المناسبة :

يا دار يا للي من ورا غر الاطعاس	**لا تحسبين إني من البعد ناسيك**
يا دار خليتك على شأن عباس	**ولا لَبِنْ شعلان ماني مخليك**
والله لجي بمنصور والسيف والطاس	**ولازم نهدم ما علا من مبانيك**

ويوجد مرجع مهم يتكلم عن الجوف إبان تلك الفترة وهو كتاب للرحالة الألماني يوليوس ايوتنغ[1] ، المطبوع سنة ١٣١٤هـ١٨٩٦/م ، وكان هذا الرحالة قد زار المنطقة في تلك الفترة .

---

(١) Julius Euting, **Tagbuch einer Reise in Inner Arabien**, Leiden, (1896), pp.131-134 .

يقول ايوتنغ عن مدى علاقة هذه المنطقة بالحكم العثماني : "إنه في نهاية عام ١٨٦٩م وبداية عام ١٨٧٠م١٢٨٦/هـ ، جاء شيخ قبائل (الرولة) ، وهو الشيخ سطام بن شعلان ، إلى دمشق للقاء صبحي باشا ومحمد سعيد باشا ، رئيس قافلة مكة . وقال لهما إنه يعرف منطقة خصبة غنية بالماء ، ويمكن أن تقام عليها قرى تعطي مبالغ كبيرة من الضرائب حين استثمارها . كذلك أخبرهم الشيخ المذكور أن قبائل الرولة على استعداد تام لترك حياة التنقل ، ليصبحوا مزارعين ، ويدفعوا الضرائب المستحقة عليهم للدولة العثمانية .

وكان الشيخ يقصد بهذه المنطقة وادي السرحان ، ولكنه أخبر الأتراك أن عليهم في حالة قبول عرضه ، أن يحتلوا الجوف أولا ، لأن هذا الاحتلال ضروريٌّ لحماية قبائل الرولة من جيرانهم" .

لقي هذا العرض قبولاً حسناً لدى الأتراك . ولحساسية الموضوع ابتدىء بتنفيذ هذا المخطط في سرية تامة ، ودون أي تكليف من السلطات الرسمية ؛ فإذا باء المشروع بالفشل حفظت السلطة ماء وجهها ، وإذا نجح كان هناك متسع من الوقت لإظهار حكمة السلطان ، والثناء على القائمين بهذه الخطة ، ومنحهم مزيداً من الشرف والعطايا .

وهكذا انطلقت القوة العثمانية من معان ، في أواخر فبراير - شباط عام ١٢٨٦هـ/١٨٧٠م . وكان قوامها مائتين من الخيالة ، وستين من المشاة ، وثمانين من الأعراب ، على رأسهم محمد سعيد باشا ، الذي سمى حسين بك الشركسي قائمقام للمناطق ، التي يجري احتلالها . عين حسين بدوره محمود أغا (دليل الرحالة ايوتنغ فيما بعد) ، مترجماً له ، لأنه لم يكن يعرف العربية أدنى معرفة . وبعد مسيرة ثمانية أيام في الصحراء ، وصلت القوة مشارف الجوف حيث استقبلتها العناصر الموالية للأتراك من الأهالي ، وكان الإتصال قد جرى بهم من قبل . ونزل الأتراك في حي مارد . ونصبوا مدفعهم الصغير على أحد التلال . وفي اليوم التالي وصل الرسل من جماعة ابن الرشيد ، ونزلوا في حي ابن درع . وكان على رأس هذه المجموعة صالح بن رخيص ، الذي سأله الأتراك عن سبب قدومه ؛ فأجابهم ليرى : ما يحصل في الجوف . وفي اليوم الثالث وصل

محمد بن رشيد نفسه واستطاع أن يجمع ثمانية آلاف رجل على الجمال في هذه الفترة الوجيزة ، وطلب من الأتراك مغادرة الجوف حالاً .

وبعد سبعة أيام من إقامته في الجوف ، عاد محمد سعيد باشا إلى السلط ، في شرق الأردن ؛ وخلّف وراءه حسين باشا الشركسي ، مع ثمانين جندياً كقوة احتلال . وبقيت هذه القوة دون إزعاج ، حتى أن القائمقام الجديد تجرأ وذهب إلى كل من سكاكا وقارا والطوير ، ليطّلع عن كثب على منطقة نفوذه الجديدة . لكنه عندما بدأ يجمع أتاوات غير معقولة ، كضريبة الشعير والقمح والملح ، بدأ يصادف مقاومة عنيفة .

وحاول أهالي الجوف تدبير خطة للقضاء على القوة التركية ؛ ولكن الأتراك نجوا من هذا المأزق ، وبقوا بعد ذلك متخوفين من الخروج من مواقعهم .

وبعد ذلك قدم ابن الرشيد عرضاً إلى حسين بك الشركسي ، مقابل انسحابه الفوري من الجوف ، وهو أن يدفع له ألف ليرة تركية ، إضافة إلى تأمين كل حاجيات سفره ، وتوفير الحماية الضرورية له حتى مدينة بصرى في حوران ؛ ولكن حسين بك رفض العرض . وجاء الوقت الذي ندم فيه حسين بك الشركسي أشد الندم ، على رفضه عرض ابن الرشيد ، إذ وصل الحال به وجماعته إلى الموت جوعاً تقريباً . ولم يلبث في نهاية المطاف أن وجد نفسه مضطرا للهرب كاللص ، وهو في أسوأ حال ، مع القلة المتبقية معه ، والانسحاب ليلاً في حسرة وغضب ، من تلك القرى ، التي سبق أن دخلها فخوراً قبل ثمانية شهور .

والرواية الثالثة ، التي يرويها الأستاذ فهد المارك[١] عن مجيء الأتراك إلى الجوف تقول ، إنه في عام ١٣٠٩هـ ١٨٩١م ضاق أهل الجوف ذرعاً بحاكم بلادهم ، أمير حائل محمد العبد الله الرشيد ؛ فوجدوا أن خير وسيلة يتخلصون بها منه ، هي حماية الحكومة التركية ؛ مفضلين حكم الأتراك على التبعية لابن الرشيد . وهكذا ذهب نخبة أهالي الجوف إلى السلطان عبدالحميد الثاني- وكان في دمشق - يطلبون منه الحماية من حاكمهم . فلبى السلطان طلبهم وبعث فيلقاً من عساكره ، بقيادة اللواء محمد سعيد باشا . وما أن بلغ هذا

---

(١) فهد المارك : من شيم العرب ، ج٣ ص ٦٥-٧٣ .

الخبر مسامع ابن الرشيد حتى جهز جيشاً كبيراً واتجه به إلى الجوف .

ثم تمضي الرواية تصف بإسهاب حرب الأعصاب ، التي دارت بين جيش ابن الرشيد وجيش الأتراك ، دون أن يصل الجيشان إلى مرحلة الحرب الفعلية . وكان القصد من هذه الحرب النفسية إبراز القوة ، واستعراض العضلات .

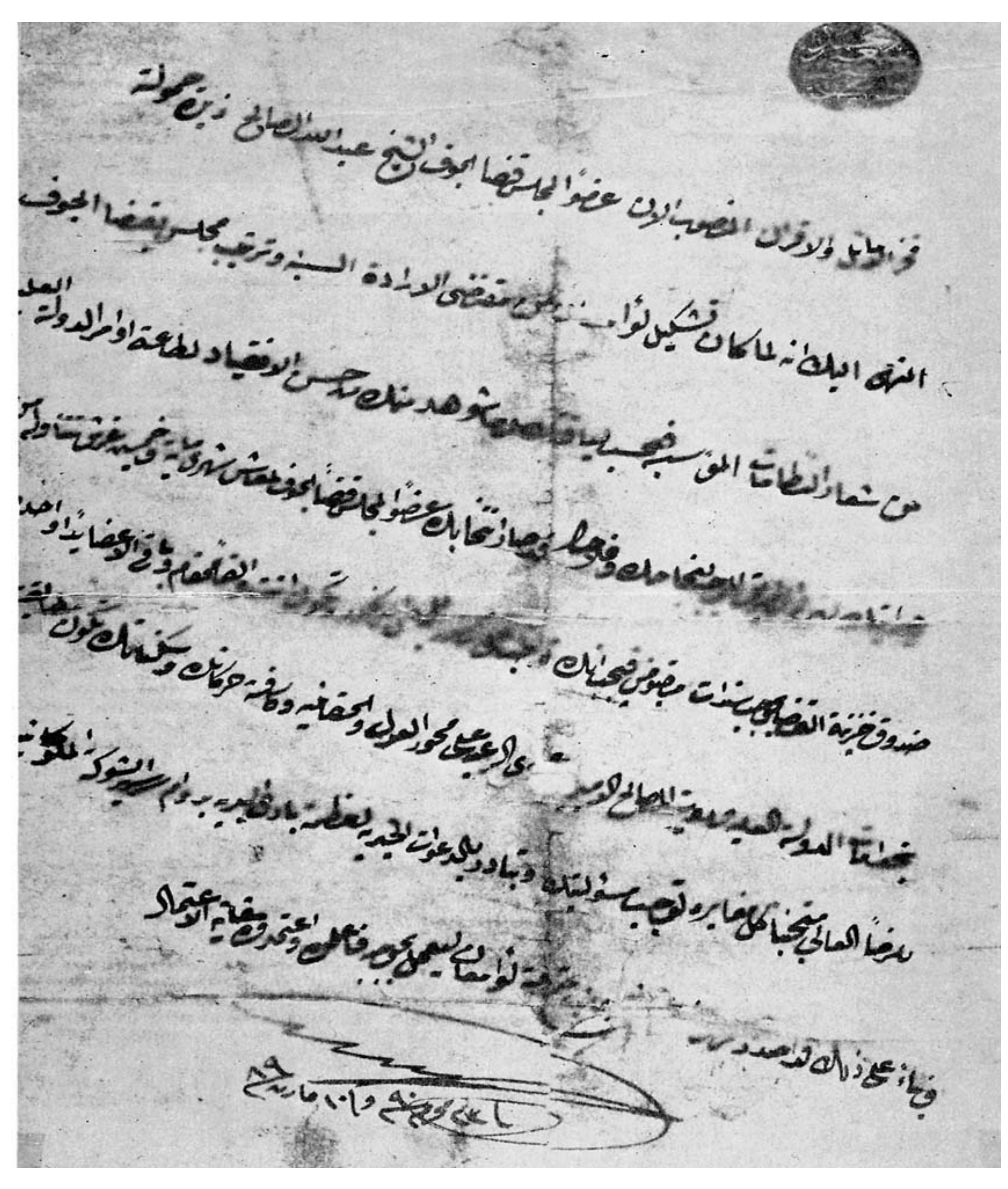
ثم تسرد الرواية شجاعة الفارس العربي (راضي بن جدى) ، ورده على استفزازات أحد جنود الأتراك . وكانت نتيجة هذه الشجاعة النادرة أن دخل الرعب والهلع في قلب القائد التركي ، وقبل بالشروط التي أملاها عليه الأمير ابن الرشيد .

ولم يكن من اليسير على القائد التركي أن يظهر مهزوماً ، أمام أهالي الجوف الذين طلبوا حماية الدولة العثمانية ؛ ففكر هذا القائد الداهية في خطة تجعل أهالي الجوف يتنازلون عن طلبهم للحماية ، وذلك بموجب وثيقة رسمية يقدمونها إليه .

وملخص هذه الوثيقة ، أن القائد التركي فرض على كل رجل من أهالي الجوف مبالغ باهظة ، كضريبة مقابل حمايتهم ، مع أنه كان يعلم علم اليقين ، أن الأهالي لم تكن لديهم المقدرة على دفع هذه الضريبة ، وفي حالة رفض الأهالي دفع الضريبة المذكورة ، فإن القائد سيطلب منهم أن يقدموا له وثيقة يوقعها جميع أعيانهم ، يعلنون بها تنازلهم عن طلب حماية الدولة التركية لهم .

ولمّا لم يجد أهل الجوف بُداً من اختيار أهون الشرين ، فقد اختاروا مرغمين زعامة أميرهم القديم ، وأن يقدموا وثيقة يعلنون بها تنازلهم عن طلب الحماية التركية لهم .

وهكذا بعد جلاء الأتراك عن الجوف ، دخل الأمير العربي إليها ، واختار نخبة من رجاله ليكّونوا سرية بالجوف ، بقيادة جوهر العنبر . ونورد هنا نسخة من قرار الحكومة العثمانية ، بترتيب مجلس في قضاء الجوف ، يقضي بترشيح الشيخ عبد الله الصالح ، من أهالي دومة الجندل ، كعضو لمجلس قضاء الجوف ، بناء على ما شوهد منه من حسن الانقياد لطاعة أوامر الدولة العلية ، بمعاش شهري قدره مائة وخمسون غرشاً يتناوله من صندوق خزينة القضاء بموجب سندات . ويُنصح الشيخ عبد الله الصالح بموجب هذا الترشيح ، بأن يكون



قرار الحكومة العثمانية المؤرخ في ١٢٩٠/١/٢٢هـ (١٨٧٣/٣/٢٢م) بترشيح الشيخ عبدالله الصالح عضواً في مجلس قضاء الجوف .

هو وقائمقام لواء معان وباقي الأعضاء ، يداً واحدة ، وينصحه أيضا بأن يعالج المصالح على محور العدل ، موجهاً إلى ضرورة أن تكون حركاته وسكناته مطابقة للرضا العالي ، متجنباً كل مغايرة توجب مسؤوليته .

ومن الملاحظ ان هذه النسخة الصادرة بتاريخ ٢٢ محرم ١٢٩٠هـ ٢٢/٩/١٨٧٣ م ، قد ختمت من زاويتها العليا من اليمين بختم محمد سعيد ، والي بلاد الشام .

ويمكن بعد كل هذا ، القول : إنه مهما اختلفت وتعددت الأسباب والوسائل ، التي شدت سلطان الدولة العثمانية إلى منطقة الجوف ، فإنه لم يستتب لها حكم له شأن يذكر . فقد كان لها ظل خفيف تعرض للمد والجزر ، دون أن تستقيم لها الأمور بحال .

وهذه ترجمة لمجموعة من الوثائق العثمانية الرسمية ، مأخوذة من السجلات الرسمية (العينيات الخاصة بولايتي الحجاز واليمن وولايتي سورية وبيروت) الكائنة في دار المحفوظات لرئاسة مجلس الوزراء ، في استنبول .

١- دفتر العينيات رقم ٩٠٣ :

"إلى ولاية سورية الجليلة

في الوقت الذي كانت تدور فيه مناقشة المقترحات المقدمة من سلفكم ، دولة سعادة الباشا (والي سورية السابق) في (سوراه) الدولة ، حول تشكيل متصرفية في معان لتوحيد أقضية الجوف والكرك ومعان ، في ذلك الوقت تم في لجنة الوكلاء الخاصة قراءة التحريرات المرسلة من دولتكم ، ولوحظ أن مشاريعكم ومقترحاتكم جاءت موافقة ومطابقة لما تقتضيه المصلحة .

وفي هذا المجال فقد وجد أن الأمر يقتضي إلغاء المتصرفية المذكورة فوراً ، والإبقاء على الإدارة السابقة ، رغم إشعارنا المبدئي لكم بإقامة ذلك في البرقية الصادرة بتاريخ ١١ صفر ١٢٩٠هـ١٨٧٣/م . كما يقتضي الأمر توقف سعيد باشا في الشام ، وتنفيذ كل ما جاء في هذا الصدد . كما ينبغي إلغاء كافة المصاريف ، التي لم يصدر بعد أمر بشأنها . وقد صدرت

تعليمات إلى الوزارة الآنفة الذكر بهذا الخصوص ، كما صدرت هذه الشقة لعمل اللازم وذلك بموجب القرار والإشعار .

في ٢ ربيع الآخر ١٢٩٠هـ"

(٣٠ مايو ١٨٧٣م)

٢- دفتر العينيات رقم ٨٧٣ ص ١٥٨ :

"إلى محافظ المدينة المنورة

نظرا لإلغاء متصرفية معان ، فقد تقرر إدارة قضاء منطقة الجوف وهو من إحدى ملحقات المتصرفية المذكورة ، على شكل قائمقامية . وقد طالب صاحب السعادة[1] بضم القضاء المذكور إلى محافظة المدينة المنورة ، على أن يدخل ضمن إدارة ابن الرشيد ، التي تشمل كلا من الجبل وإقليم القصيم وتوابعها . إلا أنه ورد في البرقية الصادرة عن ولاية سورية ، حاجة تلك الولاية إلى المملحة الموجودة في القضاء المذكور . وتذكر البرقية ضرورة إرجاء مسألة ربط المملحة بأحد الطرفين إلى ما بعد . وتنص كذلك على إبلاغ صاحب السعادة ، بعدم سماحه لابن الرشيد بالتدخل في شؤونها .

وبناء عليه ، فحتى صدور قرار بشأن تعيين الطرف الذي سيتبعه القضاء المذكور ، يجب عدم السماح لابن الرشيد بالتدخل في أمور القضاء . ومن المؤكد أن طلب ربط القضاء بإدارة ابن الرشيد ، يستند إلى أساس ورأي معين . وبناء على ذلك فقد صدرت هذه الشقة لكي يعرب صاحب السعادة عن رأيه وملاحظاته ، حول هذا الموضوع .

في ٢٣ ربيع الأول ١٢٩٠هـ"

(٢١ مايو ١٨٧٣م)

---

(١) يقصد بصاحب السعادة محافظ المدينة المنورة .

٣- دفتر العينيات رقم ٩٠٢ :

"إلى ولاية سورية الجليلة .

نظرا لإلغاء متصرفية معان . فقد تقرر إدارة قضاء الجوف ، وهو من إحدى ملحقات المتصرفية المذكورة ، على شكل قائمقامية . وقد طالبت محافظة المدينة المنورة بضم القضاء المذكور إليها ، على أن يدخل ضمن إدارة ابن الرشيد ، التي تشمل كلا من الجبل[١] وإقليم القصيم وتوابعها ، إلا أنه نظرا لما جاء في برقيتكم عن الانتماء الوثيق بين المملحة[٢] الواقعة ضمن القضاء المذكور ، وبين ولايتكم الجليلة ، فقد تقرر إرجاء موضوع ربط وإلحاق المملحة المذكورة إلى ما بعد . كما تقرر الإبقاء على ما هي عليه ، وعدم السماح لابن الرشيد بالتدخل في شؤونها . وتم إبلاغ المحافظة المشار إليها بهذا الشأن . وبناء عليه فقد سطر هذا الخطاب لإبلاغكم بذلك أيضا .

في ٢٣ ربيع الأول ١٢٩٠هـ"

(٢١مايو ١٨٧٣م)

٤- دفتر العينيات رقم ٨٧١ :

"إلى محافظة المدينة المنورة

وردت تحريرات من ولاية سورية مفادها : أن أهالي قضاء الجوف يعانون من تعديات ابن الرشيد ، وأنه في حالة إلحاق القضاء المذكور بولاية سورية ، فإن وارداته القديمة إلى جانب دخل المملحة ، التي أنشئت داخل القضاء على بعد مسيرة يومين من حوران ، والتي يرجى الحصول منها على عوائد جمركية بمقدار (١٥٠ ألف قرش) سنوياً ، وتحقيق دخل (٥٠ ألفا إلى ٦٠ ألف قرش) بعد دفع المصاريف ، كما أن المرتبات التي يتلقاها ابن الرشيد من عربان

---

(١) جبل شمر .

(٢) قريات الملح .

الشرارات ، الذين اتخذوا المنطقة كمشتى لهم ، وكذلك سائر المبالغ التي يتقاضاها من الأعراب الآخرين تحت اسم الزكاة ، ستنتقل جميعها إلى الدولة فيما إذا تم ضم القضاء المذكور إلى ولاية سورية .

ومن ناحية أخرى ، فقد وردت تحريرات حول هذا الموضوع من سعادتكم (محافظ المدينة المنورة) تفيد بأن ربط القضاء المذكور بمحافظة المدينة المنورة ، سيؤدي إلى تنظيم وضبط إدارة القضاء ، وأنه بالتالي سيسهل تنفيذ الإصلاحات المنوي القيام بها هناك ، وأن سعادتكم تتعهدون بإجراء ذلك . ولدى مذاكرة هذا الموضوع في لجنة الوكلاء الخاصة ، وبناء على تقييم ما جاء في تحريرات الطرفين ، فقد استقر الرأي على ضم القضاء المذكور إلى محافظة المدينة المنورة ، وانضوائه تحت إدارة ابن الرشيد ، وذلك نظراً لوقوعه في الصحراء وبعده عن الشام .

ولكن كما يستشهد من إشعارات الولاية المذكورة (الشام) ، فإن مظالم وتعديات ابن الرشيد لا تزال مستمرة ، ولا سيما أن العداوة والبغضاء القائمتين بينه وبين قبيلتي (الحرص والرجيس) ، قد اشتدت إثر معاونة القبيلتين المذكورتين لسعيد باشا[1] مؤخرا . لذا فإنه في حالة وضع القضاء المذكور تحت إمرة ابن الرشيد ، فإن سلامة السكان وحياتهم ستصبح في خطر ، وأن ترك العشائر وشأنهم أمر لا يتناسب مع قدر ورفعة الحكومة السنية ، ويترتب على ذلك رفع تلك المظالم ورفع تلك المخاطر عنهم . وأن أمن واستقرار أفراد ورؤساء تلكما العشيرتين ، وسائر عباد الله الساكنين والمتوطنين في تلك الديار ، هي أمانة في ذمة الحكومة السنية . ونتيجة لذلك كله ، فقد أنهي إلى سعادتكم بأخذ تأمينات وتعهدات قوية من ابن الرشيد لحفظ الأهالي والعشائر المذكورة ، كي يتسنى وضع القضاء تحت إدارته .

وأخيراً فقد رؤي من المناسب ضم المملحة ، المار ذكرها في تحريرات سعادتكم المؤرخة في ٢٥ جمادى الأولى ١٢٩٠هـ/ ٢١/٧/١٨٧٣م ، إلى ولاية سورية نظرا لقربها من حوران .

---

(١) سعيد باشا كان متصرف حوران .

وقد تم إبلاغ الولاية المذكورة بهذا الشأن ، وصدرت هذه الشقة لإجراء اللازم .

في ١٤رجب ١٢٩٠هـ"

(٧/٩/١٨٧٣م)

٥- دفتر العينيات رقم ٨٧٣ :

"إلى محافظة المدينة المنورة

علمنا بما جاء في تحريراتكم البهية المؤرخة في ١٩ جمادى الأولى ١٢٩٠هـ ١٥/٧/١٨٧٣م ، التي تشير إلى المشاكل والتأخرات الناجمة عن ارتباط حكومة المدينة المنورة بولاية الحجاز ، وتدعو ، من ناحية ، إلى إلغاء هذا الارتباط ، وتؤكد على ضرورة العمل على ايصال المرتبات النقدية والعينية القادمة عن طريق جدة في موعدها ، من ناحية أخرى .

ولوحظ من سياق إشعار سعادتكم ، إلحاح مسألة إلغاء الارتباط القائم بين الولاية المشار إليها (الحجاز) وبين محافظتكم ، وذلك نظراً لدخول بعض النواحي والقبائل في طاعة الدولة ، والتوسع الذي رافق ذلك في رقعة المحافظة ، إلا أن نظام الولايات لا يسمح بفك الارتباط المشار إليه كليا . وهذا أمر مستغن عن البيان . ولكن تمشية وتنظيم المصالح أمر مطلوب ومستلزم . لذا ، فقد رؤى من المناسب تجويز إجراء المخابرات بينكم وبين الباب العالي مباشرة ، وبلا واسطة ، في حالة الضرورة .

وقد صدر إشعار بشأن إرسال المرتبات المذكورة إلى المدينة المنورة مباشرة ، كما صدرت هذه الشقة للعمل على تنفيذ المهام المتعلقة بهذا الأمر .

في ١٤ رجب ١٢٩٠هـ"

(٧/٩/١٨٧٣م)

وعلى الرغم من أن هذه الوثيقة لا تتعلق بالمنطقة صراحة ، إلا أنها تعكس رغبة المحافظ في توسيع المحافظة ، وإعطائها شبه استقلال ، إن لم يكن استقلالاً تاماً . وهذا يكشف عن السبب في طلبه ضم قضاء الجوف إلى محافظته ، وهو سبب لم يُعْرب عنه في معرض ذلك . ونرى أن الوثائق الأخرى تحث المحافظ على إبداء رأيه ، وإظهار السبب في طلبه ضم الجوف .

٦- دفتر العينيات رقم ٩٠٥ :

"إلى ولاية سورية الجليلة

لقد جرت مطالعة التحريرات البهية ، ومشفوعاتها الصادرة عن ولايتكم ، والتي تحث على ضرورة ربط وإلحاق قضاء الجوف بولاية سورية . واستُقيَ من مضامينها أن أهالي القضاء المذكور ، يعانون من تعديات ابن الرشيد ، وأنه في حالة إدارة القضاء من جانب ولاية سورية ، فإن وارداته القديمة إلى جانب إيراد المملحة الواقعة داخل القضاء ، والتي تبعد عن حوران مسيرة يومين ، والتي يرجى الحصول منها على عوائد جمركية بمقدار (١٥٠,٠٠٠ قرش) وتحقيق دخل بحوالي٥٠,٠٠٠/ - ٦٠,٠٠٠ قرش ، بعد دفع المصاريف ، كما أن المرتبات التي يتقاضاها ابن الرشيد من عربان الشرارات ، الذين اتخذوا المنطقة كمشتى لهم ، والمبالغ التي يجمعها من الأعراب الآخرين تحت اسم الزكاة ، جميعها ستؤول إلى الدولة .

وجاء في التحريرات الواردة من محافظة المدينة المنورة ، أن القضاء المذكور يقع ضمن إدارة شيخ جبل شمر منذ عشرين عاما . كما أن القلعة التي بداخله هي من إنشائه ، ولذلك فهي تشير إلى جدوى الإبقاء على إدارة ابن الرشيد فيه . لأن في ذلك تسهيلا لإجراء الإصلاحات المزمع القيام بها . وتعطي تلك التحريرات في لجنة الوكلاء الخاصة . وبعد مذاكرة ما جاء في بيان الطرفين ، فقد اتفقت الآراء على ربط القضاء المذكور بالمدينة المنورة ، ووضعه تحت إدارة ابن الرشيد ، وذلك نظراً لموقعه في الصحراء وبعده عن الشام

الشريف . ولكن نظراً لما ورد في سياق معروضات دولتكم ، عن مظالم وتعديات ابن الرشيد ، ولا سيما استحكام العداء المبيت بينه وبين عشيرتي (الحرص والرجيس) ، إثر مساعدة المذكورين لسعيد باشا مؤخراً ، فإنه في حالة ترك القضاء بإدارة ابن الرشيد ، فإن حياتهم ستصبح في خطر ؛ وأن التخلي عنهم في مثل هذه الأوضاع أمر لا يليق بالمقام العالي للحكومة السنية ، فإن الأمر يقتضي إزالة تخوفات القبائل ، ورفع ظلمه عنهم نهائيا . وكذلك فإن من واجبات السلطة العلية فيما بعد ، تحقيق أمن وسلامة أفراد ورؤساء العشيرتين المذكورتين ، وسائر عباد الله الساكنين والمتوطنين في تلك الديار ، وبناء عليه ، فقد أوصيت محافظة المدينة المنورة بأخذ تأمينات قوية من ابن الرشيد ، لربط هذه القضية بتعهدات صريحة .

وحسبما جاء في إشعار دولتكم ، وإشعارات المدينة المنورة ، فقد لوحظ عدم تبعية المملحة المذكورة للقضاء المشار إليه . ونظرا لقربها من حوران ، فقد استقر الرأي على إدارة المملحة من جانب الولاية الجليلة (سورية) ، وقد تم إبلاغ محافظة المدينة المنورة بهذا القرار .

وصدرت هذه الشقة إلى دولتكم للقيام بما يقتضيه الوضع القائم .

في ١٤ رجب ١٢٩٠هـ"

(٧/٩/١٨٧٣م)

٧- دفتر العينيات رقم ٩٠٥ :

"إلى ولاية سورية الجليلة

وردت التحريرات الصادرة عن مقام ولايتكم الجليلة ، التي تشير إلى ضرورة وضع قضاء الجوف بعشائره ونواحيه وملحقاته تحت إدارة قائمقام ، وربطه بلواء (سنجق) حوران . وقد جاء في هذه التحريرات تفصيلات من الجهاز الإداري في تلك القائمقامية والمخصصات اللازمة له . وأحيلت الأوراق إلى لجنة الوكلاء الخاصة وفرغت من قراءتها . وعلى الرغم

من أن تلك التحريرات تحتوي على آراء وأفكار دولة الوالي السابق مفصلة ، إلا أنه نتيجة لتغيره فإن المصلحة تقتضي الرجوع إلى ملاحظات دولتكم ، وكذلك ينبغي استقصاء الآراء المحلية حول هذا الموضوع وعرضها ، كي تتم مذاكرة الموضوع ثانية . وقد أحيلت هذه المهمة إلى همتكم . وصدرت هذه الشقة للإعلام عن واقع الحال .

انتهى في ١٢رمضان ١٢٩٣هـ"

(٣/١١/١٨٧٣م)

٨- دفتر العينيات رقم ٨٧٣ :

"إلى محافظة المدينة المنورة

لقد استقر الرأي على فصل قضاء الجوف عن ولاية سورية ، وضمه إلى إدارة ابن الرشيد التابعة لمحافظة المدينة المنورة ، وذلك بناء على إشعار صاحب السعادة ، ونظراً لما في ذلك من تنظيم وضبط لأمور القضاء وتسهيل إجراء الإصلاحات المزمع إجراؤها فيه . ولكن نظراً لما لوحظ من خلال الإشعارات الواردة من الولاية المشار إليها (سورية) ، عن قسوة ابن الرشيد وإثارته للفزع بين القبائل هناك ، فقد تم بالتنسيب إبلاغ صاحب السعادة بتحريرات خاصة في ١٤ رجب ١٢٩٠هـ بأخذ تعهدات وتأمينات من ابن الرشيد ، برفع مظالمه عن الأهالي والعشائر ، كي يتم بموجب ذلك وضع القضاء المذكور تحت إدارته .

ومما يؤيد ظلم وغدر المشار إليه (ابن الرشيد) ، ورد محضر من مشايخ ووجوه القضاء المذكور إلى صبحي باشا -أحد أعضاء شوارة الدولة- أعربوا فيه عن رغبتهم بالإبقاء على الإدارة السابقة للقضاء . كما أشاروا إلى أنه في حالة بقاء الإدارة القديمة ، فإن واردات الدولة ستكون على ما يرام ، وقد صدرت هذه الشقة لحث صاحب السعادة على الإعلام عن واقع الحال هناك ، وللإعراب عن رأيه ومطالعاته حول هذا الموضوع .

انتهى في غرة ذي الحجة ١٢٩٠هـ

(١/٢/١٨٧٤م)

وتعطينا الوثيقة الأخيرة (رقم ٨٧٣) صورة واضحة عن الوضع ، الذي آل إليه الأتراك نتيجة لفشل حملتهم العسكرية على الجوف . فبعد أن عجزوا عن بقائهم فيها ، نتيجة تعرضهم لضغوط ابن الرشيد وقواته ، الذين يفوق عددهم عدد الأتراك في المنطقة ، لم يكن أمامهم بديل سوى ما ورد ذكره في الوثيقة المذكورة ؛ أي (وضع الجوف تحت إدارة ابن الرشيد) . وهذا اعتراف غير مباشر من الأتراك بالهزيمة . أما "أخذ تعهدات وتأمينات من ابن الرشيد برفع مظالمه عن الأهالي والعشائر . . .) ، فهو أقصى ما كان الأتراك يستطيعون تحقيقه ، في ظل ظروفهم آنذاك .

سوریه ولایت جلیله سنه

٩٧

[illegible]

بو دخی

[illegible]

سوریه ولایت جلیله سنه

٢٠٧

[illegible]

جواب خلاصه		تاریخ	نومرو

مدینهٔ منوره محافظلغنه

مقدما تشکیل اولنان عساکر متطوعه لغو اولنجغی خرپوت ملحقاتندن اولوب [illegible] چوق‌ده
اداره‌سی قرارلشدیرلمه‌سی چوق قضالردن جبل واقلیم الخلیج وتوابعنه سائره سیله مدینهٔ منوره
محافظلغنه الحاقاً جبل مذکور امیری ابن رشید اداره‌سنه ترک ایله سعادتلرندن اتحاد اولنمه
السیه قضا مذکوره‌ده بولنان طوز [illegible] سوریه ولایتی لزومی اولمیه‌جق ارتباطی [illegible]
قرارلشدیرلمه اوزره شو بلاد علی حاله براغیلوب ابن رشیده مداخله ایتدیرلمامسی [illegible]
بتون واسعه‌سنده ولایه مذکوره والیلکنه بالتفرقه جلب اولنمسنده قضا مذکوره‌نک
قضا طرفندن اداره اولنه‌جغنه دائر ویریله‌جک قرار [illegible] بو اراده اجرا وقوعنده [illegible]
ابن رشید طرفندن مداخله ومحل اسلمیه حال وحرکت ایتمامسی [illegible] بر اساسی [illegible]
برابر سالف الذکر چوق قضالری ابن رشیده ترک اولنمسی استلزام [illegible]
حسنه اولنه‌جغنده بو بابده اولوب [illegible] سعادتلرندن [illegible]
وافادهٔ [illegible] سابقه‌ده

حجاز [illegible]

واقعه [illegible] مدینهٔ منوره [illegible] اسماعیل حقی [illegible]
جهته مناسب [illegible]
[illegible]
شوبله [illegible]

سوریه ولایتی جلیله سنه

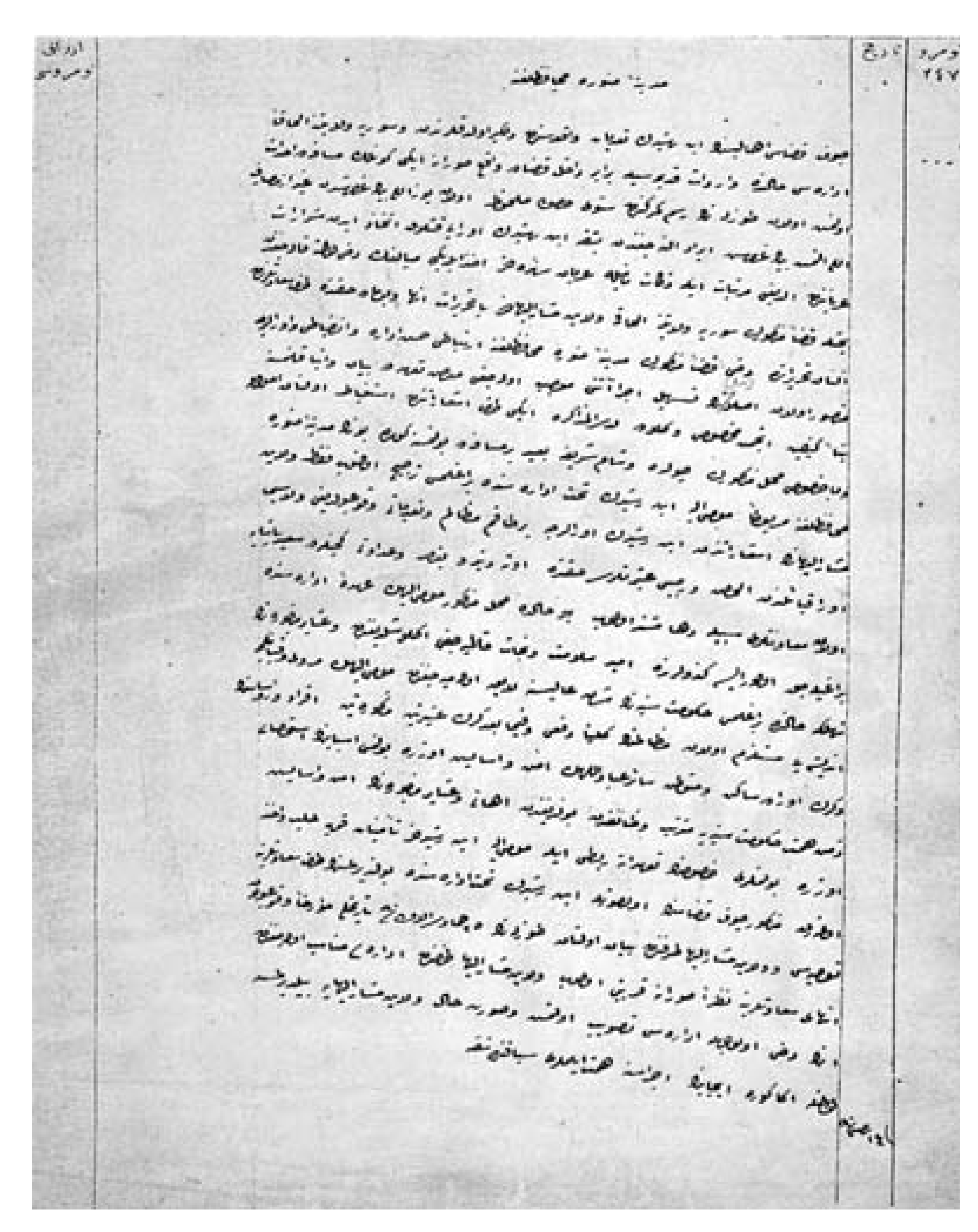
٥٠٦ [illegible]

سوریه ولایتی جلیله سنه

[illegible]

سوریه ولایتی جلیله سنه

[illegible]



رسالة مؤرخة في ١٤/٧/١٢٩٠هـ (٧/٩/١٨٧٣م) إلى محافظة المدينة المنورة



رسالة مؤرخة في ١٢٩٠/١٢/١هـ (١٨٧٤/١/٣١م) إلى محافظة المدينة المنورة

اوراق نومروسی		تاريخ

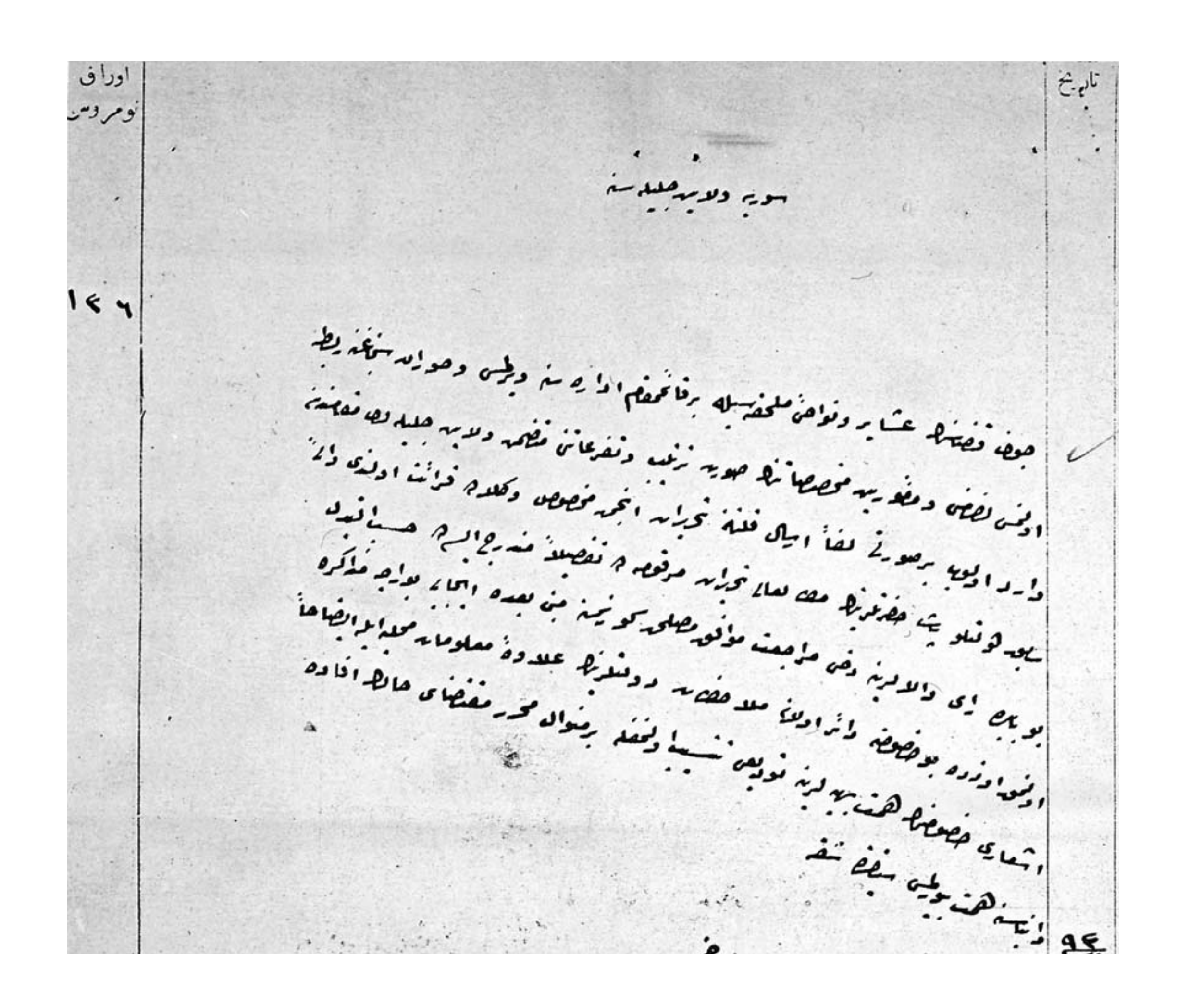
سوريه ولايتنه

[illegible]

١٢٦

بيروته

[illegible]



اوراق نومروسی

تاریخ

سوریه ولایت جلیله سنه

١٤٦

رسالة مؤرخة في ١٢/٩/١٢٩٣هـ (١٢/١٠/١٨٧٦م) إلى ولاية سورية



رسالة مؤرخة في ١٤/٧/١٢٩٠هـ (٧/٩/١٨٧٣م) إلى ولاية سورية

٤ – منطقة الجوف في النصف الثاني من القرن١٤هـ/ القرن٢٠م

في السنوات الأولى من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، بدأ أمراء آل الرشيد من حائل يفقدون سيطرتهم بالتدريج على منطقة الجوف ، بعد أن قوي نفوذ آل الشعلان فيها .

والشعلان هم عشيرة من المرعض من الجمعان من الرولة ، تكونت إمارتها في بعض بلاد الشام . وقد برزوا بروزا واضحا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين . وهم الذين عناهم الشاعر العربي محب الدين الخطيب بقوله :

"رولا عرب قصورهم الخيام   ومنزلهم حماة والشام"

وتُعدُّ منطقة دوما بالشام أهم مستقر لهم . وامتد نفوذهم جنوباً باتجاه قريات الملح ، ونافسوا إمارة آل الرشيد في مد نفوذها إلى الجوف ووادي السرحان .

وكما ذُكر من قبل ، فإنَّ محمداً بن عبد الله بن رشيد أصبح أميرا على حائل ، في عام ١٢٨٦هـ١٨٦٩/م ، وبسط نفوذه مرة أخرى على الجوف ، بعد جلاء الأتراك عنها . وبقيت الجوف تحت حكم آل الرشيد حتى سنة ١٣٣٧هـ١٩١٨/م ، مع أن نفوذهم فيها بدأ يتضاءل قبل ذلك بسنين . ففي محرم من عام ١٣٢٦ للهجرة (يناير ١٩٠٩م) ، بدأ نوري الشعلان يسيطر على أجزاء من منطقة الجوف ، وعين ابنه نوافاً حاكما عليها[١] .

وطبقاً لما أورده موسيل ، فإنه عندما أصبح سعود بن عبد العزيز بن الرشيد أميراً على حائل ، بعد مقتل سعود بن حمود بن رشيد ، وحمود بن سبهان ، فإنه أرسل رسائل إلى نوري شعلان يدعوه إلى السلم بينهما ؛ ولكن رسائله لم تؤد إلى نتيجة . وعندما استقرت الأمور لنواف الشعلان في الجوف ، عيّن عامراً المشورب أميرا عليها ، وواصل سيره شمالا حتى وصل إلى القريات ، قبل أن يغادرها إلى سوريه . وفي القريات عيّن نواف بن شعلان حمداً المويشير أميراً عليها . وتوفي نواف في عام ١٣٣٩هـ١٩٢١/م .

---

(١) Musil, **Northern Negd**, pp. 249-250

ولعامر المشورب هذا مآل معروف ، تحدث عنه الأستاذ سعد الجنيدل[١] فقال :

"عاث عامر المشورب في الأرض فساداً واعتدى على الحرمات ، فشكا أهل الجوف أمره إلى ابن شعلان ، فوعد بنقله وكأنه أدرك أن أمره سيصير إلى عاقبة سيئة ، غير أن بعض الزعماء المحليين ، الذين لهم علاقة به ، نصحوه ببقائه ، فتريث في نقله . ."

"ثبّت عامر أقدامه في البلاد وتمادى في ظلمه ,واندفع في اعتدائه على الحرمات ، عندئذ فكر أولو الغيرة من الأهالي في القضاء عليه ، والتخلص من حكم آل الشعلان ، فقاد هذه الحركة رجاء بن مويشير ، من سكان سكاكا . وعندما أحكم أمره مع مَنْ وافقه عليه من الأهالي ، كتب إلى أخيه حمد بن مويشير ، وكان واليا على القريات لابن شعلان ، وأخبره بما عزم عليه ، ونفّذ أمره فقتل عبد ابن شعلان ، وقتل معه أخاه ، وقتل معهما القبيس أحد خوياهما . وعندما بلغ حمد بن مويشير ما عزم عليه أخوه رجاء ، ومَنْ تبعه من أهل الجوف ، رَحَّلَ كل ما كان تحت يده من الأسلحة في القريات إلى الجوف ، وهَبَّ مسرعاً إليها ؛ فقامت الحرب بين ابن مويشير وابن شعلان"[٢] .

وكان مقتل عامر المشورب في شهر ربيع الأول من عام ١٣٣٧ للهجرة (ديسمبر ١٩١٨ للميلاد) . ونتيجة للحرب ، التي دارت بين ابن مويشير والشعلان ، طلب ابن مويشير مساعدة أمير حائل ، سعود بن رشيد ، الذي غزا بدوره الجوف ، مستغلاً هزيمة ابن الشعلان ليبسط نفوذه على المنطقة . وعيّن ابن رشيد حاكماً على الجوف هو الشويعر . ولكن بعد وفاة سعود بن رشيد ، أي بعد ثمانية عشر شهراً من غزوه للجوف ، غادر الشويعر المنطقة مخلّفاً مكانه ابن سيف ، نائباً له[٣] .

وخلال هذه الفترة كان أهالي منطقة الجوف على اتصال بسلطان نجد ، عبد العزيز بن سعود ، وابدوا له رغبتهم في الانضمام تحت لوائه . فأرسل عبد العزيز حملة إلى الجوف ،

---

(١) سعد الجنيدل ، بلاد الجوف أو دومة الجندل ، دار اليمامة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ١٣٧-١٣٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

بقيادة عسّاف الحسين في عام ١٣٤١هـ١٩٢٢/م . وعندما وصل عساف الحسين إلى الجوف ، وجد أن سلطان بن نواف آل شعلان قد نصب نفسه حاكماً عليها ، بعد سقوط إمارة آل رشيد في حائل ، عام ١٣٤٠هـ١٩٢١/م . فدخل عساف الجوف ، واستلم الإمارة من سلطان بن نواف ، الذي ترك المنطقة بعد ذلك . ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الجوف تتبع لحكم الدولة السعودية .

٥ - منطقة الجوف والدولة السعودية الثالثة

منذ امتداد ظل الدولة السعودية الثالثة على منطقة الجوف عام ١٣٤١هـ١٩٢٢/م ، في عهد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، حل في هذه المنطقة الأمن والاستقرار التام . وأصبحت فيما بعد جزءاً من المملكة العربية السعودية ، تنعم بما أتيح للدولة من إمكانات تسهم في تحسين مستوى حياة المواطن ، من كل الوجوه .

ويُلقي هذا المبحث بعض الضوء على وضع المنطقة ، في الفترة التي أُعدَّ فيها مشروع هذا الكتاب ، من خلال ما تعيشه داخل النطاق الإداري لإمارة منطقة الجوف ، وفي إطار المرافق الحكومية والخدمات العامة الأخرى ، التي تسهم في بناء كيان هذا المجتمع ، بادئين ببيان السّجل التاريخي لنشأة إمارة منطقة الجوف .

فقد تأسست إمارة منطقة الجوف في عهد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله ، ومنذ ذلك التاريخ تعاقب على رأس هذه الإمارة الأمراء الآتية أسماؤهم ، حسب الترتيب الزمني :

١ - الأمير عساف الحسين :

أول أمير وصل الجوف من قِبَل الملك عبد العزيز ، وكان ذلك في أول شهر ذي القعدة عام ١٣٤١هـ/ يونيو ١٩٢٣م . واستمرت إمارته حتى آخر شهر شعبان ١٣٤٣هـ/ مارس ١٩٢٥م .

٢ - الأمير عبد الله بن عقيل :

وصل الأمير عبد الله بن عقيل خلفاً لعساف الحسين في آخر شهر رمضان ١٣٤٣هـ/مايو ١٩٢٥م . واستمر حتى شهر ذي الحجة ١٣٤٥هـ/ يونيو ١٩٢٧ م .

٣ - الأمير تركي بن أحمد السديري :

بعد انتهاء ولاية ابن عقيل ، في شهر ذي الحجة ١٣٤٥هـ/ يونيو ١٩٢٧ م ، وعقب العيد مباشرة ، رشح الأمير تركي السديري أميراً للجوف ، واستمرت إمارته حتى عيد الأضحى ١٣٤٦هـ١٩٢٨/م .

٤ - الأمير عبد الرحمن بن سعيد :

تولى إمارة الجوف عام ١٣٤٧هـ/ يونيو ١٩٣٠م ، خلفاً للأمير تركي السديري .

٥ - الأمير ابراهيم النشمي :

وكّل على إمارة الجوف في شهر ذي الحجة عام ١٣٤٨هـ/ يونيو ١٩٣٠م ، بدلاً من عبدالرحمن بن سعيد ، الذي استدعاه الأمير عبد العزيز بن مساعد ، أمير منطقة حائل ، بعد عودته من غزوة للحويطات . وبقى النشمي بالوكالة حتى شهر رمضان ١٣٤٩هـ/ يناير- فبراير ١٩٣١م .

٦ - الأمير تركي بن أحمد السديري :

منذ شهر رمضان ١٣٤٩هـ ، عاد الأمير تركي بن أحمد السديري إلى الجوف وتسلم الإمارة من ابن سعيد ، وبقي فيها حتى نهاية ١٣٥١هـ/ ابريل ١٩٣٣م ، وهو العام الذي انتقل فيه قصر الإمارة من دومة الجندل إلى سكاكا .

٧ - الأمير عبد العزيز بن أحمد السديري :

في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٢هـ/ مارس ابريل ١٩٣٤م ، وصل الأمير عبد العزيز السديري لاستلام إمارة الجوف ، خلفاً لأخيه تركي السديري ، وبقي على رأس الإمارة حتى ١٣٥٧/١/١٥هـ (١٨/٣/١٩٣٨) .

٨ - الأمير محمد بن أحمد السديري :

تـولى إمـارة الجـوف من ١٣٥٧/١/١٥هـ (١٩٣٨/٣/١٨م) ، حـتى ١٣٦٢/٩/٥هـ (١٩٤٣م) .

٩ - الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري :

تـولى إمـارة الجوف في ١٣٦٢/٩/٥هـ (١٩٤٣/٩/٥م) ، واسـتـمـر حتى ١٤١٠/٧/١هـ (١٩٩٠/١/٢٧م) .

١٠ - الأمير سلطان بن عبد الرحمن السديري :

تـولى إمـارة الجـوف من ١٤١٠/٧/١هـ (١٩٩٠/١/٢٧م) ، حـتى ١٤١٩/٥/١٢هـ . (١٩٩٨/٩/٣م) .

١١ - صاحب السمو الملكي الأمير عبد الإله بن عبد العزيز آل سعود :

عُيّن أميراً لمنطقة الجوف في ١٤١٩/٥/١٢هـ (١٩٩٨/٩/٣م) ، حتى ١٤٢٣/٠٨/٢٤هـ (٢٠٠٢/١٠/٣٠م .

١٢ - صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن بدر بن عبد العزيز آل سعود :

عُيّن أميراً لمنطقة الجوف في ١٤٢٣/٠٨/٢٤هـ (٢٠٠٢/١٠/٣٠م) ، وهو الأمير الحالي لمنطقة الجوف .



الأمير عساف الحسين
(١٣٤١ - ١٣٤٣هـ)



الأمير ابراهيم النشمي
(١٣٤٨-١٣٤٩هـ)



الأمير عبد الله بن عقيل
(١٣٤٣-١٣٤٥هـ)



الأمير عبد العزيز بن أحمد السديري
(١٣٥٢-١٣٥٧هـ)



الأمير تركي بن أحمد السديري
(١٣٤٥-١٣٤٦هـ) (١٣٤٩-١٣٥١هـ)



الأمير محمد بن أحمد السديري
(١٣٥٧-١٣٦٢هـ)



الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري

(١٣٦٢-١٤١٠هـ)



الأمير عبد الإله بن عبد العزيز آل سعود

(١٤١٩-١٤٢٣هـ)



الأمير سلطان بن عبد الرحمن بن أحمد السديري

(١٤١٠-١٤١٩هـ)



الأمير فهد بن بدر بن عبد العزيز آل سعود

(١٤٢٣هـ -   )

الفصل السادس

الرّحالة الأوروبيون

١ - الرّحالة الأوائل :

خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة (التاسع عشر والعشرين للميلاد) ، حظيت منطقة الجوف باهتمام عدد من الرّحالة الأوروبيين ، الذين زاروها وسجلوا ما رأوه عن حياة أهلها .

وقد زار هؤلاء الرّحالة المنطقة ، ضمن رحلات قاموا بها إلى شبه الجزيرة العربية ، في وقت ازداد فيه الاهتمام بهذا الجزء من العالم ، لأسباب عدة .

وهناك بعض الأمور ، التي يجدر توضيحها قبل الدخول في هذا الموضوع . فالأماكن ، التي ارتادها هؤلاء الرّحالة ، لم يصلوا إليها إلا عبر مشاق ومخاطر عظيمة . فلم تتوافر لهم ، في تلك الأيام ، وسائل المواصلات الحديثة ، التي يُمكن بواسطتها التنقل بين هذه المناطق ، في يسر وسهولة ، خلال فترة قصيرة .

كما أن هؤلاء الرّحالة قد جاءوا إلى مجتمعات ، تختلف عن مجتمعاتهم ، في اللغة والديانة والعادات ، مما جعلهم موضع شك وريبة ، في أحيان كثيرة . وعلى الرغم من أن عدداً منهم أشادوا بحسن الضيافة والكرم ، الذي صادفوه من قبل الأهالي ، فإن بعضاً منهم وجد صعوبات بالغة في تحقيق الهدف ، الذي حدا بهم إلى زيارة هذا الجزء من العالم .

كانت الأهداف ، من وراء رحلات هؤلاء الرّحالة إلى شبه الجزيرة العربية ، متعددة ومتباينة ؛ فمنها أهداف سياسية ، ومنها علمية ، جرياً وراء المعرفة ، ومنها حباً في المغامرة ، ومنها طمعاً في الشهرة . ولكن يبقى شيء واحد يجمع بين كل هؤلاء الرّحالة ، وهو الشجاعة والإقدام ، إضافة إلى خلفيه ثقافية واسعة ، ومعرفة باللغة العربية ، وعادات الشعوب التي سيزورونها .

إن الكتابة عن هؤلاء الرّحالة في هذا الفصل ، لا تُعني بالضرورة الاتفاق معهم على كل ما جاء في كتاباتهم ؛ فهم أحياناً كانوا يجانبون الحقيقة ، كما ينقلون صوراً خاطئة ، أحيانا أخرى . ولكن الذي لا شك فيه أن بعضاً منهم جاء باحثاً ومستكشفاً ، وهو يتسلح

بحصيلة وافرة من المعارف والعلوم ، مما جعل بعض أحكامه ، التي بناها في نهاية رحلته ، تأخذ صفة الحقائق ، وليست فقط فرضيات واجتهادات .

ويورد هذا الفصل لمحة مختصرة عن أولئك الرّحالة ، الذين زاروا الأجزاء الأخرى من شبه الجزيرة العربية ، قبل أن يتطرق إلى الرّحالة الذين جاءوا إلى منطقة الجوف ، لإلقاء بعض الضوء على مدى اهتمامات أولئك الرّحالة .

"إذا ما سألني أي إنسان عن سبب قيامي برحلتي هذه ، فلا أستطيع أن أُبدي سبباً أفضل من رغبة ملحة في زيادة المعرفة ، هذه الرغبة التي دفعت العديد من بني البشر إلى رؤية العالم ومعجزات الخالق فيه" . لعل هذه الإجابة البليغة ، تُعد تلخيصاً لكل الأسباب ، التي دفعت الرّحالة الأوربيون إلى القيام برحلاتهم ، وقد قالها مغامر بولندي زار الجزيرة العربية في عام ١٥٠٣ للميلاد .

تبدأ سلسلة الاستكشافات الجغرافية الحديثة للجزيرة العربية ، برحلة قام بها كارستن نيبور (Carsten Niebuhr) الألماني المولد ، الدنماركي التبعية . وقد قام (نيبور) برحلته ، التي أشرفت عليها حكومة الدنمارك ، في عام ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م ، وكان الهدف منها استكشاف بلاد اليمن . وقد ظل كتابه "رحلات في الجزيرة العربية" (Travels in Arabia) كأول محاولة أوروبية جادة ونزيهة ، تتكلم عن بلاد العرب وأهلها ، وعن عاداتهم وأساليب حياتهم . وقد خص (نيبور) كتابه ببعض الفصول عن حياة بدو الصحراء ، الذين لم يلتق بهم في اليمن بل التقى بهم وهو يرتحل متخفياً ، في سيناء وصحراء العراق والشام .

وبعد رحلة (نيبور) بقرن من الزمان ، زار الأجزاء الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية عدد من الأوروبيين ، من بينهم جوزيف هاليفي (Joseph Halevy) الذي أصبح في عام (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) أول من كشف مأرب من الأوروبيين ، ونقل نقوشها . وزار مأرب بعد ذلك عالم الآثار النمساوي إدوارد جلاسر (Edward Glaser) .أما في حضرموت ، فقد نجح كل من "ولستد" (G. R. Wellsted) ، في سنة ١٢٥١هـ١٨٣٥/م ، والعالم الألماني

أدولف فون فريده (Adolf von Wrede) ، في عام ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م ، في التوغل داخل أراضي حضرموت ، والعثور على بعض الآثار القديمة .

ومن الرّحالة البارزين ، إلى جنوبي الجزيرة العربية أيضاً هيرش (Leo Hirsch) ، في عام ١٣١١هـ١٨٩٣/م ، وكذلك تيودور بينت (Theodor Bent) في وقت متأخر ، من العام نفسه . وكان بينت يرتحل مع زوجته .

أما في الأجزاء الغربية من الجزيرة العربية ، فقد كانت هنالك رحلات سبقت رحلة (نيبور) بوقت طويل . وتُذكر هنا الرحلة التي قام بها لودفيكو فارثما (Leodovico Varthema) ما بين عامي ٩٠٩-٩١٤هـ (١٥٠٣-١٥٠٨م) .

والرحلة التي قام بها جوزيف بتس (Joseph Pitts) في عام ١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م ، وكذلك رحلة (دومينغو باديا لبلش (Domingo Badeay Leblich) ، التي قام بها كسلفيه إلى بلاد الحجاز . وكان (دومينغو) أسباني المولد ، ارتحل في بلاد العرب باسم (علي بيه العباسي) ، وقد زار مكة والمناطق المحيطة بها في عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٧م .

وبعد رحلة (علي بيه العباسي) إلى بلاد الحجاز ، ازداد عدد الأوربيين الذين قدموا إلى هذه المناطق ؛ ويُذكر منهم بوركارت (J. K. Burckhardt) ، الذي ولد في لوزان في سويسرا عام ١١٨٩هـ١٧٨٤/م ، وكان أول أوروبي يكتشف البتراء في جنوبي الأردن . وقد تمكن (بوركارت) من القيام برحلاته بسهولة في بلاد الحجاز ، لأنه كان يتكلم اللغة العربية ، إضافة إلى إشهاره لإسلامه . ففي عام ١٢٢٩هـ١٨١٤/م . زار جدة والطائف ومكة ، ثم وصل إلى المدينة متتبعاً الطريق الساحلي الغربي . أما كتبه ، التي تصف رحلاته هذه ، فقد ظهرت في لندن عام ١٢٤٤هـ١٨٢٩/م ، ويُعد كتابه "ملاحظات عن البدو والوهابيين" (Notes on the Bedouins and the Wahhabis) مصدراً تاريخياً واقتصادياً ، عن الدولة السعودية الأولى .

أما ثاني الرّحالة العظماء إلى مكة والمدينة في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) ، فقد كان الإنجليزي ريتشارد بيرتون (Sir Richard Burton) ، الذي زار مكة

في موسم حج عام ١٢٦٩هـ١٨٥٣/م . وقد ظهر كتابه : "الحج إلى المدينة ومكة" (Personal Narrative of a Pilgrimage to al-Madina & Mecca) في لندن عام ١٢٧١هـ١٨٥٥/م ، ودرس (بيرتون) إقليم الحجاز دراسة مستفيضة ، وقد وصل إلى ينبع كأحد الحجاج الأفغان ، ومنها زار المدينة وتابع رحلته إلى مكة . وقد أضاف الكثير إلى المعلومات الجغرافية عن بلاد العرب ، بعد أن أرسله الخديوي إسماعيل لكشف وفحص خامات الذهب ، التي قيل عن وجودها في شمال الحجاز في إقليم مدين .

أما وسط الجزيرة العربية ، فقد ظلت المعلومات عنه قليلة إلى أن زار هذا الجزء ، في عام ١٢٣٤-١٢٣٥هـ١٨١٩/م ، الضابط الإنجليزي سادلر (G. F. Sadleir) ، الذي أوفدته الحكومة البريطانية في الهند ، لمعرفة الموقف على حقيقته في الجزيرة العربية إبّان حملة إبراهيم باشا . وقد وصل (سادلر) إلى القطيف ، ثم إلى الإحساء ، فمنفوحة ، فالدرعية ، فالرس ، ومنها سافر إلى المدينة وينبع ثم جدة . وبهذا أصبح أول أوروبي يخترق الجزيرة العربية ، من الساحل الشرقي إلى الساحل الغربي[1] .

وقد انقضت خمس وعشرون سنة ، قبل أن يبدأ جورج أوغست والن (George Augustus Wallin) رحلاته المكثفة إلى أواسط الجزيرة العربية . وهو واحد من عدد من الرّحالة والمستكشفين الأوروبيين ، الذين ارتادوا هذه المناطق من بعده . وزادت رحلة والن ومن تبعه بعد ذلك ، من معرفتنا بالمنطقة الوسطى من الجزيرة العربية . وتُعد رحلة والن ، ذات أهمية خاصة ، لأنه وعدد من الرّحالة الذين جاءوا بعده ، زاروا منطقة الجوف ، وتركوا معلومات غاية في الأهمية عن المنطقة ، في القرن التاسع عشر .

أما في الصفحات التالية فسوف نتطرق إلى الرّحالة الأوربيين الذين تحدثوا عن منطقة الجوف بالتفصيل في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) .

---

(١) G. F. Sadleir, **Diary of a Journey across Arabia**, (1819), Falcon and Oleander, (1977) .

أ – أولريخ سيتزن Ulrich Seetzen :

كان (سيتزن) أول أوروبي يوجه اهتمامه إلى الجوف . ومع أنه لم يقم بزيارة فعلية لهذه المنطقة بنفسه ، إلا أنه حاول قدر استطاعته لكي يتعرف عليها ، وعلى المناطق الوسطى في الجزيرة العربية . وكان (سيتزن) يعمل في السلك الدبلوماسي للإمبراطورية الروسية ، وكان مستشرقا وعالم نباتات . وارتحل بصفته مسلماً ينوي الحج إلى مكة المكرمة ، في عام ١٢٢٥هـ-١٨١٠/م . وبعد استعداد طويل لرحلته ، اتجه جنوباً ؛ ولكنه توفي بالقرب من تعز .

قبل أن يبدأ (سيتزن) رحلته إلى الجزيرة العربية ، حاول جمع أكبر قدر من المعلومات عنها . ولهذا أرسل يوسف المالكي من فلسطين إلى الجوف ، ليستطلع المنطقة . وكتب يوسف المالكي إلى (سيتزن) يصف رحلته إلى الجوف ، قائلاً[١] :

"في نهاية اليوم التالي وصلنا إلى الجوف . وهذه المنطقة هي دون شك المنطقة نفسها التي يذكرها بوشنغ (Busshing) باسم "جوف السرحان" ، والتي تتبع نجد . ويجب ألا نخلط بين اسمها واسم الجوف في العربية السعيدة (بلاد اليمن) . وتوجد في الجوف عدد من القرى الصغيرة ، لا أتذكر منها سوى ثلاث : سوق الدرع ، وسوق السعيدين ، وسوق عين أم سالم . ولا تبعد هذه القرى عن بعضها سوى مسافة قصيرة . وبيوتها مبنية من الطين ، ولكل بيت باب رئيس يؤدي إلى الخارج ، وحديقة مزروعة بأشجار النخيل ، ويحصل الأهالي على الماء من الآبار ، مستعملين دلاء تجرها الجمال . وعلمت أن أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد حكموا المنطقة لمدة تقارب العشرين عاما ، ولسنوات قليلة خلت هذه القرى (يقصد أحياء الجوف) تشكل الحدود الغربية لمنطقة نفوذهم . وبالقرب من هذه القرى يقع مبنى قديم ، يجب على المهتمين من الدارسين زيارته ، وهو يشبه المسلة وله سلم متعرج يؤدي إلى الطابق العلوي . ولا شك أن ارتفاع هذا البرج كبير ، إذ يبلغ ثلاثة أضعاف أعلى مئذنة في البلدة" .

---

(٢) U. J. Seetzen, "Beytrage zur Geographie Arabiens", **Monatliche Correspondenz zur Beforderyung der erd-und Himmels-kunde,** (November 1808), Vol. XLVI, pp. 386-388.

ويدّعي يوسف المالكي أنه واصل رحلته إلى الجزء الجنوبي من صحراء النفود ؛ ولكن ما كتبه عنه تنقصه الدقة ، التي كتب بها عن الجوف نفسها . أما الوصف الذي أعطاه للبرج ، فهو يقصد به مئذنة مسجد عمر بن الخطاب . وهو وصف -لا شك- دقيق .

ب - جورج أوغست والن George Augustus Wallin :

مع أن (سيتزن) هو أول أوروبي حاول أن يخص الجوف بالكتابة عنها ، مع أنه لم يزرها ، إلا أن أول أوروبي معروف زار هذه المنطقة هو العالم الرّحالة السويدي جورج اوغست والن (George Augustus Wallin) . وكان يتقن اللغة العربية ، وحصل على منحة من جامعته من أجل السفر إلى الجزيرة العربية . وقد درس الطب ، وكان يعالج الناس الذين التقى بهم أثناء رحلاته ، وقد أسلم وتسمى الشيخ عبد الولي .

ويُعد هذا العالم الرّحالة ، هو الرائد الأوروبي الحقيقي الذي وُفّق إلى دخول شمالي الجزيرة العربية ، إذ رحل إليها مرتين في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ؛ المرة الأولى في عام ١٢٦١هـ١٨٤٥/م ، والثانية في عام ١٢٦٤هـ/ ٤٧-١٨٤٨م ؛ فادهش العلماء بغزارة معرفته لها ، إذ تناولها في مختلف حقولها ، حتى إنه وصف أساليب الزراعة والري فيها ، كما وصف الأماكن الأثرية ، واستنبط أحكاما منطقية عن بقايا الآثار التي رآها .

أحب (جورج والن) أهل الجوف الذين زارهم عام ١٢٦١هـ١٨٤٥/م ، وأثنى على كرمهم وسجاياهم ، وكتب أجمل وصف عنهم وعن منطقتهم[١] . وقد بدأ وصفه بوادي السرحان الذي اجتازه ، وذكر أن تلال وادي السرحان ربما تكونت بفعل الرمال ، أو الرياح ، التي قذفت رمل الصحراء وجمعته في أكوام حول جذوع الشجيرات ، فأخذت هذه الأكوام تكبر تدريجياً عبر السنين ، حتى صارت تلالا وجبالا ، وإذا هطل المطر بغزارة جعل هذه المنطقة أكثر أراضي الصحراء خصباً .

ثم ينتقل إلى وادي الجوف الذي يصفه بأنه "دائري الشكل تقريبا تحيط به سلسلة

---

(١) George Augustus Wallin, **Travels in Arabia**, (1845 & 1848), Falcon-Oleander (1979), pp. 138-158 .

(جبال الجوف) ذات الارتفاع المتساوي ، الذي يقارب خمسمائة قدم (١٥٢متراً تقريباً) إذا ما قيس من السفح" . ثم يصف (والن) بلدة الجوف (دومة الجندل) ، فيقول إنها "تقع في منطقة نصف دائرية ، يبلغ طول قطرها من الغرب والشمال الغربي ، إلى الشرق والجنوب الشرقي ، حوالي٣٥٠٠ خطوة . وفي مركز هذه الدائرة تنتصب قلعة مارد القديمة ، مواجهة الشمال ، وتطل على الجوف والوادي بكامله . . وأن أكثر المنازل هنا توجد فيها غرفة مستقلة عن البناء الرئيس ، يسمونها (غرفة القهوة) ، يستضيفون فيها الغرباء والزوار ، وفيها يتناول الضيوف القهوة والطعام . والبساتين ومزارع النخيل بعيدة عن البيوت ، وتتابع إلى أعماق الوادي .

ولكل بستان سور خاص يفصله عن البساتين الأخرى ، وبين الأسوار ممرات ضيقة يستعملها الناس للتنقل . وهناك أقنية تستعمل ليلا نهارا لجر المياه ، من الينابيع إلى المزارع ، وتخصص لكل بستان عدد من الساعات ، حسب مساحته . وهذه الحصة تحددها في النهار مواقيت الصلاة ، وتحدد في الليل بواسطة النجوم . غير أن هذا الأسلوب في الري لا يكفي المزارع كلها ، فحفرت في البساتين آبار تمدها بالماء وقت الحاجة ، أما العثور على الماء في هذا الوادي فسهل ، ولا يتطلب استخراجه الحفر العميق كما هو الحال في المناطق المجاورة ، فأعمق الآبار هنا لا يتجاوز عشر قامات" .

"وبالإضافة إلى زراعة أشجار النخيل ، فإن أكثر الأشجار المعروفة تنمو في الجوف أيضاً ، مثل : التين والمشمش والأجاص والبرتقال والعنب . أما الرمان فلا تنجح زراعته كثيرا هنا . كذلك فإن زراعة الخضار قليلة جداً ، ولكن تزرع الذرة بين الأشجار في البساتين ويكاد محصولها يكفي حاجة مزارعيها . وهذا أمر نادر في قرى الصحراء"[١] .

ويقول (والن) إن بلدة الجوف يعدّها السوريون أول محلة في نجد . أما سكان نجد فيعدونها في سورية . ولم أسمع أبدا عرب هذا الجوار يقرنون اسمها بوادي السرحان ، كما ذكر (نيبور) و (سيتزن) .

---

(٤) Wallin, op. Cit., p. 140 .



أشجار نخيل من سكاكا

ثم ينتقل (والن) إلى وصف بعض ملامح التكوين الاجتماعي للجوف (دومة الجندل) فيقول : إنها تتألف من اثني عشر حياً ، تسمى أسواقا . وينتسب سكانها إلى قبائل مختلفة . . ويلاحظ أيضا أن سكان الجوف أكثر اتصالا بسورية منها بالعراق ، وذلك من الناحية التجارية . والتجار الذين يأتون إلى الجوف هم التجار السوريون وحدهم ، على عكس ما يحصل في نجد ، حيث يندر أن تصادف تاجراً سورياً .

أما أحياء الجوف فيعددها (والن) كما يلي :

الحـــــــــي الأول : الغرب : ويُقَسّم إلى ستة أقسام هي :

عشوان ، ابن حصيني ، صناع المرعي ، الجفرية ، عين أم سليم

وابن قعيد . وهذه الأقسام قريبة من بعضها وتقع في الطرف الشمالي الغربي من الوادي ، ويقطنها حوالي مائة أسرة تنحدر من شمر ، وتحمل اسم (حمولة المناصبة) . ويقيم أكثرها في حي (ابن قعيد) ، وهو أكبر سوق في الحي .

الحي الثـــــاني : الدرع : أو سوق ابن درع وهو أقدم أجزاء البلدة ، وبيوته مبنية بشكل جزئي من حجارة مربعة الشكل ، شبيهة بحجارة القلعة (قلعة مارد) ، والمسجد (مسجد عمر بن الخطاب) ؛ ويقال إن القسم الأكبر من سكان حي الدرع قد نزح إلى دومة الجندل من شقراء في نجد .

ويشير (ريتر)[١] في كتابه إلى أن (بني در) أي (بني درع) يقيمون في واد في جبل أجا اسمه وادي حفل أو (هفل) ، وقد يُعدون أجداداً سكان الدرع ، حيث غادروا مساكنهم ، وربما سلكوا الدرب التي ما تزال مطروقة عبر القصيم ، حتى وصلوا إلى طي ، ومن هناك إلى جبة فالجوف . ولا تزال بعض الأسر هنا تدعو نفسها بالقراريط ، وهي سلالة غاية في القدم . ويقول أفراد القراريط هؤلاء إنهم نزحوا في البدء من جبة . ولعلهم بقية الذين أشار إليهم مؤلف (القاموس) باسم (قروط) ، فقال إنهم بنو كلب . والمعروف أنهم عاشوا قديما في هذه النواحي ، وربما في جبة أيضاً حيث لا يزال يوجد حي هناك باسم (سوق بني كلب) .

ويقول والن إنه "لّما زار جبة بعد ذلك ، أخبره أهلها أن هؤلاء (القراريط) يملكون كُتباً قديمة" ؛ ولكن (والن) يقول إنه لم يسمع

---

(١) Carl Ritter, **Die Erdkunde im Verhaltniss zurr Natur und zur Geschichte des Menschen**, Berlin, (146-1847)

اعتمد (كارل رينز) في معلوماته ، التي أوردها في كتابه ، على أعمال

عن هذا في الجوف نفسها[1] .

"وتوجد في الدرع ثلاثة ينابيع غزيرة المياه : الكبرى ، وبرد زبيدي ، وعين الجمل . ومجموع سكان هذا الحي يبلغ مئة وعشرين أسرة .

الحي الثالـــث : سوق السعيديين : أو السراح ، وتقيم فيه خمس قبائل ، هي : السعيدان والعمر والعباسي والسلمان والحبوب . ومجموع الأسر في هذا الحي مائة وعشرون أسرة . ويُعد هذا الحي ، بعد حي الدرع ، أقدم أحياء دومة الجندل" .

الحـــي الرابـــع : الرحيبيين : وفيه حوالي سبعون أسرة يقال إنهم نزحوا من قرية رحيبة السورية . . وقيل إنها في الأرض (التحتا) ، بين حوران والنّبك . وفي هذا السوق نبع جار اسمه "العروس" .

الحي الخامـــس : العلاج : وفيه أربعون أسرة يقال إنهم نزحوا من الطفيلة بالأردن . وفي هذا الحي نبع من المياه أيضاً .

الحي الســـادس : خذما : وسمي كذلك باسم نبع فيه يقع في وسط الحي . ويبلغ عدد سكان الحي حوالي ستين أسرة ، كانوا قد نزحوا من وادي السرحان إلى الجوف .

الحي السابـــع : حي الدلهمية : وكان في السابق صغيراً وقريباً من خذما ، وفيه حوالي عشرين أسرة تنحدر وسكان (السراح) ، من منبت واحد .

---

(١) Wallin, op., p.142.

وعلاوة على الأحياء السبعة السابق ذكرها ، والواقعة في شكل نصف دائري ، فلقد أورد (والن) الأحياء الآتية أيضا :

الحي الثامن : القراطين : ويقع في الجزء الغربي من الوادي وتسكن هذا الحي أسرتان متحالفتان مع حي الغرب .

الحي التاسع : الوادي : وتسكنه ثماني أسر متحالفة مع حي الدرع .

الحي العاشر : الغطي : تسكنه أسرتان تحالفان السراح .

الحي الحادي عشر : السعيدان : وهذا الحي عبارة عن مزرعة نخيل تملكها أسرة تسكن خذما .

الحي الثاني عشر : الجرعاوي : فيه أربع أسر نزحت من جبة وأصلها من (الرمال) أحد بطون "شمر" .

وبعد أن يعدد (جورج والن) أحياء دومة الجندل ويصفها ، ينتقل إلى تاريخها قبل الإسلام ، وأثناء حكم (الأكيدر) لها ؛ ثم ينتقل إلى الفتح الإسلامي والغزوات التي قام بها المسلمون آنذاك . ثم يتحدث (والن) عن تاريخ الجوف في مرحلة لاحقة ، ويصل أخيراً إلى وصف بعض نواحي الحياة في هذه المنطقة فيقول : إن الأولاد هنا – يقصد في دومة الجندل – يلقنون منذ الصغر أصول الدين وشعائره . وتنتشر بينهم القراءة والكتابة ، أكثر مما هي عليها في المدن العربية الخاضعة للحكم التركي .

ويصف طباع أهل الجوف بأنهم مضاييف كرماء ، ومهذبون مع الغريب ، وانه لم يلق ، حتى بين أكرم عرب الصحراء ، قبيلة تفوق أهل الجوف في أفضالهم ؛ ولم يستقبله أحد أفضل من استقبالهم له . وأهل الجوف كما يقول والن – يشتهرون بمواهبهم الشعرية ، وأنه

كان يستمتع كل ليلة بالاستماع إلى الشعر والغناء ، بمصاحبة "آلة البلاد الموسيقية الساحرة" .

ويشيد (والن) بتمر الجوف فيقول : إنه من أطيب أصناف التمر ، ونكهته تفضل نكهة تمر البصرة وبغداد ؛ ومع أنه ظل يكاد يكون طعامه الوحيد طوال أربعة أشهر ، فانه لم يمل تذوقه أبدا . ويقول : "في الوقت الذي يضرب المثل بجودة تمور تيماء ، وهي من صنف واحد ، إلا أن في الجوف أصنافاً عديدة وكلها جيدة ، وقد أكلت منها خمسة عشر صنفاً" .

ويقول (والن) : "إن سكان الجوف يُعدون مدينتهم في وسط الدنيا ، ولهذا يطلقون عليها اسم (جوف الدنيا)" .

ويمكن الوصول إلى دمشق من الجوف في حوالي سبعة أيام ، ومواقع المياه على الطريق بينهما هي : النبك ووادي السرحان ومريرة وغراب وقراقر والحازم والأزرق وبصرى وحريرة ورزدلي في طريق الحج والعوج ودمشق[١] .

"والطريق من الجوف إلى الرياض ، وهي المطروقة في الأكثر ، تمر عبر جبل شمر والقصيم ، ويحتاج قطعها إلى اثنى عشر يوما أو ثلاثة عشر ، ومن المحتمل أن لا تزيد المسافة من الجوف إلى الرياض عن سبعة أيام ، فيما إذا كان السير عبر الصحراء (النفود)" .

"بينما يصعب الوصول إلى المدينة المنورة عن طريق تيماء والعجر ، في أقل من تسعة أيام . والطريق من الجوف إلى العراق تمر بأرض النفود ، إلى الشمال الشرقي من الجوف"[٢] .

ج – وليم جيفورد بالجريف William Gifford Palgrave :

كان (بالجريف) قد غادر معان في ١٦ يونيو (حزيران) من عام ١٨٦٢م ، الموافق ١٧ ذي

---

(١) Wallin, op., cit., p.150-151.

(٢) Ibid, p. 151.



أحد بساتين الجوف ، صورة التقطت عام ١٣٣٠هـ

الحجة ١٢٧٨هـ . ووصف الجوف في المجلد الأول من كتابه الذي ألفه عن رحلاته[١] .

وقد اشتمل كتابه على بعض الغرائب ، مما دفع سانت جون فيلبي (St. John Philby) إلى القول بأن (بالجريف) لم يقم بزيارة كل الأماكن ، التي ذكرها .

والذي لا شك فيه أنه زار الجوف . وقد وصلها متعباً منهك القوى ، حتى إنه عندما أشرف عليها ورأى البحيرة والبساتين الخضراء ، أطلق عليها لقب (الفردوس) أو (الجنة) . وقد نعت (بالجريف) أهل الجوف بالكرم وحسن الضيافة ، مما كان له الأثر في تشجيع الرّحالة الآخرين على زيارة الجوف ، فيما بعد .

و (بالجريف) هذا كان يهوديا في الأصل ، ثم اتجه إلى المذهب الكاثوليكي ، ثم انضم إلى جماعة اليسوعيين . ولكنه أخيراً تحول إلى البروتيستانتية ، بعد رحلاته في البلاد العربية . وكان يرتحل تحت اسم (سالم أبو محمود القيسي) ، ورافقه في رحلاته شخص يوناني كان يعمل مديراً لمدرسة يونانية في زحلة في لبنان . وقد تسمى اليوناني باسم (بركات) ، كما انتحل (بالجريف) صفة طبيب سوري ، يسافر مع قريبه اللبناني[٢] .

وكان الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث ، هو الذي موّل رحلة (بالجريف) ، الذي يقال إنه كان جاسوساً فرنسياً ، مهمته أن يعرف الأوضاع السياسية في المناطق القريبة من سوريا ومصر ، من أجل ضمان سلامة قناة السويس ، التي كان العمل قد بدأ فيها قبل ذلك بقليل . ومهما كانت ظروف رحلة (بالجريف) ، فإنه لا يقل شأناً عن (جورج أوغست والن) ، ولهذا فسوف نتوسع قليلا في الكتابة عن رحلته إلى الجوف .

في الفصل الثاني من كتابه ، الذي خصصه للحديث عن الجوف ، يقول بالجريف بعد رحلته الشاقة في الصحراء ، وعندما بدت الجوف لناظريه ببساتينها الخضراء : "كما لو كانت جنة الخلد ، التي لا يستطيع أن يدخلها أحد ما لم يكن قد مرّ على جسور جهنم من

---

(١) W. G. Palgrave, **Narrative of a Tear's Journey through Central and Eastern Arabia (1862-1863),** London and Cambridge (1865), Vol. I, pp. 46-86.

(٢) Z. Freeth and F. Winstone, **Explorers of Arabia**, pp. 153-192.

قبل" ، وبهذا يشير إلى الحر والعطش ، اللذين صادفهما في الصحراء ، قبل وصوله إلى الجوف . وهو ينسب هذا القول إلى شاعر عربي يصف بقعة مشابهة للجوف ، تقع في الأراضي الجزائرية .

وعندما اقترب بالجريف من البلدة نفسها قال : "اقترب منا اثنان من الرجال يلبسان ملابس جديدة ، ويمتطيان فرسين ، ويتسلحان ، كما هي العادة في هذه المناطق ، وقاما بتحيتنا بقولهما (يا مرحبا) ، ثم أخذا كمية كبيرة من التمر وقربة من الماء وقدماها لنا" .

"وكنا بالفعل عطشين وجائعين ، وكان التمر من الجوف نفسها ، الذي لن تلاقي له مثيلاً في شمال الجزيرة كلها ، وكان الماء صافياً وبارداً ، استُخرج من البئر قبل قليل" .

"أما أكبر الرجلين فكان في حدود الأربعين من العمر ، طويل القامة ، متين البنيان ، غامق البشرة ، تدل نظراته على ذكاء كبير . . . وباختصار فكل شيء في هذا الرجل يشير إلى شخص على شيء من الجاه والأهمية . وكان اسمه (غافل الحبوب) ، زعيم آل الحبوب في الجوف " . . . . أما الشخص الثاني فهو (صافي) ، وبدا أصغر سنا من رفيقه وأقل أناقة في ملبسه ، مع أنه مثل (غافل) كان يتمنطق بالسيف ذي الغمد الفضي ، الذي يحمله الرجال ذوو الشأن في الجزيرة العربية" . .

ويقول (بالجريف) إن كلاً من الرجلين أصر على استضافته ورفيقه ، ولكن أذعن (صافي) أخيرا لرغبة قريبه الأكبر سنا (غافل) ، الذي رافقهما إلى منزله .

ويقدم (بالجريف) وصفاً للمنزل فيقول : "وتوقفنا أمام بوابة تتسع لدخول شخص يركب جملا ، ونزل غافل عن فرسه ، ونزلنا نحن ووقفنا بانتظار أوامر أخرى . . ثم عاد مضيفنا وطلب منا أن نتبعه ؛ فدخلنا بوابة أخرى ، ووجدنا أنفسنا في ساحة صغيرة يحيط بها المنزل من ثلاث جهات ، بينما يقع في الجهة الرابعة اسطبل للخيول والجمال[١] . . ثم دخلنا غرفة القهوة . . والتي يغني وصفها عن وصف سائر الغرف المشابهة في الجزيرة العربية ، مع اختلافات بسيطة بينها . . وغرفة القهوة هنا يبلغ ارتفاع سقفها عشرين قدماً

---

(١) Palgrave, op. cit, Vol. P.49.

وطولها خمسين ، وعرضها ستة عشر قدماً تقريبا . . وسقف الغرفة من الخشب وأرضيتها مغطاة بطبقة من الرمل الناعم النظيف ، وقد توزعت قطع من السجاد على الجوانب . . ويوجد مكان إشعال النار وإعداد القهوة ، في الطرف البعيد من الغرفة " . . .[١] .

وبعد وصف مفصّل لطريقة استقبال الضيوف ، في غرفة القهوة أو "المضافة" ، ينتقل (بالجريف) إلى وصف طريقة إعداد القهوة العربية وتقديمها للضيوف . ثم يأخذهم مضيفهم لزيارة بستانه ، بعد عصر ذلك اليوم . وهنا يتطرق للحدود الجغرافية للجوف كمنطقة ، فيقول : "هذه المنطقة عبارة عن واحة منخفضة بيضاوية ، يبلغ طولها من ستين إلى سبعين ميلاً ، وتقع بين الصحراء الشمالية ، التي تفصلها عن سوريا ونهر الفرات ، وبين النفود الجنوبي"[٢] .

وقد كانت زيارة (بالجريف) إلى الجوف في فصل الصيف ، أي الموسم الذي تنضج فيه الثمار ، مما جعله يسهب في وصف البساتين ومزروعاتها فيقول : "إن البساتين في الجوف ذات شهرة واسعة وهي تستحق ذلك ، لأن إنتاجها يفوق إنتاج البساتين في جبل شمر ، وأعالي نجد ، والحجاز ، وما يجاورها . . وهنا وجدنا اهتماما خاصا بزراعة أشجار النخيل ، ومع أن معدل إنتاج الشجرة هنا لا يصل إلى المعدل نفسه في نجد والإحساء ، إلا أنه يفوق بكثير ما تطرحه الشجرة من الصنف نفسه في مصر وافريقيا ، أو وادي دجلة من بغداد إلى البصرة . وليست أشجار النخيل هي وحدها التي تزرع هنا ، فهناك أشجار المشمش والبرقوق والتين والعنب ، التي تتفوق ثمارها في الطعم وفي كمية الإنتاج على مثيلاتها في دمشق ، أو على هضاب سوريا وفلسطين . وتزرع بين الأشجار مختلف أنواع الخضراوات والحبوب . وهنا يرى المسافر ، الذي يريد مواصلة رحلته إلى الداخل ، لآخر مرة كيف يتم توزيع مياه الري على كل الحقول والمزروعات . هذه المياه تأتي من الينابيع الجارية ، بينما تُستخرج مياه الري في نجد وما يجاورها من الآبار ، مع ما يتطلبه ذلك من مشقة كبيرة . وتحيط بالبساتين في الجوف جدران عالية مبنية من الطين ، وتخترقها شبكة من قنوات الري ، التي توصل

(١) Ibid, pp. 49-50.

(٢) Ibid, pp. 56.

الماء إلى كل شجرة "[١] .

"ومن بين كل الأصناف ، التي تزرع في الجوف ، يُعد التمر هو الصنف الوحيد ، الذي يصدّر من أجل البيع ، ومن هذه العملية يحصل الأهالي على دخل معقول ، ليس من المنطقة نفسها فقط ، بل من تبوك وحائل ودمشق وبغداد ، ومن أي مكان يصدر إليه التمر . ويُعد التمر هنا خبز الأهالي ، ووسيلة للحياة ، ومصدراً للرزق"[٢] .

ثم ينتقل (بالجريف) إلى وصف بقية البلدان والتجمعات السكنية ، في منطقة الجوف ، فيذكر أن سكاكا ، التي تقع على مسافة واحد وعشرين ميلاً إلى الشمال الشرقي من دومة الجندل ، لا تقل عن الأخيرة خصوبة في التربة ، أو في عدد السكان ، الذين يبلغ مجموع عددهم في المنطقة كلها -كما يقول- حوالي الأربعين ألفاً .

ويشرح (بالجريف) بالتفصيل الظروف السياسية ، التي تعاقبت على المنطقة منذ الفترة ، التي سبقت ظهور الإسلام ، مرورا بالفتح الإسلامي للجوف على يد خالد بن الوليد ، إلى الوضع السياسي ، آنذاك ، وسيطرة طلال بن رشيد على الجوف . . ويذكر أن السكان هنا ينحدرون أصلا من قبيلة طي ، وهم بشكل عام "طوال القامة أجسامهم متناسقة ، ذوو بشرة فاتحة اللون إلى حد ما ، وشعر أسود فاحم" ، وهم من الصنف الذي يمكن أن يطلق عليه : الصنف العربي الشمالي النقي . . وهم إضافة إلى هذا يتمتعون بالصحة والنشاط ، ويبقون هكذا إلى سن متقدم . . ولا شك أن لمناخ منطقتهم الجيد ، ونمط الحياة التي يحيونها ، علاقة بذلك . . وأهم ما يميز سكان الجوف هو كرمهم . . ولا يوجد في شبه الجزيرة العربية كلها مكان يعامل فيه الضيف ، كما يعامل هنا حتى أنه يصبح وكأنه واحد منهم . "ولا يستطيع أحد أن ينكر على السكان شجاعتهم ، وكرمهم مع جيرانهم" .

ثم ينتقل (بالجريف) ورفيقه (بركات) للسُكنى في بيت مستقل ، بناء على رغبتهما ، حيث يستطيعان ممارسة التجارة بحريَّة ، إذ إنهما أحضرا معهما بعض أنواع البضائع ، مثل :

---

(١) Palgrave, op. cit., pp 58-59

(٢) Palgrave, op. cit., pp 59-60.

البن وحب الهيل والأقمشة ، ولم تكن رغبة (بالجريف) في بيع بضاعته تقل أبدا عن رغبة الأهالي في الشراء ؛ ولذلك كانوا يتوافدون على بيته منذ الصباح الباكر ، "وكان بعضهم يدفع نقداُ والآخرون يشترون بالدين . ومن الإنصاف القول إن جميع الديون قد دفعت لي بشكل كامل ، وهذا شيء لم يكن يحدث دائماً للتجار في هاي ستريت ، اكسفورد (في بريطانيا)" .

وهذا ما يقوله (بالجريف) نفسه .

وهكذا أمضى (بالجريف) ورفيقه وقتاً ممتعاً في الجوف ، ولم يتناولا طعام الغداء في البيت نفسه مرتين أبداً ، بل كانت الدعوات تنهال عليهما من كل جهة .

وأخيراً حان موعد مواصلتهما رحلتهما إلى جبل شمر ، وقد ألح عليهما الأهالي بانتظار موسم التمر الجديد ، الذي سيحل بعد شهر تقريباً ؛ ولكنهما فضلا الرحيل . وقد كانا محظوظين إذ رافقا مجموعة من قبيلة الشرارات ، كانوا في طريقهم إلى حائل عبر النفود .

د - كارلوا جوارماني Carlo Guarmani :

كان (جوارماني) خبيراً ايطالياً بالخيول ، ورحلته إلى وسط الجزيرة العربية ومنطقة الجوف ، تلي مباشرة رحلة (بالجريف) حيث قام بها في عام ١٢٨٠هـ (١٨٦٤م) . وقد تزايد الاهتمام بالخيول العربية في أوروبا إبان تلك الفترة ، ويظهر هذا من خلال الكتاب الذي ألفه (جوارماني) واسماه (الخمسة) ، مشيراً بهذا إلى عدد سلالات الخيول العربية . وقد كلّف الإمبراطور الفرنسي (لويس نابليون الثالث) ، والملك الإيطالي (فكتور ايمانويل الثاني) ، (جوارماني) القيام برحلة إلى نجد لشراء الخيول العربية منها . وقد يكون وراء هذه الرحلة دوافع أخرى سياسية ، كما كانت الحال مع (بالجريف) . وصل (جوارماني) إلى تيماء ، ثم شرقاً إلى خيبر فعنيزة ثم حائل . ومن هناك سلك طريقاً غير مباشر إلى الجوف عبر تيماء . وكما سنرى بعد قليل ، فإن (جوارماني) يدعي أنه زار الجوف من قبل ، في رحلة أخرى .

هجوم من بعض أفراد قبيلة الرولة ، إلا أن (جوارماني) تمكّن أخيراً من الوصول إلى كاف ، عند الطرف الشمالي لوادي السرحان ، ومنها واصل سيره إلى أن وصل أخيراً إلى دمشق .

ويقدم (جوارماني) في كتابه وصفاً مطولاً للجوف ، فيقول :

"إن جوف عمرو مدينة صغيرة يسكنها ستة آلاف شخص ، وبيوتها ، كمعظم بيوت قرى نجد ، مبنية من الطين ، الذي يجفف في الشمس . وكان سور البلدة الأصل يحيط بالأربعة عشر حياً ، التي تتألف منها ، ولكن بما أن هذا السور قد تهدم ؛ فقد أصبح لكل حي سوره الخاص ، كما هي الحال في عنيزة في القصيم . وهكذا يمكننا القول إن الجوف تتكون من ثلاث عشرة قرية (وكان حي الدلهمية قد دمر) ، وكل قرية تتصل بالأخرى بواسطة بساتين النخيل التي تكثر هنا"[١] .

أما بساتين النخيل من الحصيني إلى ديرة حطاب ، فتبتدىء من الجهة الغربية والشمال الغربي باتجاه الشرق ، والجنوب الشرقي . ويُعد الحصيني أول أحياء دومة الجندل ، من الجهة الغربية والشمالية الغربية ؛ ثم تأتي بعده أحياء الغرب ، والزارع ، وغطي ، والدرع ، وديرة حطاب .

أما في القسم ، الذي يقع في المنطقة الجنوبية الشرقية من البلدة ، فتوجد أحياء السّلمان والحبوب والسعيدان والرحيبيين والعلاج والزغبة وخذما وبقايا حي الدلهمية . وتقع هذه الأحياء في خط مستقيم تقريباً وتحتل مساحة طولها خمسون متراً ، وعرضها لا يزيد عن عشرة أمتار . أما أكثر الأحياء عرضاً فهو ديرة حطاب ، الذي يبعد عن الحصيني بعشرين متراً ، وعن الدلهمية بثلاثين" .

ويضيف (جوارماني) في سياق حديثه عن الجوف ملاحظة ملفتة للانتباه ، إذ يقول : "وأثناء النهار زرت الجوف ، التي أعرفها جيداً لأنني زرتها من قبل في عام ١٨٥١م (١٢٦٧-١٢٦٨هـ)" .

---

(١) Guarmani, op. ct., pp 101-102 .

ومما يؤسف له أن (جوارماني) لم يشر مرة أخرى إلى رحلته الأولى تلك ، ولم يذكرعنها شيئاً ولا عن سببها ، أو الظروف التي رافقتها .

هـ- تشارلز داوتي Charles Doughty :

يُعد (داوتي) واحداً من أعظم الرّحالة ، الذين زاروا الجزيرة العربية . وكانت رحلاته إلى الأجزاء الشمالية والوسطى والغربية من الجزيرة العربية ، حيث قام بها ما بين عامي **١٢٩٣** و **١٢٩٥** للهجرة (١٨٧٦-١٨٧٨ للميلاد) . وقد شاهد حياة البدو في الصحراء ، ووصفها وصفاً دقيقاً في كتابه رحلات في الجزيرة (Travels in Arabia Deserta)[1] ، المطبوع في كمبرج عام ١٨٨٨م . وقد زار داوتي ، في رحلتيه الأولى والثانية ، حائل وتيماء وخيبر وبريدة والطائف وجدة . وأضاف إلى الجزء الثاني من كتابه دراسة مستفيضة ، عن التكوين الجيولوجي لبلاد العرب ، وأرفقها بخريطة جيولوجية . وقد عثر على بعض الأدوات الحجرية الصوانية ، التي يُستدل منها على أن الجزيرة العربية كانت مسكونة في العصور الحجرية القديمة . كذلك وصف داوتي فن البناء النبطي القديم في مدائن صالح ، والنقود القديمة ، ورسم بدقة صور الوسم المختلفة ، التي تستعملها القبائل في تمييز قطعانها من الإبل . ولا يوجد بين كل الرّحالة الذين زاروا قلب الجزيرة العربية مثل داوتي ، من حيث اهتمامه بحياة القبائل البدوية هناك ، حيث عاش معها مدة سنتين متحملا شظف العيش ، ومتنقلا معها من مكان إلى مكان . وهو يختلف عن غيره من ناحية ارتحاله على مسؤوليته ودون دعم من أي جهة ، ومتحملاً لمخاطر هددّت حياته أكثر من مرة .

ولد داوتي في انجلترا في عام ١٨٤٣م/١٢٥٩هـ . وبدأ رحلاته وهو في الثامنة والعشرين من عمره ، مبتدئاً في أوربا ثم البلاد العربية . وكانت أولى زياراته في العالم العربي إلى فلسطين وسوريا ، حيث أمضى سنة لتحسين لغته العربية . ثم انضم إلى قافلة متجهة إلى الديار المقدسة ، ورافقها حتى مدائن صالح ، ومن هناك ابتدأ رحلاته إلى أواسط الجزيرة العربية . وبينما كان داوتي في حائل ، سمع عن الحملة التركية على الجوف ، التي حدثت

---

(١) Charles Doughty, **Travels in Arabia Deserta**, London, (1888) .

قبل سنوات من زيارته ، وهذا ما زاد من اهتمامه بمنطقة الجوف ، والمناطق المحيطة بها .

ويضيف داوتي[1] أنه في سنة ١٢٨٩ للهجرة/ ١٨٧٢ للميلاد ، أرسلت الحكومة التركية في سوريا حملة عسكرية لإخضاع الجوف لسيطرتها . وكما ذُكر من قبل ، فان هذه الحملة ابتدأت من معان تحت إمرة محمد سعيد باشا ، وكان قوامها ثلاثمائة وخمسين رجلا .

ويصف داوتي ، طبقا للمصادر التي استمد منها معلوماته ، أن هذه القوة تمركزت في الجوف بسهولة ، ولكن ابن رشيد ، أمير حائل ، كتب إلى الباشا العثماني طالباً انسحاب القوة من الجوف ، التي كانت تتبع له ، وإلا إجبرها على ذلك . ولّما رفض الباشا العثماني الانسحاب ، أرسل إبن رشيد قواته ، التي تفوق الأتراك عدداً إلى الجوف . ولكن الأتراك عوضوا الفرق باستعمال مدافعهم . ولم يؤد القتال إلى حسم الأمور بين الطرفين ، مما جعلهما يتفاوضان . وأسفرت المفاوضات عن اتفاق ينص على بقاء الجوف ، تحت حكم ابن الرشيد ، و لكن عليه أن يدفع مبلغ ألف وخمسمائة مجيدي في السنة للدولة العثمانية . كذلك نص اتفاقهما على انسحاب القوة التركية من الجوف ، على أن تخلّف وراءها حامية صغيرة للإشراف على جمع الزكاة . وعلى أية حال ، فقبل زيارة داوتي لحائل بأربع سنوات ، كان ابن الرشيد قد أكمل سيطرته على الجوف مرة أخرى ، بعد أن هرب الجنود المغاربة ، الذين كانوا ضمن الحامية التركية ، والتجأوا إلى ابن رشيد .

و- الليدي آن بلنت **Lady Anne Blunt** :

ولدت الليدي آن بلنت في انجلترا في أسرة عريقة ، وكانت حفيدة اللورد بيرون ، النبيل الانجليزي المغامر والشاعر .

وقد تزوجت ولفرد بلنت عام ١٨٦٩م ، ومعه ابتدأت رحلتها إلى البلاد العربية ، للحصول على الجياد العربية الأصيلة[2] . وقد غادرا دمشق في الثالث عشر من شهر ديسمبر من عام ١٨٧٨م/ السادس عشر من ذي الحجة عام ١٢٩٥هـ . ووصلا الجوف بعد

---

(١) Ibid, pp. 47-50 .

(٢) Z. Freeth and V. Winstone, **Explorers of Arabia**, pp. 270-271 .

شهر تقريباً من هذا التاريخ . ونتيجة لهذه الرحلة كتبت الليدي آن بلنت كتاباً بعنوان : "رحلة إلى نجد" (A Pilgrimage to Nejd)[1] أوردت فيه فصلاً ممتعاً عن الجوف . وكانت المجموعة ، التي غادرت دمشق ، تتألف من ستة أفراد ، إضافة إلى الليدى وزوجها ، منهم محمد العروج ، ابن زعيم مدينة تدمر في سوريا ، الذي كان يرغب بالسفر إلى نجد للزواج من قريبة له هناك .

سافرت الليدي وهي تلبس كوفية على رأسها ، وعباءة فوق ملابسها . ووصلت المجموعة إلى كاف في وادي السرحان ، حيث صادفوا بعض أقارب دليلهم محمد ، وعلموا منهم أن عدداً آخر من أقاربه يعيشون في الجوف .

وبعد مسيرة خمسة أيام في وادي السرحان ، تعرضوا لغزو من بعض أفراد قبيلة الرولة ، الذين هاجموا ولفرد وكسروا عقب البندقية على رأسه . ولمّا رأت الليدي أن لا مفر لهم ، صاحت بأقرب فارس من المهاجمين : "أنا دخيلك" ، أي إنني بحمايتك ؛ فتوقفوا عن إيذائهم وسألوهم عن وجهتهم وعن هويتهم ؛ فأخبرهم الدليل محمد بأن الليدي وزوجها من الإفرنج ، وهم أصدقاء لابن شعلان .

وبعد مسيرة ثمانية أيام وصلت المجموعة إلى الجوف ، حيث استقبلهم بعض رجال أمير البلدة ، ودعوهم إلى قصر الأمير ، الذي كان غائباً ؛ فاستقبلهم نائبه دواس بالنيابة عنه ، وهناك تناولوا وجبة من الطعام تتكون من اللحم ، الذي لم تتذوق الليدي له مثيلا كما تقول ، وظنت أنه لحم ظبي تم اصطياده من النفود ، ولكن الظاهر أنه كان لحم المها[2] .

وقد أخبرهم دواس بضرورة الحصول على إذن من الأمير جوهر ، إذا ما أرادوا مواصلة رحلتهم إلى حائل ؛ فذهبوا من الجوف إلى سكاكا ، وأقاموا في ضيافة أحد أقرباء الدليل محمد مدة ثلاثة أيام ، انتهت خلالها المفاوضات بشأن زواج محمد من إحدى قريباته .

---

(١) Lady Anne Blunt, **A Pilgrimage to Nejd, London,** (1881; reprinted 1968), I, pp. 111-151.

(٢) Freeth and Winstone, op. cit., p. 274.

وفي سكاكا ، أيضاً ، زارت الليدي وزوجها الأمير جوهر ، وقدّما له هدية من الملابس . وزودهم جوهر بدليل يسافر بهم عبر النفود ، إلى حائل .

وبعد مسيرة يومين من الجوف وصلوا آبار الشقيق ، حيث ملأوا قِرَب الماء ، ومن هناك ابتدأوا الرحلة الشاقة عبر النفود ، حيث تنتظرهم مسيرة خمسة أو ستَة أيام ، دون آبار للماء في الطريق . وكان دليلهم الجديد راضي ، يقص عليهم قصصاً تثير الرعب عن المسافرين ، الذين هلكوا في الصحراء ، وكيف أن كتيبة تركية تتألف من خمسمائة رجل هلكت بأكملها جوعاً وعطشاً ، عندما كان أفرادها يغادرون حائل في طريقهم إلى بلادهم[١] .

ز- جوليوس ايوتنج Julius Euting :

وهو ألماني قام برحلة إلى الجزيرة العربية عام ١٨٨٣م - ١٣٠٠/١٣٠١هـ . ويخص ايوتنج الجوف بجزء كبير من كتابه ، الذي ألفه عن رحلاته . وفي هذا الجزء يفرد فصلاً كاملاً عن وجود الأتراك فيها (انظر الفصل الخاص بوجود الأتراك في الجوف) .

وقد دوّن ايوتنج رحلته في شكل مذكرات يومية ، وصف فيها حياة الناس الاجتماعية وصفاً دقيقاً .

وفيما يلي نورد مقتطفات من مذكراته ، نقلا عن النص الألماني[٢] : "تضم واحة الجوف بمفهومها الواسع ، عدداً من القرى والمناطق المأهولة تمتد حتى مسيرة يوم واحد باتجاه الشمال الشرقي ، وتقع في منخفضات متباعدة ولكنها كلها تشرب من حوض مائي واحد . ومن هذه القرى : سكاكا (٨٠٠٠) نسمة ، قارة (١٠٠٠) نسمة والطوير (٣٠٠) نسمة .

أما الأماكن المأهولة الأخرى ، التي ذكرها الرّحالة الآخرون ، مثل مويسن ، فيبدو أنها أصبحت الآن خالية تماما . والمكان الرئيس هنا هو الجوف أي دومة الجندل ، التي يسكنها حوالي (١٢٠٠٠) نسمة . . وكانت أسواق هذه البلدة يشكل كل واحد منها قلعة منفردة ،

---

(١) Ibid, p. 277 .

(٢) Julius Euting, **Tagbuch einer Reise in Inner Arabien**, Leiden, 2 Vols. (1869-1914) .

قبل سيطرة شمّر عليها . والسكان يشكلون مزيجاً مختلفاً من مجموعة من القبائل ، كانت تسود بينهم الخلافات إلى أن أتت يد عبيد بن رشيد الحديدية ، وسياسة طلال الصّارمة ، فغيّرت الأوضاع . ويمكننا الآن أن نتكلم عن الأمن والنظام هنا ، ولكن التجارة والحرف غير مزدهرة هنا ، إذ لا توجد أية متاجر أو أسواق" .

" . . . وتتعرج الأزقة الضيقة بين الجدران العالية للبيوت ، دون أن يتاح المجال لرؤية ما خلف هذه الجدران . وترى في أغلب البيوت الجديدة أبراجا يصل ارتفاعها من ٣٠-٤٠ قدماً ، لها نوافذ ضيقة توحي بأنها كانت تستعمل أساسا لأغراض دفاعية ؛ ولكنها الآن ليست إلا للزينة ، ودليلاً على عراقة البيت وساكنيه" .

ويستطرد ايوتنج بعد ذلك بوصف مفصل لقلعة مارد ، ومسجد عمر بن الخطاب ومئذنته .

وقد كان وصول الرّحالة الألماني إلى الجوف ، يوم ٩ تشرين أول - اكتوبر من عام ١٨٨٣ (١٣٠٠-١٣٠١هـ) ، حيث استقبل استقبالاً طيباً من قبل الأهالي . ثم زار مقر الأمير آنذاك ، وهو جوهر ، فرحّب به وبزميله (هوبر C.Huber) أجمل ترحيب . وقاما بدورهما بإهدائه مجموعة من السيوف الثمينة .

ثم يستطرد ايوتنج قائلا[١] :" أخذ الجميع يسألوننا عن رحلتنا بكل تفصيل . ومع كل التبخير المعتاد قُدمت لنا القهوة الحلوة أولاً ، ثم أتت القهوة الحقيقية . وأخيراً قُدّم لنا التمر الكبير الرائع الحلاوة مع الزبدة . وبعد أن انتهى الاستقبال استطعت أن أخرج من المجلس إلى الساحة ، حيث طلبت من مرافقنا محمود أن يصب علي عدة سطول من الماء ، ومن ثم حلقت رأسي وبدلت ثيابي وذهبت إلى خارج القصر لرسم بعض الرسومات ، ولكن ما ان تمددت على الأرض للراحة ، حتى رحت في سبات عميق" .

"أما في العشاء فقد تناولنا لحم ضأن مع أرز فيه بهارات بكمية كبيرة . وفي اليوم التالي

---

(١) Ibid, pp. 123-140 .

الأربعاء ١٠ أكتوبر من عام ١٨٨٣م ، وفي الساعة الثامنة صباحاً ، قام هوبر مع مرافقه بزيارة للقرى الواقعة إلى الشمال الشرقي من الجوف ، وهي سكاكا وقارة والطوير . . . وفي المساء جرى الحديث عن السياسة في مضافة جوهر . وقد كان محور الحديث ، الذي كان للبدو فيه النصيب الأكبر ، يدور حول ضعف وهزال سلطة الدولة العثمانية (الباب العالي) وانهيارها المتوقع قريبا" .

"الخميس ١١ أكتوبر – وردني خبر سقوط رديفي (محيثل) أمام داره ، مغمىً عليه ويعاني من حرارة عالية ، فقررت زيارته بعد الظهر . وبما أن مسكنه كان في سوق الهويدي البعيد ، فلم يقبل جوهر أن أذهب إليه مشيا على الأقدام ، وإنما أمر لي بحمار فركبته دون سرج أو لجام ، ومشى أمامي إبراهيم الذي كان يحمل سيفي ، ومحمود الذي كان يحمل صرة من الأدوية . كما كان يمشي ورائي جنديان . وكان الطريق ينحدر من القصر باتجاه الوادي ، ماراً لمسافات طويلة بين جدران الحدائق ، وأشجار الغضا القديمة . وكنا نلتقي بعض الأحيان بمجموعات من الناس يحيوننا بكل ترحاب ، وقد أراني محمود في طريقنا مكاناً متسعاً ، في وسطه مرتفع ، وهو نفس المكان الذي نصب فيه المدفع التركي ، حيث جرت المفاوضات بين ابن الرشيد ومحمد سعيد باشا" .

"وبعد نصف ساعة وصلنا إلى بيت محيثل ، الذي بدا وكأنه يختفي في حديقة وارفه الظلال وفيرة الماء ، وحين دخولي وجدت محيثل في حالة سيئة ، عاري الصدر حاسر الرأس مستلق في شبه غيبوبة . وغير قادر على النهوض أو الكلام . وأخذت أشجعه وأصبره ، وابتدأت بمعاينته . فقد كان يسعل وحرارته مرتفعة ، وبطنه منتفخاً بعض الشيء ، لذا عرفت أنه مصاب بحمى التيفوئيد ، فأعطيته جرعة من دواء (كالوميل) ، وتركت له جرعة أخرى بعد أن أفهمت ابنه كيف يعطيه الدواء" .

"وبينما كان يجري إعداد القهوة ، رغبت في زيارة للحديقة المعتنى بها كثيراً ؛ فرأيت إضافة إلى أشجار النخيل ، أشجار التين والعنب والرمان والمشمش والدراق والخيار والبطيخ ، وغير ذلك الكثير من الخضراوات " .

ويقول ايوتنج[1] إنه في مساء ذلك اليوم تناول لحم الإبل لأول مرة ، فكان حساؤه لا يختلف في طعمه عن حساء الغنم أو الماعز ، لكن اللحم أخشن أليافاً وأدكن لوناً . وبعد العشاء ذهبوا إلى منزل تاجر الجمال (حسين) ، لتناول القهوة .

"الجمعة ١٢ أكتوبر - كان الهواء قوياً جداً والرياح عاصفة ، فجلست أرسم صورة لجوهر ، أمير دومة الجندل . وكان سروره بها عظيماً لسببين ، هما أن بشرته بدت بالصورة فاتحة اللون ، وأن غليونه ظهر معه في الرسم" . ويعقب ايوتنج قائلا بأن الأخبار تنتشر في الصحراء بسرعة عجيبة ، فقد سمع بانتشار خبر الصورة في أماكن زارها بعد ذلك ، ومنها حائل ، حيث قال له أميرها مازحاً : "لقد صورته شديد البياض" .

"وكان اليوم التالي هو عيد الأضحى ، حيث ذبح جمل بهذه المناسبة . وبدا أن رغبة التنظيف قد حلت في جميع الناس . . فإلى أي زاوية تطلعت كنت ترى رؤوساً تغسل ، وذقوناً تحلق ، وقمصاناً تُبدل ، وثياباً فاخرة تخرج من مخابئها ، وعلى أي حال فقد بزّني مرافقي محمود بجماله وابّهته" .

"السبت ١٣ أكتوبر - عيد الأضحى حيث تقبل جوهر في الصباح الباكر التهنئة ، وأدخلت بعد ذلك الصواني النحاسية ، التي تمتليء بالأرز ولحم الإبل ، ويبلغ قطر كل صينية من قدمين ونصف إلى ثلاثة أقدام" .

وأراد ايوتنغ أن يغادر الجوف في اليوم التالي ، فوجد صعوبة في تأمين بعض الجمال ليستأجرها ، إذ إنها كانت في المراعي خارج البلدة ، لعدم توفر علف كاف لها . وكانت تمتد أمامه رحلة تستغرق خمسة أيام ، مما استوجب تأمين كمية كافية من الماء في قرب جلدية . وفي المساء ، وعند عودته إلى الدار ، حيث كانت الشمس تقارب المغيب : "رأيت ما لم أره في رحلتي كلها" ، كما يقول ايوتنغ ، "ففي السهل جرت رقصات رائعة ؛ حيث وقف صفان أحدهما يضم أكثر من عشرة فتيان ، والصف الآخر يضم عدداً مماثلا من الفتيان ، تفصل بينهما عشرون خطوة . وفي الوسط بين الصفين كانت ترقص فتاتان برأس

(١) Euting, op. cit, pp. 123-140 .

مكشوف ، وشعر سابل ممشط للخلف . وكان الرقص يجري بكل أدب والنظرة موجهة إلى الأرض ، وبخطوات رشيقة وبذراعين ممدودتين ، كانتا تتقاربان وتتباعدان ؛ وفجأة أدارتا ظهريهما لبعضهما ورمتا رأسيهما إلى الخلف ، حسب الإيقاع الموسيقي وتموج شعرهما معا . وأثناء ذلك أخذت الفتيات يصفقن على الإيقاع ، مادّات أيديهن أمام صدورهن ، ثم نحو الأرض ، بينما كان الفتيان كتفاً لكتف شاهرين سيوفهم أمامهم ، ويهزون أجسامهم مع الموسيقى مع مراعاة الغناء ، ولم أستطع أن أفهم كلمات القصيدة ، ولكنني حفظت النغمة الموسيقية ، وقد قيل لي إن اسم هذه الرقصة هو (الدّحة) . وقد ذكر بوركهارت في كتابه (ملاحظات ومشاهدات بين الأعراب ١٨٣١م) رقصة مماثلة . وكذلك وصف (فينشتاين) هذه الرقصة وصفاً جيداً . أما اسم (سحجة) فلم يذكر لي آنذاك . وكما ذكرت فلم يقف الناس هنا أثناء تأدية الرقصة في شكل دائري ، وإنما كانوا في صفين متقابلين . وقد قال لي (غراف لاند بيرغ) ، إن رقصة مشابهة تسمى (الدبكة) موجودة في سورية" .

وفي صباح اليوم التالي غادر الرّحالة الألماني جوليوس ايوتنج الجوف لمواصلة رحلته في الجزيرة العربية .

ح - تشارلز هوبر Charles Huber :

وهو رحالة فرنسي قام برحلتين إلى الجزيرة العربية ، أولاهما في صيف ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م ، وصل فيها إلى حائل ؛ والثانية في عام ١٣٠٠-١٣٠١هـ/ ١٨٨٣-١٨٨٤م عندما جاء مع جوليوس ايوتنج . (الذي تحدثنا عنه قبل قليل) . وقد زار هوبر الجوف برفقة ايوتنج ، إلى أن افترقا ، كل منهما إلى وجهته ، فيما بعد . وقد نشر كتاب هوبر عن رحلاته بعنوان : (Journal d'un Voyage en Arabie 1883-1884) في سنة ١٣٠٨هـ١٨٩١/م . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن كتاب هوبر لم يكن سوى نقل عن مذكراته اليومية ، التي دوّنها أثناء ارتحاله للمرة الثانية ؛ ولهذا فإن الكتاب يركّز ، بصفة خاصة ، على المسافات وقياسها ، وعلى أدق التفاصيل عن تحركات المؤلف بالساعة ، بل وبالدقيقة . وإضافة إلى ذلك ، فتوجد بالكتاب بعض الملاحظات عن السكان وحياتهم .

وبشكل عام ، فإن كتاب هوبر ، لغير الدارس أو المتخصص ، يُعد تجربة تثير الغيظ والملل ، وسنورد هنا ترجمة لبعض فقرات الكتاب للدلالة على ذلك :

" الأربعاء - الثالث من أكتوبر (١٨٨٣م)[١] في الطريق إلى الجوف في الساعة الثامنة وعشرين دقيقة غادرنا كاف واتجهنا إلى جنوب شرق بزاوية مقدارها ٣٠ درجة . وفي الثامنة وخمس وأربعين دقيقة سرنا إلى الجهة الجنوبية الشرقية بزاوية ٤٥ درجة ، وفي الثامنة وخمس وخمسين دقيقة واصلنا مسيرنا باتجاه الجنوب الشرقي بزاوية ٧٠ درجة ، وفي التاسعة وخمس دقائق بزاوية ٨٠ درجة ، وفي التاسعة وثماني دقائق بزاوية ٨٥ درجة . وفي التاسعة وخمس وعشرين دقيقة إلى الشمال الشرقي بزاوية ٨٠ درجة ، وفي التاسعة والنصف إلى الجنوب الشرقي بزاوية ٨٥ درجة ، وفي العاشرة واثنتين وعشرين دقيقة سرنا باتجاه شمال شرق ، وفي الحادية عشرة وتسع عشرة دقيقة وصلنا إلى إثرة " .

ثم يواصل هوبر في مكان آخر قائلا :

"٦ أكتوبر . في الساعة الثامنة صباحاً بدأنا السير باتجاه الجنوب الشرقي بزاوية ٧٠درجة وفي الساعة الثانية عشرة وعشرين دقيقة ظهراً كنا نسير باتجاه الجنوب الشرقي بزاوية ٥٠ درجة . وقطعنا في الساعة الواحدة ٤٣٥٠ خطوة . بقينا نسير سبع ساعات في أرض صحراوية مليئة بالحجارة . وفي الساعة الواحدة ظهرت أمامنا تلال النفود . ووصلنا إلى مكان جرت فيه معركة بين الشرارات وبني صخر عام ١٨٧٧م ، عندما قام بنو صخر بغزوة على الشرارات . وقتل في هذه المعركة ٩٠ شخصا . وبقينا في هذا المكان خمس دقائق"[٢] .

---

(١) Huber, C. **Journal d'un Voyage en Arabie (1883-1884).** Paris (1891) p. 35 .

(٢) Huber, op. cit., 39-40 .

وفي يوم ١٠ أكتوبر اقتربوا من سكاكا[١] وهنا يقول هوبر :

"في الساعة الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة وصلنا إلى هضبة بيضاء ، ارتفاعها خمسة عشر متراً ، وتقع في منتصف الطريق بين الجوف وسكاكا . في الثالثة وخمسين دقيقة وصلنا إلى سكاكا ، ودخلنا السوق الواقع على الجهة اليسرى ، بينما كان هناك سوق آخر يقع أمامنا . وهواء سكاكا عليل ، وتبدو عليها مظاهر النظافة والرفاهية ، وأشجار النخيل جميلة وتمرها مثل تمر الجوف في جودته" .

"الثلاثاء ١١ أكتوبر – صعدنا إلى القصر هذا الصباح ، ولكنني لم أستطع تحديد زاوية ارتفاع الشمس لأنها كانت تحتجب خلف الغيوم . . ويوجد في سكاكا عشرة آلاف من السكان ، وبها ستة أسواق كما علمت . . وأكثر كثافة للسكان هنا توجد إلى الشمال والشرق من القصر"[٢] . وفي وقت متأخر من صباح ذلك اليوم افترق هوبر عن رفيقه ايوتنج .

"وفي السابعة وخمس عشرة دقيقة غادرت سكاكا . وفي السابعة وتسع وخمسين دقيقة كنت عند طرف البلدة . وقطعت بين السابعة وتسع وخمسين دقيقة والتاسعة ٤٩٠٠ خطوة . وفي التاسعة وصلت إلى الطوير ، عند بئر الشيخ حمد ، الذي يلاصق بيته الصخرة التي تقع عليها القلعة . ويوجد الكثير من النقوش على هذه الصخرة .

ومن قمة قلعة الطوير دوّنت هذه الملاحظات :

"قصر سكاكا ١٦٨°

قمة أم الصقور ١٥٣°

قمة اليابس ١٤٤°

قمة اللقائط ١٤٠°

---

(١) Ibid, p. 43 .

(٢) Ibid, p. 44 .

منطقة قارا ٣١ْ "

ويصف هوبر الجوف بالطريقة نفسها ، دون الالتفات لوصف مشاهداته عن البلدة والسكان . فيقول مثلا :

"السبت ١٣ أكتوبر

يوم العيد – في الثالثة وخمس وعشرين دقيقة زرت المنطقة الشمالية من الجوف ، وفي الثالثة وخمس وأربعين دقيقة كنت عند القصر ، وفي الرابعة وعشر دقائق كنت عند أطراف البلدة ، وفي الرابعة وعشرين دقيقة وصلت الجدار ، الذي يحيط بالمنطقة ، التي يدعوها الناس : "إمارة الأكيدر" .

وكما رأينا فإن كتابات هوبر على العكس من كتابات رفيقه في الرحلة ايوتنج ، التي وصفت بالتفصيل مشاهداته عن الأماكن التي زارها ، وعن الناس الذين التقى بهم ونمط حياتهم .

وأخيرا غادر هوبر الجوف في طريقه إلى حائل ، في الثامنة والنصف من صباح يوم الأحد ١٤ أكتوبر . وربما لو أنه عاش طويلا بعد رحلته تلك ، لوجد الوقت لتدوين مشاهداته بالتفصيل ، ولكن القدر لم يمهله إذ قتل في الحجاز قبل إكمال رحلته .

ط – ارتشيبالد فوردر Archibald Forder :

وهو راهب انجليزي كان يعيش في القدس في مطلع القرن العشرين ، عندما قرر أن يقوم برحلة في شتاء عام ١٩٠٠م إلى الجزيرة العربية . وقد ترك كتاباً عن رحلته هذه ، خص الجوف منه بجزء كبير . وقد قال في بداية الفصل ، الذي أطلق عليه عنوان (مغامرة رابعة تأتي بي إلى حافة الصحراء) ، ما يلي[(١)] :

"لم يثنني فشلي السابق عن فكرة الوصول إلى بلدة الجوف ، وهي أكبر وأهم بلدة في

(١) Archibald Forder, **Ventures among the Arabs in Desert, Tent, and Town,** Boston (1905), pp. 151-233 .

شمالي الجزيرة العربية" .

وإن كنا سنتحدث هنا عن رحلة فوردر ، فليس لأنها ذات قيمة تاريخية ، أو أنها تضيف شيئا إلى معلوماتنا ؛ بل لأن الهدف منها كان يمتاز بالغرابة ، وهي بهذا تختلف عن باقي الرحلات ، التي قام بها الآخرون قبله وبعده . وقد كان الهدف من رحلة فوردر التبشير بالدين المسيحي ، في "معقل الإسلام ومصدره" ، كما يقول ؛ أي في الجزيرة العربية . ولهذا ، فقد حمل معه أربع حقائب ، ملأها بنسخ من الإنجيل المترجم إلى العربية ، إضافة إلى المنشورات الأخرى ، التي تدعو إلى الدين المسيحي . أما أغراضه الشخصية ، فقد اقتصر على "كمية محدودة من أشد الحاجات ضرورة" كما يقول . وهكذا ، فإن هذه الرحلة الغريبة تُعطي انطباعاً عن صاحبها الأشد غرابة .

كان فوردر يتكلم العربية ، ويرتدي الملابس العربية في أسفاره . وقد وصل إلى كاف ، التي كانت تخضع لحكم ابن الرشيد ، ومنها إلى إثره ، حيث سرقت بعض أمتعته هناك . ولكن عند عودته إليها بعد ثلاثة أشهر ، وجد أن شيخ كاف قد استرد الأمتعة من اللصوص ، واحتفظ له بها . ووصلت القافلة ، التي كان يرافقها فوردر ، أخيرا إلى الجوف .

وسنتركه هنا يسرد ما صادفه هناك حيث يقول :

" . . . وبدت أمامنا أشجار النخيل في الجوف ، وقد انتصبت على علو منها قلعة دائرية الشكل ، لا يعلم أحد تاريخ بنائها . . . وفي حوالي الرابعة مساء دخلنا البلدة نفسها ، ونزلنا في غرفة الضيافة الواسعة ، التي تخص أبناء حاكم البلدة ، وهو جوهر ، أو أبو عنبر"(١) .

ثم يقول تحت عنوان (خطة الأمير لدعوتي إلى الإسلام) ، ما يلي :
"وعند وصولنا إلى القلعة نفسها ، رأيت الرجال والنساء والأطفال يهرعون لملاقاة أقربائهم بعد وصولهم ، من رحلتهم الشاقة في الصحراء . ثم اكتشف المستقبلون وجود غريب مع

---

(١) Ibid, p. 205 .

القافلة ، فسمعت منهم بعض العبارات مثل (فليحفظنا الله من هذا الكافر)[1] . وقد أثارت أبراج القلعة اهتمامي ، وعلمت أنها تستخدم لغرض دفاعي ؛ ولكن كان من المستحيل التقاط أي صورة لها بسبب الرقابة المستمرة المفروضة علي . كذلك دهشت من جمال آلاف الأشجار من النخيل التي رأيتها هناك . أما بالنسبة للجوف كمدينة فيبلغ طولها الميلين تقريباً وعرضها ربع ميل . وقد علمت من الأمير ، فيما بعد ، أن عدد سكان الجوف أربعون ألفا على وجه التقريب . . . أما البيوت فهي هنا مبنية من الطين ، وبعضها يرتفع إلى ثلاث طبقات ، وتحمي أسطحها جدران يبلغ ارتفاعها نصف قامة تقريباً . ولا تختلط النساء بالرجال هنا ، ويقضين بعض أوقاتهن على الأسطح ، بعيداً عن الأعين . وغالبية المنازل بلا أبواب بسبب قلة الخشب ، ويقضي الناس معظم أوقاتهم خارج المنازل في أشهر الصيف الحارة حيث يجلسون في ظلال أشجار النخيل . ويقل المطر في الجوف ، وقد قيل لي إن متوسط نزوله ثلاث مرات في العام . أما الماء فهو متوفر ، ويجري استخراجه من الآبار بواسطة الجمال . كما توجد بعض الينابيع الكبريتية الدافئة ، التي يستعمل الناس مياهها للاغتسال والوضوء . . ولا يوجد في الجوف محلات تجارية من أي نوع" .

"وعند سؤالي عن الكيفية التي يحصل بها الناس على ضرورياتهم ، مثل الملابس والقهوة وأواني الطبخ وغيرها ، علمت أنهم يعتمدون في هذا على القوافل ، التي ترتاد البلدة من مكة وبغداد ودمشق" .

ثم يذكر فوردر أن الرجال في منطقة الجوف يصنعون عباءاتهم بأنفسهم ، إضافة إلى أغطية الرأس وسروج الخيل والسجاد . وقد أشترى لنفسه عباءة كلفته ثلاثة دولارات ونصف ، ويقول إن العبي الجوفية ذات قيمة كبيرة في فلسطين وسوريا . ثم ينتقل إلى وصف بساتين الجوف ، وما يزرع فيها من أشجار الفاكهة والخضراوات ، إضافة إلى أشجار النخيل ، ويضيف "أما الرجال فبعضهم يدخن ، كما أن الكثير منهم ومن أولادهم يتقنون القراءة والكتابة ، ويمتلكون الساعات اليدوية . وقد أثار دهشتي جهلهم بما يجري في العالم الخارجي ؛ فلا يوجد هنا نظام للبريد ، كذلك لا تصلهم الصحف أو البرقيات ، وعدم وجود

---

(١) Forder, op. cit., p. 206.

سكة للحديد جعلهم معزولين عن العالم . . . أما حاكمهم فهو عبد العزيز بن الرشيد ، الذي يسكن حائل ، وهي على مسيرة ستة أيام من الجوف ، وممثله هنا جوهر ، وهو رجل كبير السن يتمتع بنفوذ كبير وبعض الاحترام ، ويتسم بالحزم"[(١)] .

ثم يصف فوردر زيارته الأولى لجوهر ، وكيف استقبله وسأله عن غرض رحلته ؛ فكان الجواب : "جئت لرؤية الجوف وأهلها ، وكذلك (لأبيع) كلمة الله لمن يشتري" .

ومع أن وجود فوردر في الجوف ، كان خلال شهر رمضان من عام ١٣١٨هـ١٩٠١/م ، فعلى الرغم من ذلك أمر له جوهر بالتمر والطعام قائلاً له : "نحن صائمون ولا نأكل الآن ولا بد أنك جائع فلا تخجل وكل واحدٍ على دينه" .

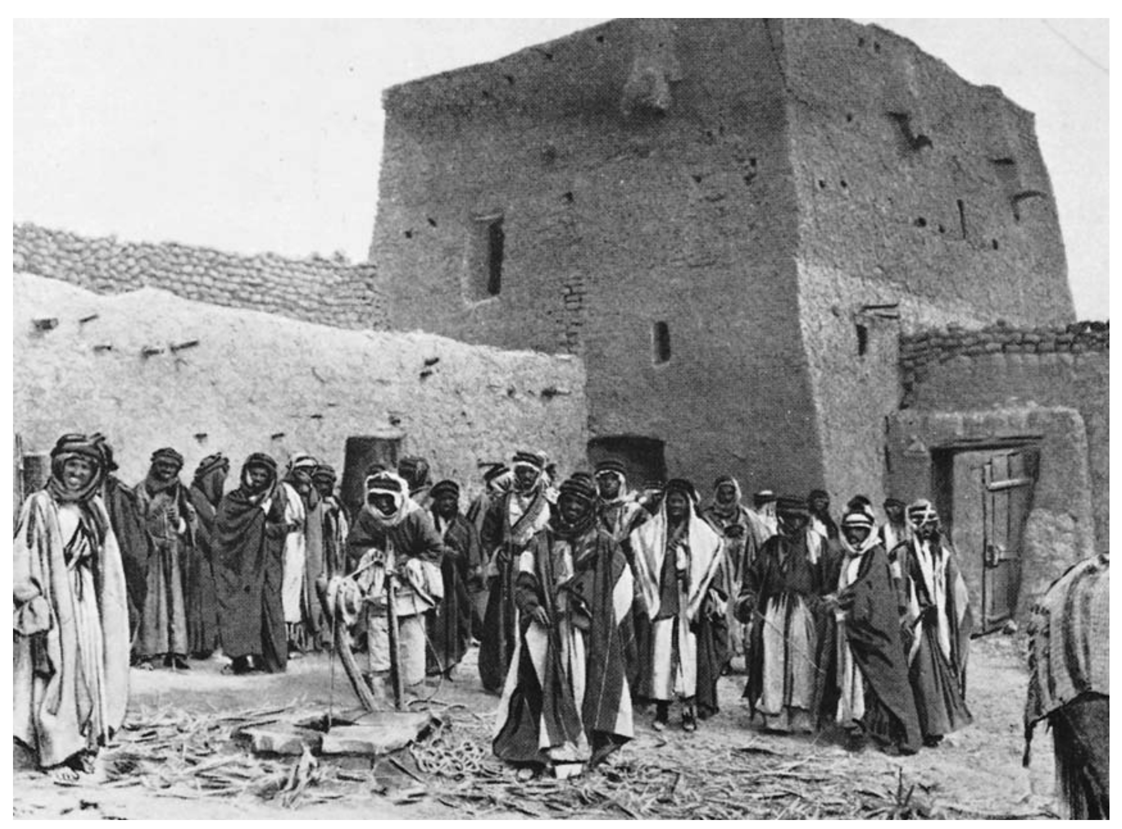
ي- الويس موسيل Alois Musil :

قام موسيل بعدد من الرحلات إلى شمال وشمال غربي الجزيرة العربية ، إضافة إلى المناطق الصحراوية في سوريا والعراق . وهذه الرحلات التي قام بها موسيل ذات أهمية خاصة ، بسبب المعلومات الدقيقة والمفصلة ، التي أوردها عن البلاد وسكانها وآثارها وتاريخها .

وقد أصبح موسيل أستاذاً للدراسات الشرقية في جامعة براغ في تشيكوسلوفاكيا ، حيث كتب عدداً من مؤلفاته عن الجزيرة العربية والبلدان المجاورة . أما سلسلة رحلاته ، التي أصبحت موضوعاً لمؤلفاته ، فقد قام بها بين عامي ١٣١٣-١٣٣٣هـ/ ١٨٩٦ و ١٩١٥م . وقد نُشرت مؤلفاته عن الجزيرة العربية باللغة الإنجليزية ، مع أن أعماله الأولى كانت باللغة الألمانية . وتولت الجمعية الجغرافية الأمريكية مهمة النشر .

ابتدأ موسيل رحلاته في الجزيرة العربية بين عامي ١٣١٣-١٣٢٠هـ١٨٩٦/-١٩٠٢م ، بارتياد الجزء الذي كان يُعرف قديماً باسم العربية الحجرية (Arabia Petrae) ، وهي المنطقة الواقعة في جنوب وشرق الأردن الآن . وبعد ذلك وجه موسيل اهتمامه إلى الصحراء

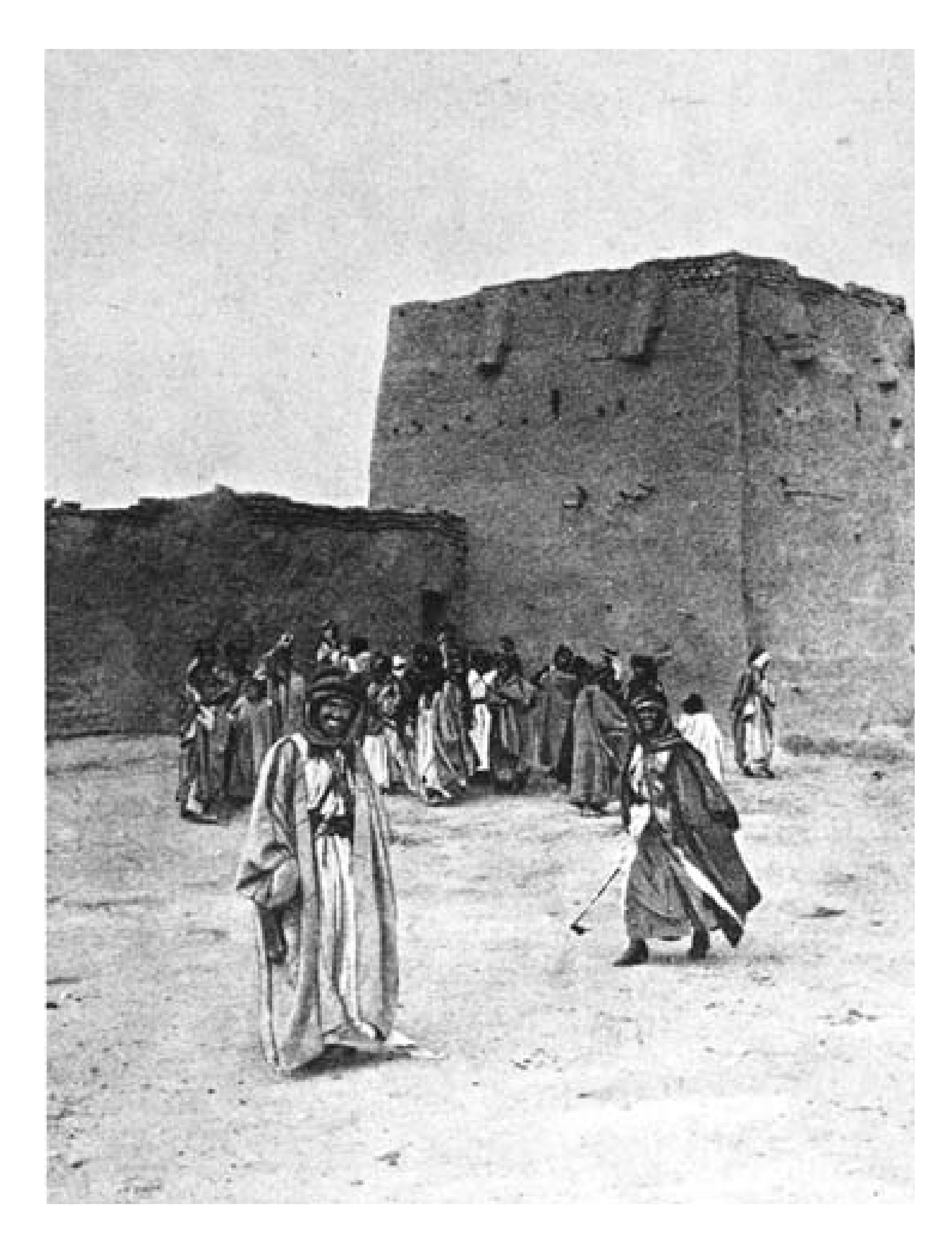
(١) Forder, op. cit., p. 209.



نواف بن شعلان عام ١٩٠٩م في قصر مارد - صورة التقطها الرحالة التشيكي "الويس موسيل" أثناء الصراع بين إمارة الرشيد والشعلان.

السورية، مرتاداً تدمر والمناطق القريبة منها. وكانت رحلاته إلى هذه المناطق في عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م و ١٣٣٠هـ١٩١٢/م و ١٣٣٣هـ١٩١٥/م. أما رحلته في عام ١٣٢٨هـ١٩١٠/م، فقد قام بها إلى شمال الحجاز. وقام موسيل بين عامي ١٣٣٠-١٣٣٣هـ/ ١٩١٢-١٩١٥م باستكشاف منطقة رابعة تبتدىء من تدمر، وتمتد إلى أواسط الفرات والجزء الأوسط من العراق، ومن هناك واصل جولاته حتى وصل إلى شمال نجد، وصحراء السماوه، وجنوبي العراق.

وقام موسيل بعمل مزدوج. فقد حاول أن يدون ما شاهده عن الأوضاع الراهنة، في



نواف بن شعلان في قصر مارد عام ١٩٠٩م- صورة التقطها "الويس موسيل"

الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية ، كما أنه حاول أن يجمع معلومات لعمل خرائط ، كان يعد لها . وقد بذل موسيل جهداً كبيراً لتوضيح الصلة ، بين الأسماء القديمة للأماكن التي زارها ، وبين أسمائها الحديثة . وقد أعطت تفسيراته وشروحه معلومات مهمة ، عن جانب من حضارة الجزيرة العربية خلال العصور التاريخية المتتالية . ولا تزال معلوماته ذات قيمة كبيرة للباحث الذي يدرس الجزيرة العربية .

ومع أنه سافر كثيرا في شمال الجزيرة العربية ، إلا أنه لم يستطع أن يُعطي وصفا تفصيلياً للجوف ، عند زيارته الأولى لها عام ١٣٢٧هـ١٩٠٩/م . ففي ذلك الوقت سادت الاضطرابات المنطقة ، نتيجة لتقلص قوة آل الرشيد ، ومحاولات أطراف أخرى ، من بينها آل الشعلان ، السيطرة على المنطقة . ولهذا ، فإن تحركات موسيل كانت محدودة في دومة الجندل . ومع أنه تمكّن من أخذ بعض الصور ذات القيمة التاريخية ، إلا أنه لم يستطع أن يقدم معلومات ذات أهمية كبيرة ، كما فعل عند رحلاته في الأجزاء الأخرى من الجزيرة العربية . ومع هذا فقد أتى موسيل بفصل عن تاريخ منطقة الجوف ، معتمداً في ذلك على المصادر الآشورية والنصوص الاغريقية واللاتينية ، إضافة إلى أعمال الجغرافيين والمؤرخين العرب ، في العهد الإسلامي . وعلى ذلك ، فإن الدراسات التي قام بها موسيل تعد من مراجع البحث ، التي يمكن للدارس الاستعانة بها ، إذا أراد أن يقدم دراسة عن المنطقة .

في عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م زار موسيل مرة أخرى منطقة الجوف ، ووصف المنطقة بشيء من التفصيل في هذه المرة[١] ، ومما قاله :

"في الواحدة وثماني وعشرين دقيقة رأينا الجوف ، أو دومة الجندل كما تُدعى ، وبعيداً خلف السهل القاحل ، الذي كنا نسير فيه ، وعند الطرف الجنوبي للمنخفض ، بدت أعداد كبيرة من شجر النخيل الداكن الخضرة ، توزعت بينها جدران وأبراج المنازل . وفوق المنازل والحدائق انتصبت قلعة مارد بأبراجها الأربعة ، وعلى المنحدر إلى الجهة اليمنى منها انتصب برج آخر يعرف بـ (الفرحة) ، وإلى الشمال منه برج آخر أصغر منه يعرف بـ (الفريحة)" .

---

(١) Musil, **Arabia Deserta**, New York (1927) p. 467 .



بعض النسوة في أحد بساتين النخيل ، صورة التقطت عام ١٣٣٠هـ في منطقة الجوف

وأثناء اقامته في دومة الجندل ، زار موسيل أميرها ، الذي عينه نواف بن شعلان ، وهناك استفسر عن النقوش ، التي شاهدها على بعض صخور البلدة .

"أسرعت بمقابلة الأمير ، الذي وجدته يجلس في غرفة متسعة لا نوافذ لها يحتسي القهوة ، متخذاً مكانه بالقرب من الزاوية البعيدة . . . وبعد أن حياني . . أعطيته رسالة نواف وطلبت منه أن يريني جميع النقوش الموجودة في البلدة ، والتي لا يعرف الناس ماذا تعني . وأخبرني الأمير أنهم عثروا على أحجار من الرخام ، عليها كتابات ونقوش غريبة أثناء تعميقهم بئر القصر ؛ ولكن لا أحد يعرف ما آل إليه مصير هذه الأحجار . كما أخبرني الأمير أنه يوجد حجر ، في جدار أحد البيوت القريبة من قصر مارد ، عليه نقوش غريبة . فأخبرته انني سأذهب لرؤية الحجر . وهناك نقلت الكتابات الموجودة على الحجر ، وهي نقوش نبطية"[١] .

وأحضر بعض الأهالي حجرين آخرين عليهما نقوش نبطية ، ولم يستطع موسيل أن يجد نقوشاً أخرى غيرها ، فافترض أنها نقلت إلى سوريا ، أو دخلت حجارتها في بناء جدران القلعة[٢] .

أما عن منطقة الجوف ككل ، فقد دوّن موسيل الملاحظات الآتية :

"إنّ الجوف ، كما يدل اسمها ، تقع في منخفض يمتد من الغرب إلى الشمال الشرقي . وهذا المنخفض أو الحوض يبلغ طوله مئة كيلو متر تقريباً ، وعرضه عدة كيلومترات ، وينخفض بمقدار أربعين أو خمسين متراً . وتتجمع المياه في هذا المنخفض من المرتفعات القريبة ، وتبقى طول السنة وتنبثق من عمق أربعة إلى عشرين مترا .

والماء في الآبار الأكثر عمقاً ، به بعض الملوحة . ووجود الماء بكثرة في هذه المنطقة ساعد على استقرار الناس بها . وأكبر تجمع سكاني يوجد في دومة الجندل نفسها ، بينما يطلق اسم "الجوف" و"الجوبة" ، على كل المنطقة .

---

(١) Musil, op. cit., p. 470 .

(٢) Musil, op. cit., p. 471 .



دومة الجندل كما كانت تبدو من قصر مارد ، التقطها الكابتن شكسبير عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م)

يوجد في دومة الجندل حوالي أربعمائة منزل ، مقسمة إلى عشرة أحياء ؛ في الغرب يوجد سوق الغرب ، سوق الصحاري ، سوق الوادي ، سوق الصاحب ، سوق مارد . وإلى الشمال منها توجد أسواق : السراح ، الرحيبين وعلاج . وإلى الجنوب من قصر مارد توجد أسواق الهدن والنقيب . وقريباً من البلدة توجد بساتين صغيرة بها بعض العيون ، مثل : عين النويقيط وعين الوسيعة وجاوا وعين الرشيدي وغيرها "[١]

كان موسيل متأكداً من أن الأنباط سكنوا منطقة قريبة من دومة الجندل ، في سالف الأيام ؛ ولكنه لم يستطع الاستدلال على المقبرة ، التي كان يظن بوجودها . وقد أشار إلى الكهوف الموجودة في منطقة القلعة ، ولكنه يقول إنها طمرت بعد اكتشافها مباشرة ، ولم يتمكن من استكشافها[٢] .

وعندما غادر موسيل الجوف في طريقه إلى النفود ، ألقى نظرة على الوادي مرة أخرى ، وسجل مشاهداته كما يلي :

(١) Musil, op. cit., p. 472 .

(٢) Musil, op. cit., p. 474 .



استخراج المياه من أحد آبار دومة الجندل ، صورة التقطت عام ١٣٣٠هـ

"خلف الجرعاوي ، حيث يوجد عدد قليل من أشجار الأثل ، بدأنا بصعود المنحدر ، الذي يحيط بالجوف ، وألقينا النظرة الأخيرة على مكان سكن الأمير نواف بن شعلان ، حيث كان اللون البنفسجي هو اللون الغالب على المنطقة المحيطة بالقصر . أما إلى الشمال وبالقرب من الوادي ، فقد رأينا هضبتين تشبهان القبة ، تمتزج بها الألوان الحمراء في الجزء الأسفل ، والزرقاء في الوسط ، والبيضاء عند قمتها . وبدت قمم أشجار النخيل داكنة اللون ، وكثبان الرمل من حولنا صفراء تلمع في ضوء الشمس . . أما أكثر المناظر جمالاً ، فقد كانت قمم سلاسل الحماميات ، إلى الشمال الشرقي من الجوف . وعند الساعة الثالثة وأربعين دقيقة كان لون سفحها ذهبياً ضارباً إلى البني ، وبنفسجيا في وسطها ، ووردياً عند القمة "[١] .

ك- الكابتن اس . اس . بتلر والكابتن ل . ايلمر Captain S.S. Butler & Captain L. Aylmer :

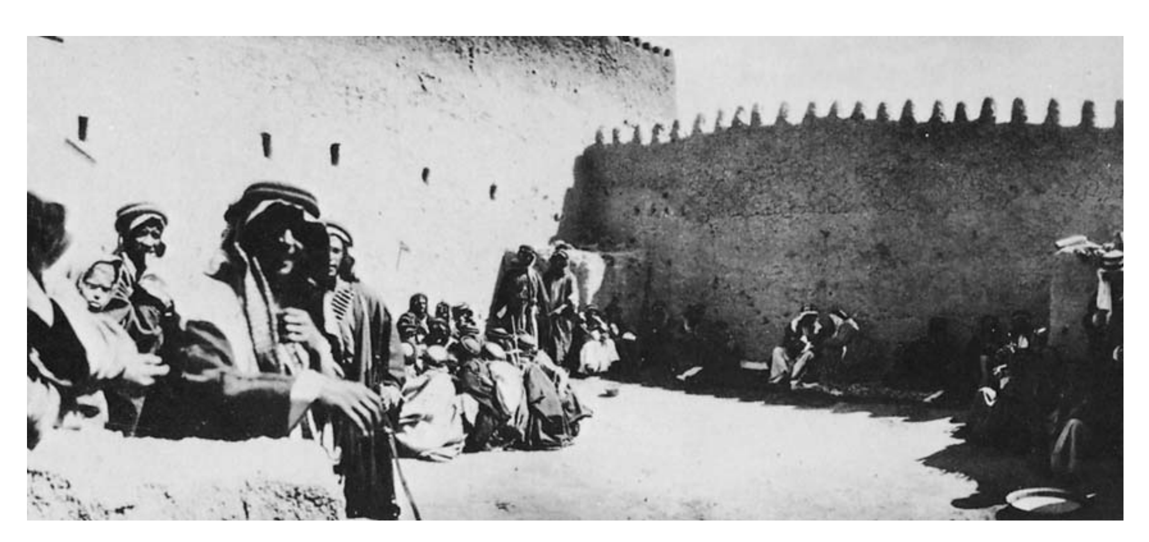
في اليوم التاسع من ذي الحجة عام ١٣٢٥هـ الموافق ١٩/١/١٩٠٨م ، بدأ كل من الكابتن بتلر والكابتن ايلمر رحلتهما من بغداد باتجاه الجوف ، بمرافقة قافلة من التجار يقودهم دليل عربي . وهذان الضابطان الإنجليزيان كانا في طريقهما إلى بلدهما إنجلترا ، من مكان عملهما في غرب أفريقيا ، وقررا أن ينتهزا الفرصة بالعودة عبر الخليج العربي ، فبغداد فالجوف فدمشق . ولم تكن طريقتهما هذه مألوفة للأوربيين ، في ذلك الوقت[٢] .

وعند بداية رحلتهما نصحهما الدليل العربي ، وهو من بشر من عنزة ، بأن يرتديا الملابس العربية ، وهو رأي أيده الكابتن بتلر . وفي طريقهما إلى الجوف أمضيا بعض الوقت مع أفراد من قبيلة عنزة ، في تجوالهم بحثاً عن المرعى والماء . وأحصى الكابتن بتلر أكثر من مائتين وخمسين بيتاً من الشّعر ، في المناطق التي تجول فيها جماعة عنزة . والتقيا أخيرا بجماعة من الصلبة ، رافقهما أحدهم كدليلهما الجديد إلى الجوف . وفي الطريق إلى

---

(١) Alois Musil, **Northen, Najed**, New Yourk, 1928. p.2 .

(٢) S. S. Butler, "Baghdad to Damascus via el-Jouf, Nortern Arabia, **The Geographical Journal** (May 1909), Vol. XXXIII, No. 5, pp. 517-535 .



تناول طعام الإفطار مع الأمير نوري بن شعلان ، التقطها الكابتن شكسبير ١٣٣٣هـ (١٩١٤م)

الجوف شاهدا قطعاناً من الغزلان ، وأعدادا كبيرة من الأرانب البرية ، والطيور المختلفة كالحبارى وغيرها . ولاحظ الإنجليزيان أن الصيادين هنا لا يستعملون البنادق فقط ، بل الصقور أيضاً ، والتي يمتلك البدو منها الكثير .

وكما فعل الآخرون من الرّحالة ، قبل بتلر ورفيقه ، فإنه وصف الجوف عند رؤيته لها فقال :

"إن منطقة الجوف عبارة عن تجويف منخفض ، بحيث تعطي الانطباع بأنها كانت في الأصل بحيرة كبيرة ، أو أرضاً غمرتها مياه البحر في فترة من الفترات . والأرض في هذا المنخفض ذات طبيعة صخرية ، وتغطيها طبقات كبيرة مستوية من الحجر الرملي ذي اللون الأرجواني الداكن . أما بلدة الجوف نفسها ، والتي أخذت اسمها من اسم المنطقة ككل ، فتقع عند الحافة الغربية لهذا الحوض ، في مسطح منخفض عرضه ميلان تقريبا . ولكن إذا ما وصلت إلى منطقة الجوف من جهة الشرق ، فإن الجوف لن تكون البلدة الأولى التي تنزلها ؛ بل ستكون سكاكا ، التي تبعد عنها بمقدار ثلاثين ميلا إلى الشرق . وسكاكا عبارة عن واحة خضراء ، بها آلاف عديدة من شجر النخيل ، الذي يعطي أطيب الثمار ، وبها ما

بين ثلاثمائة وأربعمائة بيت مبنية كلها من الطين ، وبعضها يتكون من طابقين ، وكلها ذات أسطح مستوية[1]" .

والرقم الذي قدّره بتلر لعدد سكان الجوف دومة الجندل قليل ، إذا قورن بالأرقام التي أوردها من سبقه من الأوربيين . فهو يذكر أن عدد سكان البلدة يبلغ حوالي ألف وسبعمائة نسمة فقط . ويبدو أن سكاكا كانت ، أثناء زيارة بتلر ، أكثر حركة ونشاطاً من الجوف ، وكان يسكنها بعض التجار من العراق .

ويصف بتلر نظام الري ، الذي يستعمله الأهالي في بساتينهم فيقول :

"يتوافر الماء في الجوف بكميات كبيرة ، وأغلبه ماء عذب ، وتروى بساتين النخيل وحقول الشعير والذرة باستخراج الماء من الآبار ، بواسطة دلى من الجلد تسحبها الثيران ، أو الإبل ، وتصب في قنوات تتوزع بين الأشجار . وهذه الطريقة للري شائعة في شرق تركيا ، كما هو الحال في شمال الجزيرة . . وتوجد إلى الشمال من سكاكا ، وعلى مرتفع صخري ، قلعة تدعى قصر زعبل ، وأظنها ذات أصل عربي قديم . وأخبرنا الأهالي أنها تستعمل الآن سجناً



قصر مارد من الداخل ، صورة التقطها الكابتن شكسبير عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م)

---

(١) Butler, op. cit., pp. 524-425 .

في بعض الأوقات"[١] .

وكانت منطقة الجوف أثناء زيارة بتلر ورفيقه ، تقع تحت حكم آل رشيد أمراء حائل . وكان أميرها فيصل بن رشيد ، الذي وصل مؤخراً إلى دومة الجندل ونزل في قلعتها .

وبعد أن حصل بتلر على إذن بالسفر من سكاكا إلى دومة الجندل ، توجها إليها وزارا أميرها ، وهنا يصف بتلر الزيارة قائلا :

"بوصولنا إلى الجوف ، توجهنا إلى القلعة التي يسكنها الأمير ، وهي قلعة كبيرة مبنية من الحجارة والطين ، طولها حوالي تسعون ذراعاً وعرضها خمسون . وترتفع جدرانها إلى ما يقرب من أربعين قدماً مع وجود أبراج عند كل زاوية ، يرتفع البرج منها إلى ستين قدما تقريبا . ولا توجد نوافذ للقلعة ، وهي حصن دفاعي منيع . وتوجهنا إلى قاعة للاستقبال حيث تناولنا القهوة . ثم خرجنا إلى ساحة ، شاهدنا فيها المدفعين البريطانيي الصُّنع ، اللذين ذكرتهما الليدي آن بلانت . ومن هناك صعدنا السلم ، المؤدي إلى مجلس فيصل بن رشيد ، لمقابلته"[٢] .

"ووجدنا ابن رشيد يجلس في غرفة ذات سقف منخفض ، يعتمد على أعمدة خشبية . وكان السجاد يغطي أرضية الغرفة ، حيث جلس حراسه ورجاله . أما ابن رشيد نفسه فكان يجلس بالقرب من الموقد ، في الطرف القصي من الغرفة . وعند دخولنا نهض الأمير وتقدم لاستقبالنا"[٣] .

أمضى بتلر ورفيقه خمسة أيام في دومة الجندل ، وترك الوصف الآتي لها : " . . تقع دومة الجندل في بقعة تغطيها أشجار النخيل طولها ميلان ونصف ، وعرضها نصف ميل . وعند طرفها الشمالي توجد قلعة مارد القديمة ، إضافة إلى السوق ، أما في الطرف الجنوبي

---

(١) Butler, op. cit., p. 526 .

(٢) Butler, op. cit., p. 526 .

(٣) Butler, op. cit., p. 527 .

فيوجد قصر الأمير ، وهو بناء تم إنشاؤه في منتصف القرن الماضي . والسوق لا يستحق أن يُطلق عليه هذا الاسم ، حيث لا يزيد عن كونه مجموعة من البيوت حول القلعة ، ولا توجد فيه محلات تجارية من أي نوع ، وتتم عمليات البيع والشراء في منازل التجار أنفسهم سواء في دومة الجندل أو في سكاكا . ولم نجد في أي من المكانين شيئاً نشتريه خلال وجودنا هناك ، اللهم إلا قليلا من القهوة والطحين . ولم نجد شيئا من السكر والأرز والشاي ، أو أي بضاعة أخرى عند التجار"(١) .

ويبدو أن بتلر وجد أن عدد سكان دومة الجندل ، يزيد عن الرقم الذي أعطاه سابقاً فيقول انه يبلغ بين ٢٥٠٠-٢٧٥٠ . وعلى أية حال ، فهو رقم يقل عن تقديرات بلجريف وفوردر من قبله .

ووجد بتلر أن الصناعة الأساسية في دومة الجندل ، كانت صناعة العباءات وسروج الخيل والإبل . كذلك ، فإن عباءات سكاكا كانت من نوعية ممتازة . وكما أشار فوردر من قبل ، فإن بتلر يذكر أن هذه العباءات ذات سمعة وشهرة كبيرتين ، من بغداد إلى دمشق .

وبعد انتهاء زيارة بتلر ورفيقه ايلمر ، توجها إلى وادي السرحان ، فالأزرق ثم إلى حوران . وقد قدما ما كتباه عن رحلتهما إلى الجمعية الجغرافية الملكية في لندن . ثم طُبع المقال مع خريطة لخط سيرهما . وخلال مناقشة المحاضرة ، التي ألقيت عن الرحلة ، أثيرت إمكانية إنشاء خط للسكة الحديدية من السويس إلى البصرة عبر الجوف(٢) ، وعن مدى جدواه . ومع أن هذه الفكرة لم تكن وراء زيارة بتلر إلى المنطقة في الأصل إلا أنها طفت على السطح مرة أخرى بعد عقد من الزمان ، ونوقشت ، مرة أخرى ، في الدوائر البريطانية .

---

(١) Butler, op. cit., pp. 529-530 .

(٢) Butler, op. cit., pp. 534-535 .

٢ – الرّحالة المتأخرُون

في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، قدم إلى المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية عدد من الرّحالة الأوربيون نذكر منهم :

أ- الكابتن ليشمان Captain G. E. Leachman والكابتن شكسبير Captain W. Shakespear :

في شهر محرم من عام ١٣٢٩هـ / يناير ١٩١١م ، كان الكابتن ليشمان[١] يجوب المنطقة الشمالية مع دوجلاس كاروثرز (Douglas Carruthers)[٢] ، إلا أن أيا منهما لا يضيف إلى معلوماتنا عن منطقة الجوف شيئاً جديداً ، بل ما أورداه قد يفيد الدارسين الأوربيين . كذلك ، في عشية الحرب العالمية الأولى وصل اثنان من الإنجليز إلى الجزء الشمالي من الجزيرة العربية ، أحدهما السيدة جيرترود بل (Gertrude Bell) ، التي عبرت الجزء الشمالي من الجزيرة حتى حائل . ومع أنها قطعت الجزء الشرقي من الصحراء الأردنية عند آبار باير حتى وادي السرحان ، إلا أنها لم تأت إلى الجوف في رحلتها هذه ، التي قامت بها عام ١٣٣٢هـ١٩١٤/م ؛ والآخر هو الكابتن وليم شكسبير (W. Shakespear)[٣] ، الذي وصل الجوف أثناء قيامه برحلته إلى القاهرة من الكويت ، حيث كان يشغل منصب المندوب السياسي البريطاني لدى حكومتها . وكان الكابتن شكسبير قد تلقى دعوة من جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود لزيارته ، ثم أذن له القيام برحلته .

بدأ شكسبير رحلته من الكويت برفقة قافلة صغيرة ، حيث وصل الرياض ، أولاً ، عن طريق الزلفي فالغاط في سدير . وبعد زيارة الملك عبد العزيز في الرياض ، ارتحل شمالا إلى حائل ، عاصمة آل الرشيد ، قبل مواصلة الرحلة إلى الجوف التي وصلها يوم ١٣٣٢/٦/١هـ/

---

(١) G. E. Leachman, "A Journey in North-Eastern Arabia", The **Geographical Journal**, (March 1911) Vol. XXXVII, No. 3, pp. 265-274 .

(٢) Douglas Carruthers, **Arabian Adventure**, London, 1935 .

(٣) H. V. F. Winstone, **Captian Shakespearm A Portait**, London, (1976), pp. 172-175 .

٢٨/٤/١٩١٤م . ووجد شكسبير أن الجوف كانت تخضع لحكم نوري الشعلان ، من قبيلة الرولة ، فزاره شكسبير وأهدى له صندوقاً من الأدوية ، وسلّمه رسالة من أمير الكويت . وأثناء إقامة شكسبير في ضيافة الأمير نوري الشعلان ، اشترك وإياه في منافسة للرماية مستعملين بنادق كانت مع شكسبير . وترك شكسبير الجوف في اليوم الأول من شهر مايو عام ١٩١٤م ، وابتدأ المرحلة الثانية من رحلته حتى وصل إلى العقبة ، ثم الحدود المصرية .

وفي شتاء العام نفسه ، رجع شكسبير إلى الجزيرة العربية ليعمل ممثلاً سياسياً للحكومة البريطانية ، في بلاط الملك عبد العزيز . ولكنه قُتل بعد فترة عندما كان يرافق الملك عبد العزيز ، في معركة جرت ضد ابن الرشيد .

ومع أن الكابتن شكسبير لم يترك كتابات عن رحلاته في الجزيرة العربية ، إلا إنه ترك مذكرات يومية ، مع مجموعة من الصور ، التي التقطها بنفسه أثناء وجوده في الجوف . وسنرى بعضاً منها في هذا الكتاب .

ب- عبدالله (سانت جون) فلبي Abd Allah (H. St. J. Philby) :

ابتدأت رحلات عبد الله فلبي في الجزيرة العربية ، عندما كان يسافر في مهمة إلى المغفور له الملك عبد العزيز في الرياض ، في عام ١٣٣٦ للهجرة (١٩١٧/١٩١٨للميلاد) . فعندما وطىء الساحل الشرقي للجزيرة العربية ، وقبل مواصلة الرحلة إلى الرياض ، اتجه غربا حتى وصل إلى البحر الأحمر ، وبذلك أصبح الشخص الأوروبي الثاني الذي يعبر الجزيرة العربية من الساحل إلى الساحل .

وأصبح فلبي ، فيما بعد ، مقرباً من آل سعود ، وعاش سنين عديدة من حياته في المملكة العربية السعودية وكان لرحلاته ، التي قام بها ، أثر كبير في زيادة معرفتنا بجغرافية الجزيرة العربية .

ابتدأ فلبي[١] رحلته إلى الجوف في عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م يرافقه الميجور هولت (A. L.

(١) H. St. J. Philpym "Jauf and North Arabian Desert", **The Geographical Journal** (October 1932), Vol LXII, No. 4, pp. 241-259.

Holt) . وكان فلبي يشغل منصب ضابط سياسي بريطاني في عمَّان ، واهتم بزيارة كل من وادي السرحان والجوف ، من زاوية عمله السياسي ، لأن البريطانيين في المنطقة لم تكن لديهم فكرة واضحة عن الأوضاع ، التي كانت تسود في الجوف ، بعد سقوط حائل في يد الملك عبد العزيز في صيف السنة السابقة . أما الميجور هولت فقد رافق فلبي لدراسة طبيعة المنطقة ، وإعداد تقرير عن إمكانية إنشاء خط حديدي من عمان إلى العراق ، عبر الصحراء .

استعمل فلبي ومرافقوه السيارات والجمال في رحلتهم ، ووصلوا إلى كاف وقريات الملح ، عند الطرف الشمالي لوادي السرحان . ثم ساروا من كاف يوم الرابع من رمضان من عام ١٣٤٠ للهجرة ٢/٥/١٩٢٢م ، عبر وادي السرحان فالجوف . ولم يستطع فلبي أن يتوقف طويلاً في قرى وواحات الوادي ، نظراً للظروف الأمنية الخطرة ، التي كانت تسود تلك الجهات . ومع هذا فقد ترك معلومات عن الجزء الشمالي منه ، أكثر مما تركه من سبقه من الرّحالة ، الذين زاروا هذه المناطق .

وعندما وصل فلبي ومرافقوه إلى الجوف في ٢٠/٥/١٩٢٢م ، كان ابن مويشير قد بدأ تمرداً في سكاكا ضد حكام الشعلان ، تأييدا للملك عبد العزيز آل سعود ، مما جعل التنقل فيها بالنسبة لفلبي مقيداً ومحدوداً .

أما في دومة الجندل ، فقد كان الأمر أقل صعوبة له ، خاصة أنها مكان كان يعرفه جيداً من خلال ما قرأه عنها في كتابات الرّحالة الأوروبيين الذين سبقوه . وهنا أقام فلبي ثلاثة أيام ، والتقط مجموعة من الصور[١] ، وكتب عنها قائلاً[٢] :

"لست بحاجة إلا للإشارة إلى قلعة مارد العظيمة ، التي تنتصب شامخة على مرتفع يطل من علو على المناطق المحيطة بها . هذه القلعة ، بأبراجها الطينية ، التي بنيت على أنقاض الأبراج الحجرية السابقة . كذلك أشير إلى الينابيع ، التي تمد الواحة بالمياه ، وبقايا

(١) توجد هذه الصورة لدى الجمعية الجغرافية الملكية في لندن .

(٢) Philpy, op. cit, pp. 252-253.

السوق القديم ، وسوق آل حطاب ، الذي يبدو أنه قديم قدم القلعة نفسها ، وقد بُني من الحجر الأحمر ، الذي يكثر وجوده في الجوار ، هذا الحجر الذي يستعمل أيضا في صنع أجران القهوة . ولا أعتقد بوجود بلدة غير دومة الجندل يطابق اسمها واقعها . . ويسكنها ما يقرب من خمسة آلاف إنسان ، يتوزعون على أكثر من أثني عشر حياً . ." .

دعا سلطان بن نواف الشعلان فلبي ومرافقيه إلى سكاكا ، حيث يستطيع من هناك مواصلة رحلته إلى العراق ، بدلاً من العودة إلى عمّان من حيث أتى . ويصف فلبي سكاكا قائلاً[١] :

"إن سكاكا تشبه الجوف ، من حيث إنها تتألف من مساحة واسعة مزروعة بأشجار النخيل ، تتوزع فيها هنا وهناك أحياء صغيرة جميلة ، يسكنها ما يقرب من الثمانية آلاف إنسان . ويبدو أنها قد ابتدأت تأخذ مكان الجوف ، من حيث المركز التجاري والسياسي ، ويظهر أنها على علاقات تجارية مع بلاد ما بين النهرين . . . وتقع هذه الواحة الخضراء بين سلسلة من التلال الرملية الرائعة الجمال ، والتي تشبه في تكوينها نصف الدائرة . . وقريبا من سكاكا وعند طرفها الشمالي تقع قلعة زعبل القديمة ، التي تذكرنا بالقلاع القديمة على ضفاف نهر الراين" .

ولم يستطع فلبي زيارة القلعة ، التي كان يحتلها أتباع ابن مويشير . وفي اليوم الثاني من شهر يونيو ، غادر فلبي سكاكا متجها إلى عرعر ، ومن هناك إلى كربلاء في العراق ، التي وصلها في الحادي عشر من يونيو ، من العام نفسه . وبعد مغادرته لمنطقة الجوف بشهر واحد ، سمع فلبي أن الملك عبد العزيز آل سعود قد بسط سيطرته عليها ، وأصبحت منذ ذلك الوقت جزءاً من مملكته .

ج - الميجور هولت Major A. L. Holt :

رافق الميجور هولت فلبي في رحلته إلى الجوف في ربيع عام ١٣٤٠هـ١٩٢٢/م . وكانت

(١) Philpy, op. cit, p. 255.

مهمته محدودة بدراسة طبيعة المنطقة ، من أجل إمكانية إنشاء خط حديدي يربط الساحل الفلسطيني بالعراق عبر الصحراء . وقد ترك هولت تقريرا عن النتائج التي توصل إليها ، إضافة إلى خارطة للطريق ، التي سلكها مع فلبي من عمّان إلى العراق[١] .

وكانت الظروف السياسية في المنطقة العربية ، آنذاك ، تحتم زيادة سرعة وكفاءة وسائل المواصلات والاتصالات ، بين الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية والبحر المتوسط . فقد كان نقل البريد عن طريق البحر ، ما بين بغداد ولندن يستغرق في المتوسط سبعة وعشرين يوماً ، ونقله بواسطة طائرة يستغرق ستة أيام . وكان من المأمول توسعة خدمات البريد لتصل إلى الهند ، وهكذا ترتبط لندن بالإدارة البريطانية في الهند بحيث لا تزيد مدة الانتقال عن سبعة أيام . وعلى أية حال ، فقد كانت الطائرات العاملة في تلك الفترة لا تتمكن من نقل الأحمال الثقيلة ، لتدخل في منافسة قاطرات السكك الحديدية . ومع أنه كان بالإمكان تسخير وسائل النقل البري بالسيارات لتقوم بهذه المهمة ، إلا أن إنشاء خط حديدي كان يبدو أكثر فائدة .

وكان هولت مقتنعاً بفكرة إنشاء الخط الحديدي ، مع أن تقريره لم يلق الترحيب المطلوب نظرا لصعوبة تحقيق مثل هذا المشروع . وقد نوقشت فكرة إنشاء خط حديدي على امتداد شاطىء الفرات في العراق ، عدة مرات في السابق ، مع أن ولفرد بلنت بيّن بوضوح العوائق ، التي تعترض التنفيذ ، بعد أن شاهد عن كثب الصحراء السورية ، والجزء الشمالي من الجزيرة العربية . وقد نوقشت من قبل أيضا فكرة إنشاء خط حديدي في شمال الجزيرة العربية نفسها ، بعد الزيارة التي قام بها بتلر وايلمر في عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨م . ولكن المشروع طُرح جانباً إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، عندما أحيت فكرته زيارة كل من فلبي وهولت .

وكان البريطانيون في تلك الفترة يسيطرون على العراق وشرقي الأردن وفلسطين ، ولهذا فإن إنشاء خط حديدي بين البحر المتوسط والخليج العربي ، أصبح مجال اهتمام الدوائر البريطانية مرة أخرى . وكان يمكن أن تصبح الجوف محطة رئيسية على هذا الخط ، لولا أن

---

(١) A. L. Holt, "The Future of the North Arabian Desert", **The Geographical Journal** (Oct. 1923) Vol. IXII, No. 4 pp. 259-271.

الملك عبد العزيز آل سعود لم يكن متشجعا للفكرة . وهذا ما أدى إلى تأجيلها مرة أخرى .

ومع هذا ، فإن المؤتمرات البريطانية بشأن الجوف ، وإمكانية إنشاء الخط الحديدي بين الأردن والخليج ، استمرت[١] لبعض الوقت قبل أن تتغير المعطيات والظروف ، ويطوي النسيان مثل هذه الفكرة ، خاصة بعد تطور وسائل المواصلات الحديثة .

د- ونيت و ريد F. V. Winnett & W. L. Reed :

إن جميع الرّحالة ممن ورد ذكرهم سابقاً ، استعملوا الجمال في رحلاتهم إلى الجوف وإلى الأجزاء الأخرى من الجزيرة العربية . وبعد ظهور وسائل النقل الحديثة ، مثل السيارة والطائرة ، أصبح الانتقال من مكان إلى مكان في غاية السهولة واليسر ، وبهذا لم تعد الرحلة باستخدام هذه الوسائل مثيرة ، أو تحمل معنى المغامرة .

وقد زار الجزيرة العربية في السنوات الأخيرة أعدادٌ كبيرة من العلماء والرّحالة الأوروبيين ، يضيق المجال عن ذكرهم هنا . وهناك استثناء واحد لا بد من ذكره ، ونقصد به الرحلة ، التي قام بها البروفيسور الكندي ونيت وزميله الأمريكي ريد ؛ فقد قدما إلى الجوف في عام ١٣٨١هـ/١٩٦٢م لدراسة النقوش الأثرية في المنطقة . وقد سهلنا لهما مهمتهما للقيام بأبحاثهما ، والتقاط الصور للمواقع الأثرية في المنطقة . واكتشفا أثناء بحثهما خزفيات قديمة ، ونسخا المئات من النقوش المحفورة على الصخور بالخط الثمودي والنبطي ، التي أدت في النهاية ، بعد دراستها وترجمتها ، إلى معرفة الكثير عن تاريخ منطقة الجوف . وقد نشرا كتابا قيّماً عن نتائج رحلتهما إلى المناطق الشمالية من الجزيرة العربية ، ضمّناه الكثير من الصور[٢] .

---

(١) من تقرير أعدته القنصلية الأمريكية بالقدس وأرسلته إلى وزارة الخارجية الأمريكية . تاريخ التقرير ١٩٣١/٨/٢٥م ، وعنوانه : "Politics in the Syrian Desert" .

(٢) F. V. Winnett and W. L. Reed, **Ancient Records From North Arabia**, pp. 71-87; 142-146.

الفصل السابع

سكان منطقة الجوف وعاداتهم

١ـ سكان منطقة الجوف.

لعل من اللائق هنا ، ونحن نبحث في تاريخ الجوف ، قديمة وحديثة ، أن نعرض للسكان المعاصرين ، من خلال ذكر أكثر القبائل وجوداً في هذه المنطقة ، بذكر أسمائها وأهم مواقعها . ولا شك أن عدد السكان الحالي لتلك القبائل في المنطقة ، يختلف من قبيلة لأخرى وفق متطلبات مصالحها ، وظروف أفرادها .

وتجدر الإشارة إلى أنه ، إذا كانت الظروف القاسية للحياة في العصور السابقة ، تجعل من أمر التفاف القبيلة حول نفسها أمراً مفروضاً غالباً ، فإن الحياة اليوم ، التي تحولت مظاهرها عند الأغلبية العظمى إلى وجود حضري مثقف متطور بأكثر وجوهه الاجتماعية ، جعلت من القبائل المتعددة مجتمعاً إنسانياً متكاملاً متعاوناً متعايشاً في المدن والقرى ، على الرغم من تباعدها ، ومتداخلاً بحكم الأنساب والعلاقات والمصالح . كل ذلك أسهم في توسيع مجال التعاون اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً ، ليس في داخل المدينة الواحدة ، بل بين المدن المتعددة ، وتلك نعمة من الله مَنَّ بها على أبناء هذا الوطن الكبير ، حين وفق الله حكومتنا الرشيدة إلى الأخذ بيد أبناء هذا المجتمع المتعدد القبائل ، إلى مستوى أخوي تعاوني مرموق في الكثير من نواحي حياته ، ليُسهم في ركب الحضارة الإسلامية والعالمية ، وليحقق مكانته المنشودة بين أمم العالم .

ونود أن نلفت نظر القارىء ، إلى أن ذكر فئات السكان هنا لا يعني ، بالضرورة ، أن مجموع هذه القبائل أو بعضها ، هي أول من أوجد حياة الإنسان في هذه المنطقة ، أو أن حياة الإنسان هنا لم توجد إلا بهم ؛ ذلك أننا قد أسلفنا في الفصل الأول من هذا الكتاب ، أن كلاً من مدينتي سكاكا ودومة الجندل عاشتا حياة الإنسان منذ بضعة آلاف من السنين ؛ ولكننا ونحن نؤرخ لهذه المنطقة ، إنما نقتصر في تاريخنا للسكان –في إجمال– على من تزامن وجودهم ، مع إعداد مشروع هذا الكتاب .

وسنقتصر عند الإشارة إلى السكان ، وفق منهجنا في هذا الشأن ، على من يمثل وجودهم أكثرية عددية فحسب . ولا يعني هذا الجهل ، أو التجاهل ، لأُسر موجودة كبيرة

وكثيرة ، لها شأنها في هذا المجتمع ، إذ إن استعراض اسم كل عائلة ونسبها لا يتفق وخطة البحث ، آخذين في الاعتبار أنه على الرغم من كون الأنساب أمانة ، فإنه لا يمكن تجاهل قول الله تعالى :

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الآية ١٢ من سورة الحجرات) . وقوله ﷺ : «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» .

وأن الاقتداء بنهج الإسلام فيما تقوم عليه العقيدة ، وما يعتمد عليه مجرى الحياة للفرد ، هو المعيار السليم لتقييم مكانة الفرد ، فها هو أحدهم يقول :

أبـي الإسـلام لا أب لـي ســــــواه إذا افـتـخـروا بـقـيس أو تـمـيـم

كما أن شاعراً ممن أدركوا أثر الإسلام العظيم ، في بناء كيان الفرد المسلم ، وارتقائه إلى مصاف الأبطال البارزين ، قد عبّر عن هذا المفهوم بمقارنة واضحة الأبعاد ، بين سلمان الفارسي العجمي المسلم ، وبين أبي لهب أحد زعماء المشركين ، الذي ينتسب إلى أقوى القبائل العربية حسباً ونسباً فقال :

لـقـد رفع الإسـلام سـلـمـان فـارس وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب

أ – سكاكا

خلافاً لما تبيّن لنا من قراءة مدلولات الآثار ، التي سبق الحديث عنها في الفصل الأول ، وتشير إلى أن المناطق القريبة من سكاكا كانت بها حياة في عصور موغلة في القدم –عدا ذلك– لم يتيسر لنا معرفة متى وكيف عاش أول إنسان بهذه المدينة ، وفقاً لمراجع تاريخية مدونة .

وسنستعرض سكان مدينة سكاكا ، وما يتبعها من القرى ، وفقاً لمنهجنا المشار إليه آنفا في هذا الصدد .



لقطة لمدينة سكاكا في الليل

١- **حي الضلـــــع** : ويسكنه آل ضويحي ابن مختار القريشي الجبري من بني خالد .

٢- **حي الشعــــيب** : ويسكنه آل ضويحي ابن مختار القريشي الجبري من بني خالد .

٣- **حي آل جحيش** : ويسكنه آل جحيش من الأسلم من شمر .

٤- **حي العلـــــي** : ويسكنه آل علي ابن مختار القريشي الجبري الخالدي ، كما يسكن هذا الحي ، وما سبق الإشارة إليه من أحياء ، أسر أخرى كثيرة تنتمي لعدة قبائل .

٥- **حي الدرعـــان** : ويسكنه آل درعان من آل علي ابن مختار القريشي الجبري الخالدي .

٦- **حي الكريـــــع** : يسكنه آل كريع من الشملان من عنزة .

٧- **حي المعاقلـــــة** : ويسكنه أبناء معيقل بن زياد بن عياش من الدهمش من عنزة ، إضافة إلى عوائل أخرى تنتمي لقبائل متعددة .

٨- **حي الراشـــــد** : ويسكنه آل راشد من الأساعدة من الروقة من عتيبة ، إضافة إلى عوائل أخرى تنتمي لقبائل متعددة .

٩- **حي النصـــــير** : ويسكنه النصير من المرعض من الرولة .

١٠- **حي آل مطـــر** : وتسكنه عوائل الحباب والحمدان من السرحان ، وعوائل عبيد البير من التومان من شمر .

١١- **حي الشلهوب** : ويسكنه آل شلهوب من المسند من السرحان ، إضافة إلى عوائل أخرى كثيرة ، تتعدد انتماءاتها القبلية بتعددها .

أحياء المخططات الحديثة جنوب مدينة سكاكا :

لّما كانت هذه المخططات السكنية الحديثة ، قد جاءت استجابة لنمو مدينة سكاكا والتزايد السكاني في المنطقة ، فإن الباحث لا يستطيع أن يحدد انتماءات معينة لسكان الأحياء ، أو حتى إعطاء سمة غالبة ؛ وإنما هم يمثلون مزيجا لجميع الانتماءات القبلية في المنطقة بشكل عام .

اللقائط : ويسكنها عدد من أفخاذ قبيلتي آل ضويحي وآل علي بن مختار القريشي الجبري الخالدي ، وفخذ الزميل من سنجارة من شمر ، وعوائل أخرى تتعدد انتماءاتها القبلية بتعددها .

الطوير : إذا كانت قرية الطوير في الماضي القريب ، تمثل وجوداً سكانياً محدداً بنطاق مكاني محدود ، فإنها يمكن أن تُعد اليوم بلدة تمثل امتداداً للجهة الجنوبية الغربية من سكاكا ، وامتدادا ً في الوقت نفسه ، للجهة الشمالية الغربية من قارا ، بحكم الانتشار

السريع والواسع للعمران ، وتوافر الخدمات المتعددة .

ويسكن الطوير عائلات تتعدد جهات أنسابها ، بتعدد عوائلها .

قـارا : كانت قارا تُعد حتى وقت قريب أكبر قرى منطقة الجوف ، إلى أن واجهت نمواً سكانياً متزايداً في السنوات الأخيرة ، نتيجة لتوطين البادية والأخذ ببعض أسباب الحضارة ، حتى ارتقت وأصبحت بلدة واسعة الأرجاء . وقد ساعد ذلك بدوره على تعدد فئات السكان ، من حيث الانتماء القبلي ، إلا أنه يمكن القول إن أكثر وجود سكاني في قارا يتمثل -على سبيل الأكثرية لا الحصر- في :

أ - الدغمان .

ب- السرحان .



كثبان رملية في قارا

ب- دومة الجندل

١- **حي غطي** : ويسكنه الوارد والمزيد والدوشق ، وقد قدموا من جبة .

٢- **حي الجرعاوي** : ويسكنه العابد من الأجبة .

٣ - **حي خذماء** : ويشتمل على عدة أحياء هي :

١- **حي آل عبدالله** : ويسكنه آل عبدالله من الراشد من السرحان إضافة إلى بعض عوائل تنتمي لقبائل أخرى .

٢- **حي آل هديب والهباس** : ويسكنه آل هديب من الراشد من السرحان .

٣- **حي الحمادا** : ويسكنه الحمادا - فخذ من المطاوعة من السرحان .

٤- **حي الحنيبيص** : ويسكنه الحنيبيص من السرحان .

٥- **حي المرعي** : ويسكنه المرعي من السرحان .

٦- **حي علاج** : ويسكنه فخذ من الأسلم من شمر والدندن من عنزة .

كما يسكن حي خذماء عدد من عوائل الأجبة ، وعائله الخابور ، وعائلة الرمان .

٤- **حي السميحان** : ويسكنه فخذ من الحميضان من بني تميم .

٥- **حي الرحيبين** : ويسكنه فخذ من الحميضان من بني تميم ، وعوائل أخرى تنتمي لعدة قبائل . كما يسكنه فخذ من الدرباس من الروقة من عتيبة ، كما يسكنه الفرهود من شمر ، والحواس الذين قدموا من حائل .

٦- **حي السعيدان** : ويسكنه آل سعيدان ، وقد قدموا من العراق .

٧- **حي السلمـــان** : ويسكنه آل سلمان من الجربان من عبدة من شمر .

٨- **حي الســـراح** : وكان يسكنه آل سراح من الجربان من عبدة من شمر .

٩- **حي الحبـــوب** : ويسكنه آل حبوب من الجربان من عبدة من شمر .

١٠- **حي العبـاس** : ويسكنه آل عباس من الشفيع من المجيد من العبادلة من عنزة ، كما تسكنه عائلة القحم من الدهامشة من عنزة ، والحزيم من عنزة ، والحريص الذين قدموا من حائل .

١١- **حي الســوق** : وهو حي كبير يتفرع إلى عدة أحياء ، هي :

١- **حي الدرع** : ويسكنه آل درع من بني خالد ، كما يسكنه أيضاً المبارك والغصيبة .

٢- **حي سحيم** : ويسكنه آل سحيم من بني خالد .

٣- **حي العرجان** : ويسكنه العرجان من الزقاريط من شمر .

٤- **حي العامر** : ويسكنه العامر والمشعل وقد قدموا من نجد .

٥- **حي البحر** : ويسكنه المبارك والغصيبة .

٦- **حي الوادي** : ويسكنه عدد من العوائل قدمت من الرس .

٧- **حي الدراويش** : وتسكنه عوائل الدراويش وقد قدموا من الشقة من القصيم .

٨- **حي جوا** : وتسكنه عوائل تنتمي إلى الدرع .

٩- **حي البحيرات** : ويسكنه الصليهم من بني تميم ، والهذلول



حي الدرع بدومة الجندل (القديم) وتبدو الأحياء الحديثة

من بني خالد ، والهطيبل من الرولة .

وكذلك تسكن هذا الحي بعض العوائل ، التي تنتمي لقبائل أخرى .

١٢- حي الغـــــرب : ويشتمل على عدة أحياء :

١- **حي القعيد** : ويسكنه آل قعيد من الأساعدة من الروقة من عتيبة والمهاوش من الراشد من الأساعدة من عتيبة ، والسعدون من الأسلم من شمر ، والرزق من العفران من الشمروخ من شمر ، والراشد من السبيلة من الأبي سعد من شمر ، والبديوي من الخزيم من آل شبل ، الذين قدموا من العراق .

٢- **حي الفتيخة** : ويسكنه فخذ من السعيدان قدموا من العراق .

٣- **حي المعين** : وتسكنه عدة عوائل من بني تميم ، والصايل من الخابور من السرحان .

٤- **حي الجديع** : ويسكنه آل جديع من بني تميم ، والمقبل من الدرباس من عتيبة .

٥- **حي الفراس** : ويسكنه آل فراس وقد قدموا من نجد .

٦- **حي الزارع** : ويسكنه آل زارع وقد قدموا من المدينة .

٧- **حي البادي** : ويسكنه آل بادي من العدوان قدموا من البلقاء بالأردن .

٨- **حي العرجان** : ويسكنه آل عرجان من شمر .

٩- **حي سحارة** : ويسكنه العفران وبعض عوائل السبيلة وينتمون إلى شمر .

١٠- **حي الحسن** : ويسكنه آل حسن وقد قدموا من روضة سدير .

١١- **حي السبيلة** : ويسكنه السبيلة من شمر والداحس من المحارب من الشمروخ من شمر .

١٢- **حي الحصيني** : ويسكنه الحصيني من شمر .

١٣- **حي المسيب** : ويسكنه المسيب وينتسبون إلى الدهامشة من عنزة وقد قدموا من القبيسة .

١٤- حي الدربي : ويسكنه عدد من العوائل قدموا من الرس .

١٥- حي المذهن : ويسكنه المذهن من السرحان .

١٦- حي العضيباوي : ويسكنه عدة عوائل من السبيلة من شمر ، والجبال من الحسن .

أحياء المخططات السكنية بدومة الجندل :

وباعتبار مجيء المخططات السكنية ، استجابة لنمو المدينة وتطلعاتها العامة والحضارية ، فقد تعددت فئات السكان فيها ، وفق تعددها في المدينة ذاتها مع ما استجد من توطين العديد من أفراد القبائل المختلفة ، بحيث أصبح السكان في تلك المخططات مزيجاً متكاملاً .

الزبارة : بلدة ذات أهمية زراعية ، يقوم امتدادها على مخطط سكني معتمد ، وأغلب سكانها من المرعض من الرولة .

النظايم : قرية يسكنها المعبهل من المرعض من الرولة .

زلوم : قرية يسكنها عدد من فروع الرولة وشمر وغيرهم

الشويحطية : قرية يسكنها الدغمان من الرولة وغيرهم .

صوير : بلدة ذات أهمية زراعية ملحوظة ، يقوم امتدادها على مخطط سكني ، ويسكنها عدة أفخاذ من فخوذ القعاقعة من الرولة .

هديب : بلدة ناشئة ، ذات قابلية زراعية ملحوظة ، ويسكنها الفرجة من الرولة .

هدبان : قرية ناشئة ، يسكنها الفرجة من الرولة .

العمارية : بلدة تسكنها عدة أسر ، تنتمي لقبائل مختلفة .

السليمانية : بلدة يسكنها الضبيان وجماعتهم من الدهامشة من العمارات من عنزة .

خوعا : قرية يسكنها الدغمان من الرولة .

عذفاء : قرية يسكنها الشمروخ من شمر .

هجرة السادة : يسكنها جماعة من الرمال من شمر .

ج – طبرجل

وهي المدينة الرابعة بين مدن منطقة الجوف ، ويسكنها عدة أفخاذ من الشرارات تنتمي إلى شرار بن سلمان ، وتوجد هذه القبيلة على امتداد وادي السرحان ، وحاضرته طبرجل . كما أنهم يوجدون في عدة قرى ومدن أخرى ، كالقريات والناصفة والعيساوية والفياض والنبك أبوقصر وميقوع وأبوعجرم ودومة الجندل فسكاكا .

النبك أبو قصر : وسكانه بطون من عشائر الشرارات .

ميقوع : وسكانه بطون من عشائر الشرارات .

صفان : قرية يقوم امتدادها على مخطط سكني ، يسكنها فخذ من النصير من المرعض

من الرولة .

الأضارع : بلدة ناشئة ، قامت على مخطط سكني معتمد ، وتسكنها جماعات من الصنوخ والغوينم من شمر ، واليمنة والطواوية من عنزة ، وجماعات أخرى .

الرديفة : قرية ناشئة تقوم على مخطط سكني معتمد ، وتسكنها جماعة من الرمال من شمر .

الرفيعة : قرية ناشئة تسكنها جماعات من الرمال من شمر .

المروت : قرية يسكنها جماعة من الرولة من المرعض وغيرهم ، كما أن آبار أويسطات والرغيفيات والزهيريات موارد للدغمان والمرعض من الرولة وآبار الشعيرة ، موارد لبعض أفخاذ الشرارات .

العسافية : يقطن العسافية وما حولها من الأمشه مجموعات من قبائل عنزة والشرارات .

المرير : من موارد الرولة ويستعمله ، غالباً ، جماعة الفهيقات والحازم ، كمورد من موارد المياه .

الهوج : وما حولها من موارد المياه ، ويقطنها مجموعة من أفخاذ الشرارات .

ويسكن بالفيجان شرق الجوف جماعة ، منهم : البناق والماجد والحريج ، وهؤلاء -حسبما ذكره بعض المسنين منهم- عيال غانم ، وقد قدموا من نجد .

ومن هذه الجماعة : البذاذلة والجميل والهزيم والعناترة والمسيلم والسليمان والسعد ويوجدون في مناطق متعددة .

كما تقيم عدة عشائر في منطقة الجوف ، منها : الدرويش – العجلان – الشرهة – العلي – والحمد .

أما العشائر ، التي تلتقي في خويتم ، وقدمت أساساً من نواحي مدائن صالح وينسبون أنفسهم إلى عنتر بن شداد العبسي ، فيتوزعون في أنحاء مختلفة من منطقة الجوف ، ومنهم :

الربيعان ، القعسا ، المضعان ، الحضيري ، الشرعان ، الغلاوين ، المواطين ، الديادبة .

د– وادي السرحان

واد طويل ، يقع في أقصى الشمال الغربي من الحدود السعودية . يبدأ من داخل الحدود الأردنيّة ، وينتهي بالجوف ، ومساره من الجنوب من حرة الراجل . وهو كثير الآبار ، ويكثر فيه الملح أيضا ، وتمتاز مماحله ، المعروفة هناك ، بوفرة الإنتاج والنوعية الجيدة . وسبق أن تبين لنا من خلال المذكرات ، التي كانت تصدر من الباب العالي العثماني ، وخصوصا المذكرة رقم ٨٧١ المدونة في هذا الكتاب ، مدى اهتمام الدولة العثمانية بتلك الممالح ، التي وصفتها المذكرة بأنه يترجى الحصول منها على عوائد جمركية بمقدار ١٥٠ ألف قرش سنوياً . وتحقيق دخل صاف منها يتراوح بين خمسين ألفا وستين ألفا من القروش ، بعد دفع المصاريف .

ويبلغ طول وادي السرحان حوالي ثلاثمائة وثمانين كيلاً ، وعرضه بمتوسط قدره ٢٠ كيلاً ، وكان يُعدّ أكبر واحة في بلاد العرب الشمالية بعد تيماء . وأكثر أراضي وادي السرحان سوداء ، بركانية الأصل والتركيب .

وتوجد آراء عدة حول تسمية وادي السرحان بهذا الاسم . فقد ينسب الاسم إلى قبيلة السرحان ، التي كانت أقوى عشائر حوران في القرن العاشر الهجري ، القرن الخامس عشر الميلادي ، والذين خرجوا[1] من حوران حوالي ١٦٥٠–١٧٠٠م (١٠٦٠هـ–١١١٠هـ)

---

١ – عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، دمشق (١٩٤٩/١٣٦٨م) ج ٢ ، ص ص٥٠٧–٥٠٨ .

وتوطنوا في منطقة الجوف ؛ فسمي الوادي باسمهم . وكان يعرف الوادي من قبل باسم وادي الأزرق . أما بالنسبة للجغرافيين العرب الأقدمين ، فقد أطلقوا عليه (بطن السر)[١] ، بينما أشارت إليه المصادر اليونانية باسم (Syrmaion Pedion)[٢] .

ويُعني لفظ "سرحان" الذئب ، لأن الأعراب يقولون : إنَّ الذئاب كانت تكثر فيه .

وتقع على امتداد هذا الوادي ، في الوقت الحاضر ، العديد من القرى والهجر المأهولة والمزارع الكثيرة ، وحاضرته الآن مدينة طبرجل ، التي يوجد فيها أكثر سكان الوادي ، بعد القريات والجوف .

وتتوافر في طبرجل أكثر الخدمات الحكومية ، بحيث تُهيء لهذه البلدة أهم عوامل التقدم ، والأخذ بأسباب الحضارة .

وتجدر الإشارة إلى أن أصل تسمية "طبرجل" بهذا الاسم ، سببه ، أن الموقع ، الذي توجد به الآن ، كان ملتقى لعدة شعبان تنتهي في وادي السرحان . فإلى الغرب من المدينة يوجد شعيب حدرج ، أما شعيب أبو حوايا فهو في منتصفها ، وشعيب طبرجل يقع في جانبها الشرقي . ويلتقي في شعيب طبرجل هذا عدة شعبان أيضاً ، منها شعيب الغويل ، وشعيب أبو السليليات . وتطلق البادية على مثل هذه الشعبان اسم (الرجلة) ، وعلى هذا جاءت تسمية طبرجل بهذا الاسم لأنها ملتقى لعدة شعبان . ولم تظهر هذه التسمية إلا بعد البدء بالاستقرار في ذلك الموقع . وكان ذلك عندما تقدم إلينا الشيخ عاشق بن كاسب اللحاوي بمعروض ، يطلب فيه منحه قطعة من الأرض تقع ضمن شعيب حدرج ، من أجل التوطين بها وزراعتها .

ولمّا كان الهدف ، منذ البداية ، هو تشجيع مثل هذه الخطوات ، التي تسهم في توطين البادية بوادي السرحان ، فقد قمنا بمنحه قطعة الأرض التي طلبها ، من أجل تحقيق الغرض الذي سعى إليه ، ولما عرفناه من حاجته إليها . وكان ذلك في الثالث من شهر صفر عام ١٣٧٦هـ .

١- Musil, **Arabia Deserta**, p. 516 .

٢- Ibid. 507 .

وقد كان لهذه البادرة أثر في تشجيعه ، وغيره من كبار مشايخ الشرارات ، على التوطين هناك ، إلى أن أصبحت طبرجل الآن مدينة ذات أهمية زراعية وتجارية وتوطينية ، نظراً لتوسطها وادي السرحان ، وخصوبة تربتها ، ووفرة مياهها .

وكان من أوائل الذين استوطنوا تلك المنطقة ، إضافة إلى الشيخ عاشق ، شقيقه دحيلان بن كاسب اللحاوي ، وسمير بن غاصب الأصوغ ، ومقبول بن سويلم اللحاوي ، ومجموعة أخرى من جماعتهم .

ونشير أخيرا إلى مشروع كهرباء طبرجل ، الذي افتتحه معالي وزير الصناعة والكهرباء يوم الأربعاء الموافق ٢٧/٨/١٤٠٣هـ . وهذا المشروع هو جزء من مشروع للكهرباء أعم وأشمل ، تم إنشاؤه بتكاليف تقارب الألف مليون ريال ، بحيث يزود المنطقة كلها بالكهرباء .

وقد ربطت طبرجل بخط معبد يمتد من سكاكا إلى القريات ، عبر طبرجل .

وادي السرحان ولجوء بعض الشخصيات العربية إليه :

عندما هجم الفرنسيون على البلاد السورية ، وقذفوا بقوتهم ورجالهم لإخضاع تلك البلاد ، لم يجد أحرارها ملجأ سوى جزيرة العرب ، ومن ثم وجدوا من الملك عبدالعزيز -رحمه الله- أفضل موئل لهم ، في كنفه وفي بلاده ؛ فالتجأ الكثير من الأبطال المجاهدين من أبناء سوريا وغيرها ، إلى بلاد الملك عبدالعزيز في وادي السرحان في عام ١٩٢٦م . فهرب سلطان باشا الأطرش ، وبعض الأمراء من آل أرسلان ، كالأمير عادل وغيرهم ، إلى وادي السرحان . وأقاموا فيه محاطين بما يستحقونه من إكرام وإعزاز ، ولا غرو فليس للعرب ملجأ سوى بلادهم الأصلية ، وإخوتهم عريقي النسب . وكان أشهر هؤلاء المجاهدين خير الدين الزركلي ، والأمير عادل أرسلان ، وسلطان باشا الأطرش ، والحاج أمين الحسيني ، وأديب خير .

وقد قام الشاعر خير الدين الزركلي برحلة إلى وادي السرحان في سنة ١٣٤٦هـ . ونظم قصيدة وصف بها هذه الرحلة ، ثم أرسلها إلى الأمير عادل ارسلان منها :

ولـيل سـرينـاه ثـلاثـة ركـبـان   مسـاريع من عـمـان بعـدا لـعمـان
مـطـيـتـنـا " أم الـريـاح " وكـرهـا   كما كر في رحب الزمان الجديدان[1]
سبوح سبوق ما طوى البيد طّيها   وقـد ألف الإدلاج سـائق أظـعـان
نجـونا بـهـا من كل وعـثـاء مهـمـة   بـسـاط حـواشـيـهـا سلاسل صـوان
تقاسم فيـها داجي الليل والضحى   كـواشـر أنـيـاب وأسـراب غـزلان
طوينا (سحابا) و (الموقر) واعتلت   بنا (القصر) مرقاه التـلاع بأرنان[2]
تـلوّت بـنـا لا يـستقـيم اتجاهـهـا   مـشـردة حـيـرى تـلـوي ثـعـبـان
فـبـيـنـا تـراها شرّقت قلت غـرّبت   وبينا هي المطـواع همت بعصيان
ذرى تـتـخـطـاهـا وتـنـحـط بـغـتـه   كما انحـدرت من حالق سود عقبان
ومـالت كـمـا الغـبـيط (يحـنـدج)   فكانت لها في الرمل رقـدة وسنان[3]
تمطت وأرست بعد طـول وخيدها   وقـالت بـرضـوى تـنـهـضـون وتـهلان
وقال الدجـى للنجـم وجهك سافر   فـجـلـله ساري الـسـحـاب بـأردان
فبـتـنـا جـيـاعـا تائهـين على ظما   ولا انس في إنس في ولا أنس جان
وأضـواء نـيـران تـلـمست وقـدهـا   فـمـا انـكـشـفت إلا نـواظـر ذؤبان
تخب وتعدو في الدجي "أم عامر"   ويـسبـقـهـا مـن مـقـلبيـهـا سـراجـان
كاني بوحش القـفر أشفق فانثنى   فـلا هـو بـالـنـائي ولا هـو بـالـداني

١- ام الرياح : السيارة ؛ الجديدان : الليل والنهار .

٢- سحاب : بلدة جنوب شرقي عمان بالأردن ؛ الموقر : بناء قديم ؛ القصر : يراد به قصر الحرانة .

٣- حندج : امرؤ القيس والإشارة هنا إلى قوله : (تتوك قدماك الغبيط بنا معاً) .

وقد يرحم ابن الغاب خائض رملة فيحنو وما في الناس إن تبلهم حاني

ولـولا انبلاج الفجر أبيض ضاحكـا وفيـــنـا ذمـاء مـا بـنى أمــلا بـانـي

قـذفــنـا بما نـيط الشـقـاء بـوجـهه إلى حـيث ينجـو أو يعـود بإنسـان

ومـا إن نـأى حـتى وثـبـنـا كـأنــنـا أهاب بـنـا وحـي من الغـيب ربانـي

ولم نـدخــر من حيــلـة فـترنـحـت ومـالت بـعـطـفيـهـا تـرنـح نشــوان

فصحنا بمجريها خـذ السيف موطئا لجانبـها واسـبح على القـاع بالثاني[1]

فـأما نجــاء وهــو أمـنــيـة الـرضـى وإما عــنـاء وهـو ما ألـف العــاني

ومــا هــى إلا ســاعــة أو زهـــاؤهـا نزعـنـا بـهـا في البـيـد مـنزع حيران

نـروح ونـغــدو لا دلــيل ولا هـدى كـما تاه في سيـناء موسى بن عمران

فـيـــالك من يــوم ويـالك لـيــلـة تلـت ليـلـة من قبـلها ذات ألـــوان

وصاح (سليمان) وقد بدت الصوى فصحـنـا وهللـنا لـهـا مع سليمان[2]

وقلـنا على اسم الله سـيري رشيدة إلى مـعـشـــر بـيض المـــآثر عــزان

إلى النـبك حيث العـز خيم والثـنا وحيث ارتدى الأزماع برد الدم القاني[3]

إلى معقـلي فخـذ العـروبة (عادل) وسيـد قـــاد المغـيـرين (سلطان)[4]

إلى عصـبة تأبى الفضاضة خيلـها وفـرسـانـهـا أكـرم بـخـيـل وفـرسـان

فــدت كـل نـفس أشــوس مـنــهم كــر نــبال عبس أو كســطام شيبان

١- السيف : حافة الوادي .

٢- سليمان : سائق السيارة .

٣- النبك : مقر المجاهدين من قريات الملح في صحراء نجد الشمالية .

٤- عادل : الأمير عادل أرسلان ؛ سلطان : سلطان باشا الأطرش .

هم سمعوا من جانب الحق داعياً فطاروا زرافات وليسوا باحدان

أناخو (بسرحان) وخلوا وراءهم هوانا بحوران وبؤسا بلبنان

فأجابه الأمير عادل أرسلان بالقصيدة الآتية :

وادي السرحان إلى وادي النيل :

أرقت وما في النوم خير لوسنان إذا لم يتم شعر المغير بأوطان

وغالبني شوق يهاود مهجة تقلب منه في الدجى فوق نيران

صبرت فما أذللت دمعا ولو جرى مسحت بأطراف التجلد أجفاني

بعيد على نبك القريات منزلي فما لي سوى الذكرى إذا الليل أضواني

وما ضرني أن طال وهو وصحبه إذا لم تضىء شمس المنى فيه سيان

نظرت إلى الآتي فأوقفت دونه وعدت إلى الماضي بفكري فعزاني

أقول لنفسي : من هنا مر خالد فدالت به الدولات من كل روماني

أغارت على اليرموك تحت لوائه كراديس فرسان كأسراب عقبان

وطاح بأجنادين جدى ومرسلي إلى مثل هذا العهد عون بن نعمان[1]

فما حال دون النصر قطع مهامه ولا فك في الأعضاء ناحل أبدان

وهل نهضت إلا النفوس بأهلها فإن رغبت في المجد لم يثنها ثان

وحولي من قحطان قوم رمت بهم إلى فلوات النبك غرة عدنان

إذا سابقوا "أم الرياح" رأيتها على الجهد ما شقت غبار كحيلان

١- الأمير : عون بن نعمان : استشهد في أجنادين سنة ١٢هـ وكان قد قدم من الحيرة مع خالد بن الوليد ، وأرسلان حفيده .

بـقـيـة أبـطـال لـو أن زمـانـهـم تـقـدم لم نـسـمـع بعبـس وذبـيـان
قرأت لهـم شعـر "الزركلي" فيهم فـهـز بـهـم من نجـدة أي أغـصـان
وهموا . . فلولا حكمـة لا أذيعها سمعت الوغى ما بين حوط وعرمان[1]
جـزى الـله خيـرا كل خيـر وأهـلـه بـأي بـديع من أغـانـيه غـنـانى[2]
فـيا ساكن الفسطاط هذى تحيتي تحملها القرطاس عني فأشجاني
هنيئا لك بالفسطاط والنيل تحته وجـنـاته والمـنـظـرون لـرضـوان
بـلاد أراد الـلـه يـسـرا بـأهـلـهـا ونـعم لعـمـرى أهلها خـيـر جيـران
خـليـلي كل الخـير عنـدكـما معا فلا تبعثا لي لـوعة ما تعداني[3]
لعـمـري إن أسألكـما غيـر جازع إلام تـنـائـيـنـا بمـاذا تجـيـبـاني
أرى أفـقـا لا يـدرك الـعـقـل حـده تـقـادم فـيـه بـالمـقـام الجـديـدان
وأمـة أعـراب أضـاع دمـاءهـا تـصـادم أطـمـاع هـنـاك وتـيـجـان
وقـفـرا تـموت الطـيـر دون اجتيازه إذا جـيـته من حـائـل نـحـو حوران
إذا عـصـفت فـيه الـرياح حـسـبـته يـقـاتـل فيه الإنس جيش من الجان
عـجـائـبـه شـتـى وأعـجـب مـا بـه إذا مـا الـتـقـى الإنسان فيه بإنسان
سـراب يضـل الفكر بعد اهتدائه ويـغـرق فـيـه الـنـاظـران بـغـدران
فإن تـدنُ منـه واجـف الـقـلب تـلـقه كـأحـلامنـا يـوم اجـتـمـعـنـا بـعّـمان

١- حوط وعرمان : من قرى الجبل .

٢- خيرا : خير الدين الزركلي .

٣- "معاً" يقصد : خير الدين الزركلي وأديب خير .

ودنيا على أرض من العدل عاطل عليها سماء قد تجلت بميزان

كتمت على الخلان مما بلوته أمورا يذوب القلب منها بإعلان

فلا تعجلاني بارك الله فيكما سأسمعها قولي إن الله أحياني

٢- عادات سكان منطقة الجوف

من شيم أهل الجوف

يتمتع أهالي منطقة الجوف بعدة خصال حميدة ، فإكرامهم لضيوفهم بالغ ، وشهامتهم متوهجة ، يحسنون إلى الجار ويميلون إلى التعاون ، وتحكم تعاملهم التقاليد العربية الأصيلة ، ويسر المرء التعامل بتلك الخصال ، خصوصاً إذا ما أخذنا في الاعتبار ضرورة الأخذ بها كأساس من مقومات الحياة .

وقد سماهم العرب من حولهم "وادي النفاخ" كناية عن مبالغتهم في إكرام ضيفهم حتى ينتفخ بطنه من الشبع . وكان للكرم في سالف الأزمنة قيمة وقدر ، خلافاً لقيمته اليوم ، ذلك أن الكرم في العهود السابقة ، كان يعني التضحية بالمال الذي كان يسيراً ، لا يتوفر بسهولة للفرد ، ويتم بإيثار الضيف على النفس وعلى الأهل والأولاد ، على الرغم من هذه الإمكانات وقلة الموارد ، والحاجة إلى كل لقمة تؤكل . وكان الكرم متأصلاً في النفوس بدافع من حب الخير ودفع الضرر عن الغير . وكمجتمع نال نصيباً من الخصال الإنسانية الجليلة ، التي يصعب حصرها أو تعدادها هنا ، فإننا نود أن نورد بعضاً من تلك المواقف الإنسانية ، على سبيل المثال لا الحصر .

يتلذذ أحدهم بإكرام ضيفه ، ويحلو له التعب في سبيل ذلك . ويصف ما هيأه له من غرس نخل ، وبناء دار و (دلال يطيب الكيف ريحة بهرها) . وهو الشاعر المعروف بشجاعته وسخائه ، ناصر العبد القادر من العروج ، الذي يقول :

أخير عندي من مثال المظاهير　　وأخير من لاهه وشوفة قطرها

صفت فروقين على جمة البير　　تسمع نديب غروبها في ظهرها

غرست منها ميتين على بير　　والمية الأخرى لحيق بثرها

الله يساعدني على نية الخير　　ودنياك ما حد عارف وش دورها

بـنـيـت دار مـلـفـى لـلـخـطـاطـيـر　　في مـفـرق الـتـلـيـن كل خـبـرهـا

قلط ليا صليت عوج المناقير　　دلال يطيب الكيف ريحة بهرها

أبغى ليا جوني غزو معايير　　أربع ليال قاضيات سفرها

تغارون الباب مثل السنانير　　من الجوع الأشهب واردين خطرها

يا زينها بأيام قطف النواوير　　حلاتها عن الحظاظير ترها

وليا اختلط خلفاتها والمعاشير　　يا حلوها لوما النشامى بثرها

كم منصب راح رأسه شعارير　　انجاشي من بطن الفرنجي حترها

عذرو بها تقفى تجر القناطير　　تخلى أهلها قاعدين بشجرها

وان جاء محل الوسم ما جا شخانير　　رايع الفرايس ساقم من ثمرها

تنحر البدوان دار بها مير　　كل يبيّع ناقته لو كسرها

مفتخر ببلده وتقاليدها :

وهذا شاعر من الجوف ، قيل إنه غالب بن حطاب السراح ، وقيل إنه الجنيدي ، يسافر إلى الخارج ويحل ضيفا هناك .

ولأنه لم يكن شخصاً معروفاً بمكانته الاجتماعية لدى (المعزب) ، فقد عومل معاملة عادية ، ولم ينل من الاهتمام ما يعتقد أنه يليق به ، خاصة أنه جاء من بلده المعروفة بالسخاء والكرم . فما كان منه إلا أن صور مشاعره تجاه الموقف الذي آلمه ، ويتوجد على بلده وأهله ومجتمعه وما كان يعيشه من لحظات العز بقصيدة ، منها :

ياما حلا والشمس تبدي شعقها　　من حدَّر الزرقا على نقرة الجوف

نسقي بها غيد ظليل ورقها　　نقلط نماها للمسايير وضيوف

كم حـايل للضيف نرمي شنقها   يقلط حثث ما هو على الزاد مردوف

أحـلى من البلقاء وحامي مرقها   ومقلطه للضيـف كرعـان وكتوف

عاقر الناقة :

وهذا أحدهم يدعى محمد الطريف الزايد ، مزارع يسني لاستخراج الماء من قاع البئر على ناقته (السانية) ، التي عليها يعتمد ، بعد الله ، بسقي مزرعته ، وأهم ما فيها النخيل ، الذي تعيش على ثمره أسرته ، ومن لهم حق فيه .

مرّ به فريق من البدو ذكروا أنهم من الظفير ، يقرب عددهم من الأربعين رجلاً ، فأناخوا ركائبهم ضيوفاً عنده ، وهو يسني ناقته .

حياهم ورحب بهم وأدخلهم مكان الضيوف ، وتلفت فيما عنده ليضيفهم به ، فلم يجد لديه ما يمكن تقديمه لهم سوى التمر والماء ، وفكر في أمره فأيقن أن هذا ليس بكاف لتقدير ضيوفه . ولكن ماذا يفعل وهو لا يملك أي نوع من الحبوب ، أو الدقيق ، أو اللحم؟ هل يفكر في ذبح سانيته ، وأنّى له سُقيا مزرعته ، ووسيلة عيش أطفاله ، إن هو ذبحها؟

لقد قرر فوراً أن يذبحها ويقدمها لضيوفه (والرزق عند اللي يقود السحاب) ، وفوجيء الضيوف بتقديمه اللحم المطبوخ لتوه ، فالتفتوا ينظرون إلى بعضهم من أين جاء بهذا ، فأوعزوا لأحدهم أن يخرج لينظر إلى السانية ، هل هي حية تسني أم قد عقرت لهم ؟ فعاد ومعه الخبر اليقين بأن السانية قد ذبحت وطبخت ؛ فأدركوا مدى مكانتهم من (معزبهم) وما يتمتع به من كرم وشهامة . فتشاوروا على ترك أحد إبلهم هدية له ، وتنافسوا في ذلك كل يريد (ذلوله) هدية لمضيفهم . ولما تركوا الهدية في مكانها وحاولوا المغادرة رفض محمد الطريف قبولها ، وطردها وألحقها بالركب ، فأصر القوم على تركها وهددوه بذبحها وتركها مكانها وسددوا إليها السهام ، عند ذلك قبلها .

وفي اليوم التالي أحضروا له ناقة أفضل منها ، ومن ركائبهم كلها .

بائع الحصان :

مرت المنطقة بسنتين من الفقر عجفاوين عانى فيها الأهالي ، كما هو شأن البقاع في جزيرة العرب ، خصوصا قبل عام ١٣٥٠هـ . فقد عاشوا عيشة ضنكا وتجرعوا ألم الجوع ومرارة النفس . وكان من وسائل الحصول على المعيشة ، عملية المقايضة بما تحضره البادية من حبوب من العراق ، أو بلقاء الشام بما يعرضه الحاضرة من تمر .

وذات يوم عرضت حبوب من قبل بعض أهل البادية ، لمقايضتها بالتمر ، أو لبيعها بالجيدي . فتجمع حول العرض عدد من أهل الحاضرة ، الذين تدفعهم الحاجة لمحاولة الشراء ، ويمنعهم قلة ما في أيديهم من المال ، وعدم وجود تمر لديهم ليقايضوا به .

وبينما هم كذلك وصلهم فارس على فرسه ، يدعى مفضي العطية ؛ فسألهم عما بهم فوصفوا له الحال . فأثر ذلك في نفس الفارس ، وما هان عليه أن يرجع هؤلاء الرجال خاليي الوفاض ، في الوقت الذي تنتظرهم فيه أسرهم وأطفالهم بالعود الحميد . فأقبل على الأعرابي جالب الحبوب وقال له : بكم تشتري هذه الفرس؟ فتساوما حتى اتفقا على أن يشتري الأعرابي الفرس ، وأن يأخذ الفارس ثمنها ما عرضه الأعرابي من حبوب . وقام الفارس بتوزيع الحبوب على الواقفين ، ومضى راجلا ، وهو يحس أنه فقد أعز ما يملكه من مال ؛ ولكنه يحس ، في الوقت نفسه ، أنه خفف من وطأة الجوع الأليم الذي كانت تعيشه تلك الأسر . وأنه أدى خدمة إنسانية ترتاح إليها نفسه ، ويطمئن إليها ضميره .

العفو عند المقدرة :

هذه قصة حدثت وقائعها بمنطقة الجوف ، وكانت بدايتها ليلة الأربعاء ١٦/١٧ من شهر شعبان عام ١٣٨٦هـ ، وفي مكان ام جثجاث بالقرب من جبل الطويل ، حينما اقتتل عويض ناجي العديلاوي والشراري المدعو/ دخيل الله عيد حميد العزامي الشراري ، بعد أن حصل سوء تفاهم بينهما ، حول سداد مبلغ من المال ، مما أدى إلى ضرب عويض ناجي دخيل الله بالعصا . فطعن دخيل الله عويضاً بالخنجر عدة طعنات في العنق والظهر

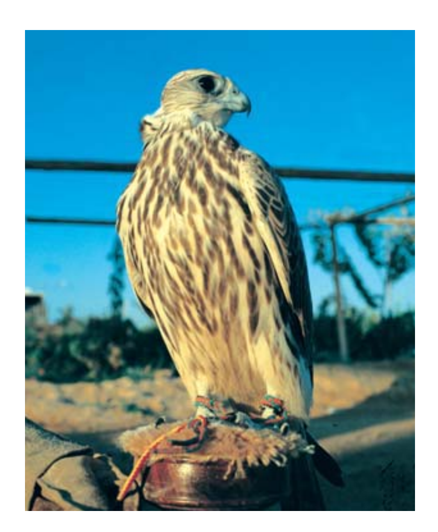
والبطن ؛ فتوفي في الحال . وسلم القاتل نفسه للسلطة الادارية ، واعترف بجريمته .

وقد انحصر إرث المتوفي في شخص ابنه (فايل) ، وابنتين له وزوجته . وصدر حكم المحكمة الشرعية بالجوف بالقصاص من القاتل . ولمّا كان ابن المتوفى صغيراً ، ولم يبلغ سن الرشد ، أُرجيء تنفيذ الحكم حتى بلغ سن الرشد ، وحصل على حفيظة نفوس . وصدرت موافقة المقام السامي ثم موافقة وزارة الداخلية بتاريخ ٢٩/١٠/١٤٠١هـ بانفاذ ما تقرر شرعا بحق القاتل ، وتمكين ابن القتيل من الاقتصاص من قاتل أبيه بالسيف .

وفي يوم الجمعة ١٦/١١/١٤٠١هـ ، أحضر ابن القتيل إلى ساحة العدل بسكاكا بعد صلاة الجمعة ، وطُلب إليه الاقتصاص من قاتل أبيه وسلم إليه السيف . وأمام حشد كبير من المواطنين ، سل ابن القتيل ، وبحضور أعمامه واللجنة المكلفة بالإشراف على تنفيذ القصاص ، السيف من غمده وهوى به على رقبة قاتل أبيه ، إلا أنه وضعه في النهاية برفق ، وفوجيء الجميع بالشاب يقول (اني عفوت عنك لوجه الله تعالى) . وارتفعت أصوات الناس بالتهليل والتكبير والشكر على هذا الموقف الإنساني ، الذي يندر نظيره ، والذي صدر عن هذا الشاب الأبي . وقد أعجب الحاضرون بهذا العمل العظيم ، ولهجوا بالدعاء الطيب لحكومة جلالة الملك لتمسكها بمبادىء الشّرع الحنيف .

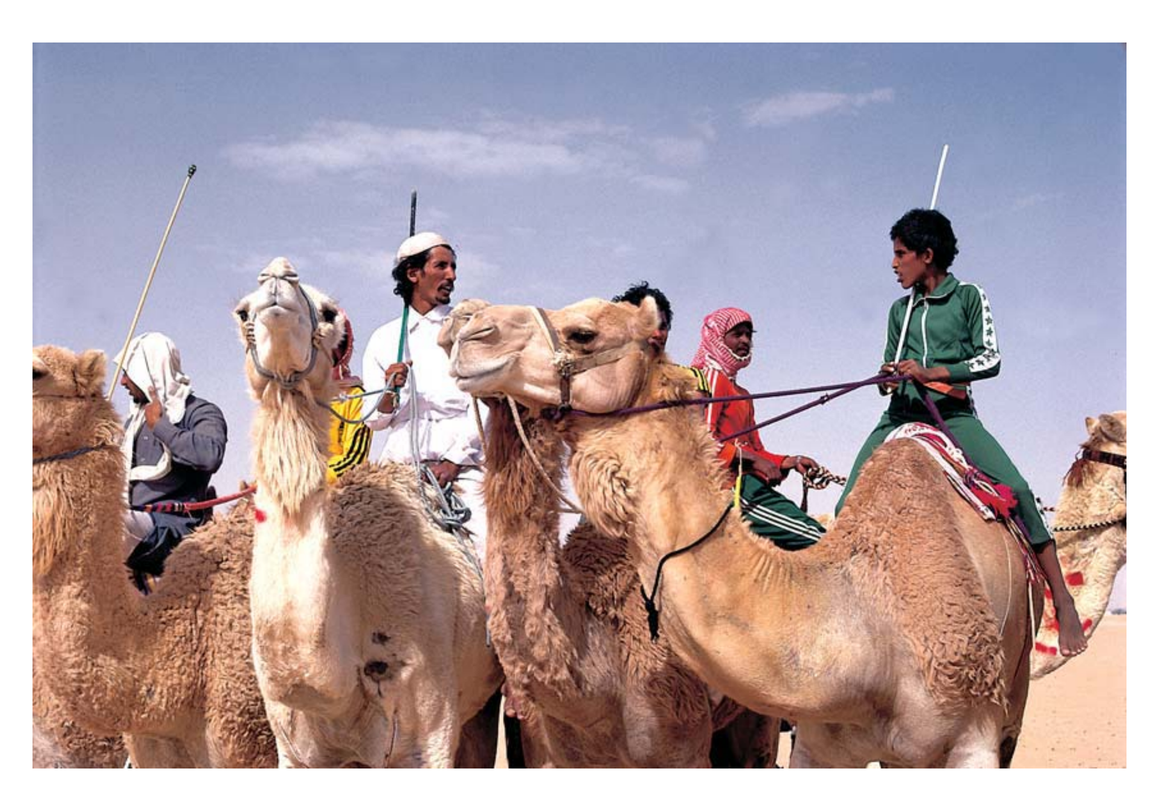


فرس عربية أصيلة





أحد الصقور في مزرعة سلطانة



لقطة لبعض المتسابقين في أحد سباقات الهجن المقام في رجب ١٤٠٥هـ ضمن الاحتفالات بأسبوع الجوف

الفصل الثامن

ملامح النهضة الحديثة في منطقة الجوف

ملامح النهضة الحديثة في منطقة الجوف

تعيش منطقة الجوف في عصرها الحاضر ، تفاعلاً اجتماعياً ايجابياً مع متطلبات الحياة ، في أكثر وجوهها ، بحكم ما تنعم به البلاد مما مّن الله به على حكومة المملكة العربية السعودية وشعبها من نعمة ، مكنتها بفضل الله من دعم المسيرة الحضارية ، بتشجيع مقومات النهضة ثقافية كانت ، أو اقتصادية ، أو زراعية ، أو اجتماعية .

وقد استفادت منطقة الجوف من ذلك الدعم ، مثل غيرها من مناطق المملكة ، وحققت مستويات جيدة نسبياً في عدد من وجوه حياتها .

وأخذاً بالهدف التاريخي لهذا الكتاب ، فسنلقي الضوء على الوضع الراهن ، من خلال ما نورده هنا من نبذ مختصرة ، تقرّب للقارىء الكريم واقع المنطقة اليوم .

إمارة منطقة الجوف

تأسست إمارة منطقة الجوف في عهد جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - وتعاقب على رأس هذه الإمارة اثنا عشر أميراً ، حتى تاريخ صدور هذه الطبعة من الكتاب ، على نحو ما ورد في الفصل الخامس من الكتاب .

وقد صدر الأمر الملكي الخاص بنظام المناطق في ٢٧/٨/١٤١٢هـ ، تمشياً مع سياسة الدولة في رفع مستوى الأداء ، إدارياً وتنموياً ؛ والمحافظة على الأمن والنظام .

ووفقا للنظام ، كانت إمارة منطقة الجوف ، ممثلة بكافة محافظاتها ونواحيها ومراكزها ، ذات دور متميز وبارز ، وتم اختيار أعضاء مجلس المنطقة ، من الجانبين الحكومي والأهلي .

بيان بأسماء المحافظات والمراكز

تضم منطقة إمارة الجوف محافظتين ، هما : محافظة القريات ، ومحافظة دومة الجندل . أما عدد المراكز التابعة فيبلغ (٣١) مركزاً ، هي :

التسلسل	اسم المركز	التسلسل	اسم المركز
١	مركز طبرجل	١٧	مركز طلعة عمار
٢	مركز صوير	١٨	مركز زلوم
٣	مركز المغيراء	١٩	مركز أبا رواث
٤	مركز الحرة	٢٠	مركز الشويحطية
٥	مركز خوعا	٢١	مركز الرفيعة
٦	مركز عذفاء	٢٢	مركز هديب
٧	مركز المرير	٢٣	مركز النبك أبو قصر
٨	مركز الحديثة	٢٤	مركز بسيطا
٩	مركز العيساوية	٢٥	مركز الفياض
١٠	مركز عين الحواس	٢٦	مركز الناصفة
١١	مركز الحماد	٢٧	مركز الوادي
١٢	مركز أبو عجرم	٢٨	مركز الأضارع
١٣	مركز الثنية	٢٩	مركز ميقوع
١٤	مركز صفان	٣٠	مركز الشقيق
١٥	مركز ثنية أم النخل	٣١	مركز قليب
١٦	مركز الرديفة		

جدول يبين أسماء المراكز الإدارية التابعة لمحافظتي القريات ودومة الجندل بإمارة منطقة الجوف

بلدية منطقة الجوف :

دُمجت المديرية العامة للشئون البلدية والقروية بالمنطقة الشمالية (سابقاً) ، مع بلدية سكاكا (سابقا) وُشكلت بلدية منطقة الجوف ، مع نقل الخدمات القروية بقارا إلى قرية صوير ، وضم خدمات قارا والطوير واللقائط إلى بلدية المنطقة وذلك اعتبارا من ١٢/١١/١٤١٣هـ .

كما رُبطت بلدية القريات ببلدية منطقة الجوف ، طبقاً لتشكيل المناطق ، وكان ذلك في ٨/٨/١٤١٤هـ . واتسع نطاق إشراف بلدية المنطقة ليشتمل على بلدية منطقة القريات وقراها ، إضافة إلى بلديات محافظة دومة الجندل وطبرجل والمجمع القروي بصوير ، ومجموعة القرى التابعة لهذه البلديات .

وقد بدأت البلدية في تنفيذ مشاريع شبكات مياه الشرب ، في كل من : سكاكا والقريات ودومة الجندل . كما بُدِيءَ العمل بمشروع الصرف الصحي بسكاكا .

إلى جانب ذلك ، تعمل البلدية على إعداد الدراسات التخطيطية والهيكلية ، وتنفيذ العديد من المخططات العامة والخاصة ، والعمل على تطوير مفهوم استثمار العقارات البلدية ،



مبنى بلدية سكاكا





لقطتان من مدينة سكاكا

وتفعيل دور الإيرادات المباشرة للبلدية ، عن طريق طرح العديد من المواقع وفرص الاستثمار البلدية مع تقديم كافة التسهيلات الممكنة للقطاع الخاص ، للقيام بدوره بشكل فعال في التنمية الاقتصادية .

وقد قامت بلدية منطقة الجوف بتنفيذ عدة مشروعات سفلتة وأرصفة وانارة مدينة سكاكا والعديد من القرى التابعة ، وصيانة ونظافة سكاكا وقراها وايصال الماء إلى المواطنين ، وزراعة وتشجير الحدائق والشوارع . كما تم توزيع مخططات سكنية .

أنجزت البلدية مشاريع تقدر قيمتها بـ ٢٥٠ مليون ريال - منها مشروع مركز الأمير عبدالإله الحضاري للاحتفالات .

وفي طبرجل بدأت المرحلة السادسة من مشروع السفلتة والانارة بمبلغ ٦٫٣٠٠٫٠٠٠ ريال .

أما في دومة الجندل فقد تم تخصيص أكثر من ١٣ مليون ريال لتنفيذ المرحلة الحادية عشرة من السفلته والأرصفة . وجاري تنفيذ مشروع سفلتة القريات وقراها بحوالي ٥ مليون ريال كمرحلة أولى ، وبتكلفة ١٣ مليون ريال للمرحلة الثانية . كما يجري تنفيذ العديد من المشروعات الخاصة بمحطات معالجة مياه الصرف الصحي في الجوف في سكاكا والدومة والقريات بتكلفة تزيد على ١٠٠ مليون ريال[١] .

فرع وزارة العدل بمنطقة الجوف :

أنشيء فرع وزارة العدل بمنطقة الجوف عام ١٣٩٩هـ ، وباشر عمله مع بداية العام المالي في ١٣٩٩/٧/١هـ .

وقد أسندت له القيام بالأعمال ، التي تخص المحاكم الشرعية ، وكتابات العدل بالمنطقة ؛ إذ يقوم الفرع بالاشراف على المحاكم التابعة للفرع ، وعددها خمس محاكم ، هي :

---

(١) تقرير خاص ببلدية منطقة الجوف ، محرم ١٤٢٥هـ .





لقطتان من سوق سكاكا في الثمانينات الميلادية

المحكمة العامة بالجوف ، والمحكمة الجزائية بسكاكا ، ومحكمة محافظة دومة الجندل ، ومحكمة مركز طبرجل ، ومحكمة محافظة القريات ، إضافة إلى كتابات العدل بالمنطقة ، التابعة للفرع ، وعددها أربع كتابات عدل ، هي : كتابة عدل سكاكا ، وكتابة عدل دومة الجندل ، وكتابة عدل مركز طبرجل ، وكتابة عدل محافظة القريات . كما يتولى الفرع متابعة المشاريع ، التي تخص محاكم المنطقة ؛ وقد تم ، بحمد الله ، تسليم مبنى الدوائر الشرعية بطبرجل ، وأشرف على عملية ترميم مبنى رئاسة المحاكم ، ومحكمة القريات . ويجري الآن ، ترميم مبنى محكمة دومة الجندل . كما يتابع الفرع انشاء مشروع مجمع الدوائر الشرعية بسكاكا . ويعنى الفرع ، كذلك ، بالمحافظة على الاراضى الحكومية ، التى تخص المحاكم وكتابات العدل ، ومتابعة احتياجاتها من الكوادر الوظيفية ، والأبنية ، واللوازم المتنوعة ، ما يساعد المحاكم على التفرغ لأعمالها القضائية ، وتسهيل إنجاز أعمال المراجعين بيسر وسهولة(١) .

فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالجوف :

يقوم فرع الوزارة بالجوف بأعمال جليلة ، تعتمد على نشر الدعوة إلى الله تعالى بين المسلمين ، وتحديث أساليبها وتجاوز جميع العقبات ، التي تعترض هذا الهدف الأساسي . كما تعتني بالمساجد ، من حيث العمارة والصيانة والنظام .

ويتمثل ذلك في إدارة الدعوة والإرشاد ، التي تعمل على تحقيق مفهوم العبودية لله وحده ، ودعوة الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة ، من خلال مكاتب الدعوة والإرشاد في سكاكا ومحافظة دومة الجندل ومركز طبرجل وصوير ، فهي تنظّم سنويا العديد من الدورات والمسابقات العلمية والثقافية . وتقدم من خلال شعب الجاليات الخدمات المتكاملة للمسلمين الجدد ، من حيث الرعاية وإنهاء الإجراءات ، التي تُثبت إسلامهم ورعايتهم بعد الإسلام . وقد بلغ عددهم **٤٣٩** شخصاً .

وتقوم إدارة شؤون المساجد بتعميم المساجد في جميع أحياء المنطقة ، ونشر الوعى الديني

(١) تقرير عن فرع وزارة العدل بالجوف في ١٤٢٥هـ .

بين أفراد المجتمع . ويصل عدد المساجد إلى أكثر من ٧٥٠ مسجداً وجامعاً . وقد وضعت إدارة الأوقاف أهدافاً ساميةً تعمل على تحقيقها ، منها ، على سبيل المثال ، العمل على إحياء معنى الوقف بين المسلمين ، وكذلك المحافظة على الأوقاف في المنطقة وتنميتها .

وقد أنفقت إدارة المشروعات والصيانة ٤٫٠٠٧٫٠٠٠ ريال على المشروعات الأربعة ، الممولة عن طريق الوزارة ؛ بينما أشرفت الإدارة على إنشاء ١٢٠ مسجداً وجامعاً ممولة من طريق الخير ، وذلك بتكلفة إجمالية ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال[١] .

فرع الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنطقة الجوف :

لقيت شعيرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر في منطقة الجوف من اهتمام الدولة ، مثل ما لقيته بقية المناطق . فقد حظيت منذ أيام الملك عبد العزيز -رحمه الله- وأبنائه من بعده الذين ما فتئوا يعنون بهذا الجهاز ويقدمون له الدعم المادي والمعنوي ، وكان الملك عبدالعزيز قد عمرها بالأمراء والقضاة والدوائر الحكومية وغيرها . فقد كان أمراؤها بتوجيه من ولاة الأمر ، يأمرون من يقوم بعمل الحسبة من المخلصين تطوعاً ، حتى تطور عمل الحسبة إلى التكليف والتولية .

وقد أنشئت الهيئة بالجوف منذ عام ١٣٧٤هـ ، ثم تطورت ومرت بمراحل عديدة إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه الآن . وقد غطت مدينة سكاكا وسائر أنحاء المنطقة ، من خلال المناديب عند الحاجة .

وفي عام ١٣٧٨هـ ، أنشئت هيئة محافظة دومة الجندل ، ثم في عام ١٤٠٣هـ ، أُنشيء مركزا هيئة كل من قارا واللقائط ، وفي عام ١٤٠٨هـ . أنشيء مركز طبرجل ، وفي عام ١٤١٤هـ ، ضمت هيئة القريات إلى هيئة منطقة الجوف .

وفي ١٤١٢/٦/٧هـ تحول مسمى الهيئة بمنطقة الجوف إلى :"فرع الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بمنطقة الجوف" . وفي ١٤١٤/١١/١٣هـ أنشيء مركز هيئة

(١) الإنجاز ، إصدار من فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالجوف ، شوال ١٤٢٤هـ .

سكاكا ، نظراً لاتساع المدينة وازدياد السكان وانتشار الأسواق والمحلات التجارية والورش وغيرها . وفي عام ١٤٢٤هـ ، جرى اعتماد انشاء المقر الرئيس بمنطقة الجوف ، بمبلغ (٧,٥٠٠,٠٠٠) سبعة ملايين وخمسمائة ألف ريال[1] .

التعليم وتطوره

ساد المنطقة من قبل ، كما كان الوضع في كافة أنحاء البلاد العربية والإسلامية ، نظام الكتاتيب ، الذي تعلّم وعَلّم في ظله عدد من الروّاد من أهل الجوف ، نذكر منهم : شفق بن مرزوق الرشيد/ عبدالعزيز بن شفق الضميري/ احمد بن خليفة المظهور/ مسلم البراهيم المران/ خليف بن مسلم السطام/ مناور الهايس/ سمير عمر الدرعان/ شبيب بن سطم العبدالله الصالح/ ابراهيم عابد البراهيم الجباب/ محمد بن خالد الوشيح/ عبد الرحمن بن صليع المرزوق الدرعان/ الشيخ خلف البخيت المتوفى في شهر ذي الحجة عام ١٣٨٨ هـ . الذي تعلّم على يديه عدد غير قليل من ناشئة دومة الجندل ، وكان له فضل كبير في تعليم القرآن وتحفيظه لهم . وقد أسهم في تثقيف مجتمعه ، ثقافة إسلامية واسعة .

فعلى أيدي هذا العدد من المشايخ المتعلمين ، استفاد بعض أبناء المنطقة من التعليم وفق ذلك النظام ، الذي أتى عليه التعليم الجديد بسلّمه التقليدي بمدرسة واحدة ، فى مدينة سكاكا عام ١٣٦٢هـ . وبمدرس واحد هو الاستاذ أحمد عبد الماجد ، الذي قَدِم من مكة . وكان عدد تلاميذ هذه المدرسة ستين طالباً . وقد لاقت هذه المدرسة إقبالاً من ناشئة المنطقة ، الذين كان لهم ، فيما بعد ، الدور الرئيس في القيام بالعديد من المهام ، في دوائر حكومية كثيرة .

وكحافز لأبناء هذه المنطقة تجاه التعليم ، فقد تم التعاون مع إمارة القريات وإمارة تبوك ، بتقديم اقتراح لحكومة المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، يدعو إلى صرف مكافأة مالية شهرية للطلاب ، من أبناء البادية والحاضرة ، بمعدل خمسين منحة لطلاب منطقة الجوف ، وخمسين منحة لطلاب منطقة القريات ، وخمسين منحة لطلاب

(١) مكتب المدير العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر – فرع منطقة الجوف : احصائية ، ١٤٢٥هـ .

منطقة تبوك . فوافقت حكومة جلالة الملك عبد العزيز على ذلك ، وتم تخصيص أربعين ريالا مكافأة لكل طالب من أبناء البادية ، من أجل شدهم للتوطين ومن ثَمَّ للدراسة . وقد اعتمد ذلك بتاريخ ٢١/٢/١٣٦٩هـ .

والجدير بالذكر أن ناشئة المنطقة أقبلت على التعليم إقبالاً عظيماً . وأن الأهالي من حاضرة وبادية كانوا لا يترددون في إدخال أبنائهم المدارس ، بل كانوا حريصين على ذلك .

ووفقاً لما توليه الحكومة من اهتمام لهذا المرفق الحيوي ، فقد تعددت مدارس البنين لسد حاجة الناشئة في كل مكان ؛ فأُسند إشراف مدارس الجوف إلى منطقة المدينة المنورة ، ثم اسند بعد ذلك إلى إدارة التعليم بالدمام ، حيث كان مدير التعليم إذ ذاك فضيلة الشيخ عبد العزيز التركي ، الذي نرى أن نسجل له هنا اعترافاً بقدرته على اتخاذ القرار ، الذي من شأنه خدمة الناشئة ، ومراعاته لظروف المنطقة الملحّة في ذلك الوقت في نشر المدارس في الأماكن المتاحة ، وخاصة في أماكن التوطين المستحدثة للبادية .

ونظراً للحاجة إلى وجود هيئة للتنسيق قريبة من المدارس ، فقد أُنشئ (مكتب التفتيش المركزي) عام ١٣٧٧هـ . ليكون حلقة الوصل بين المدارس في المنطقة والدمام ، ثم طُوِر إلى (مكتب التعليم) عام ١٣٨٠هـ ليقوم بالمهمة نفسها ، على مستوى أفضل ، ثم طُور إلى (مكتب إشراف) شأنه شأن أي دائرة تعليم مستقلة ، ثم طُور إلى (إدارة تعليم) عام ١٣٩٨هـ .

ويجدر بنا أن نشير إلى عامل مهم ، كان له أثر في الإقبال على التعليم عند البادية ، ذلك هو اتجاههم للعيش في المدن والقرى ، نتيجة ما ألمَّ بهم من سني القحط ، فساعد ذلك على استقرارهم ومن ثمَّ سهولة توفير الخدمات التعليمية لأبنائهم ، الذين يسهمون الآن في مسيرة بلادهم الحضارية ، (ورب ضارة نافعة) .

ومن الإحصائيات الآتية عن الوضع الراهن للتعليم ، نتبيّن مدى نموه بفضل ما توليه الدولة من عناية واهتمام[1] .

---

(١) مسيرة التعليم في الجوف ١٤٠٣/١٤٠٤هـ .

أ - مدارس البنين :

عدد المدارس الابتدائية	٩٢ مدرسة	تضم ١٥٤٢٣ طالباً
عدد المدارس المتوسطة	٥٦ مدرسة	تضم ٦٧٧٩ طالباً
عدد المدارس الثانوية	٢٨ مدرسة	تضم ٥٩٤٧ طالباً
عدد المدارس الليلية (محو الأمية)	١٨ مدرسة	تضم ٣٦٣ دارساً
عدد المدارس الليلية المتوسطة	٤ مدارس	تضم ٤٩٣ دارساً
عدد المدارس الليلية الثانوية	٣ مدارس	تضم ٤٨٧ دارساً

وقد بلغ عدد المدرسين والموظفين السعوديين للعام الدراسي ١٤٢٣/١٤٢٤هـ ، ٢٣٠٣ مدرسين سعوديين .

وفي مدينة سكاكا معهد علمي بمرحلتيه المتوسطة والثانوية ، تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود ، وقد أسهم بفاعلية جيدة في تعليم الناشئة وتثقيفهم .

ويوجد بمنطقة الجوف التعليمية أربع وحدات صحية مدرسية ، تشرف على الناحية الصحية لمنسوبي التعليم من طلاب وموظفين وقائياً وعلاجياً .

ب - مدارس البنات :

انتشر تعليم البنات في الحاضر بالمستوى نفسه ، الذي انتشر فيه تعليم البنين ، على الرغم من قصر عمره الزمني ؛ إذ افتتحت أول مدرسة بنات بمنطقة الجوف عام ١٣٨٢هـ . وأقبلت فتيات المنطقة على الدراسة إقبالاً عظيماً ، وبحماسة فائقة ، وقد أنهى عدد من الفتيات دراستهن الجامعية ، والتحقن بمعاهد المعلمات ، وبالمعهد الصحي للتمريض ، الذي أستحدث عام ١٤٠٢هـ . ويتولى عدد كبير منهن التدريس ، في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة .

ومن أجل توفير المدرسات السعوديات المؤهلات ، أُفتتحت كلية متوسطة للبنات في العام الدراسي ١٤٠١هـ١٤٠٢/هـ ، وكان عدد طالباتها للعام الدراسي ١٤٠٣هـ ١٤٠٤/هـ ١٥٠ طالبة .

وتسهيلاً لخدمة تلك المدارس ، فقد سبق أن استحدثت إدارتان باسم (مندوبية تعليم البنات) ، بكل من سكاكا ودومة الجندل . وفي عام ١٤٠٢هـ طُورت مندوبية تعليم البنات بسكاكا إلى (إدارة تعليم البنات بالجوف) ، لتتحمل ، من خلال تشكيلها وإمكاناتها الإدارية والمالية والفنية ، مسؤولية تطور هذا الجهاز .

وقد بلغ عدد الطالبات والمعلمات للعام الدراسي ١٤٢٤/١٤٢٣هـ ، كما في الجدول التالي[١] :

رياض الأطفال	الإبتدائية	المتوسطة	الثانوية	الكليات المطورة	تعليم الكبار
٩	١٠٣	٥٤	٣٥	٢	٣٩

تحفيظ القرآن الكريم لكافة المراحل	عدد الطالبات في جميع المراحل	عدد شاغلات الوظائف التعليمية
١٣	٤١٩٨٢ طالبة	٣٧٢٥

الكلية التقنية بالجوف :

صدر الأمر السامي الكريم رقم ١١٥/م وتاريخ ٧/٢/١٤٢٢هـ ، القاضي بالموافقة على افتتاح كلية تقنية بالجوف للعام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢٣هـ[٢] . وتتكون الكلية من الأقسام الاتية :

---

(١) إدارة تعليم البنات بالجوف : خلاصة إحصائية لجميع المراحل التعليمية ، ١٤١٩هـ .

(٢) الكلية التقنية بالجوف ، تقرير في صفر ١٤٢٥هـ .

١- التقنية الكهربائية (قوى كهربائية) .

٢- التقنية الادارية (محاسبة - إدارة مكتبية) .

٣- الاتصالات (اتصالات) .

٤- الحاسب الآلي (حاسب آلي - برمجيات) .

٥- قسم الدراسات العامة (الرياضيات - الفيزياء - الثقافة الإسلامية - اللغات) .

المعهد الصحي للبنين بالجوف :

المعهد الصحي للبنين بالجوف مؤسسة تعليمية صحية ، أُنشيء عام ١٤٠٣هـ . ويقدم خدماته لرقعة واسعة من بلادنا الحبيبة . فقد كان حتى وقت قريب ، المعهد الوحيد في المنطقة الشمالية . وكان هذا المعهد ، بفضل الله ، ثم بفضل جهود ومتابعة القائمين عليه ، صرحاً علمياً شامخاً ، نجح في تحقيق الأهداف المرسومة له ، وذلك بفضل دعم قائد مسيرة الخير والنماء خادم الحرمين الشريفين ، وولي عهده الأمين ، للتعليم بمختلف قطاعاته .

استقبل المعهد الدفعة الأولى من الطلاب ، وكان إقبال الطلاب على المعهد متزايداً وتوالت الدفعات ، مع التطور السريع الذي تشهده مملكتنا واهتمام الشعب بالصحة العامة ، والإقبال الشديد من الشباب للدراسة بالمعهد . ودعمت الدولة أيّدها الله جميع الأقسام بما تحتاجه من الأطباء والمدرسين ، من خريجي الجامعات والمعاهد العليا ، إضافة إلى الأطباء المتخصصين ، الذين يستعين بهم المعهد من المرافق الصحية الموجودة بالمنطقة .

وقد تطور المعهد بعد ذلك واختص في مجال واحد ، هو الرعاية الصحية الأولية ؛ ثم رفع مستوى القبول من الكفاءة المتوسطة إلى الثانوية العامة القسم العلمي ، ضمن ضوابط معينة ومعايير محددة . وقد بدأت الدراسة بشكل فعلي عام ١٤١٥هـ ، ومدة الدراسة سنتان ، يتخرج بعدها الطالب فني رعاية صحية أولية .

ومنذ مطلع عام ١٤٢٠هـ ، طرحت الإدارة العامة برنامجا جديدا للدراسة وأضافت ستة شهور إلى السنتين ، لتكون إمتيازاً لتمكين الطالب من تطبيق الدروس النظرية والمهارات العلمية ، بشكل ناجح . وقد جرى اعتماد تحويل المعهد ، الى كلية العلوم الصحية ، اعتباراً من العام الدراسي ١٤٢٥/١٤٢٦هـ ، بثلاثة تخصصات ، هي : التمريض ، والصيدلة ، والمختبرات[١] .

المعهد الصحي المطور للبنات بالجوف :

افتتح المعهد الصحي للبنات بالجوف عام ١٤٠١ هـ ، وهو إحدى المؤسسات التعليمية التابعة لوزارة الصحة ، ومهمته إعداد الطالبات السعوديات وتأهيلهن ، للعمل في مجال التمريض ، لسد العجز الفني والإداري بالقطاعات الصحية المختلفة بالمنطقة ، من مستشفيات ومراكز صحية ومستشفى الصحة النفسية .

المعامل والمختبرات :

يوجد بالمعهد أربعة معامل ومختبر واحد ، هي :

١- معمل التمريض .

٢- معمل اللغة الإنجليزية .

٣- معمل الوسائل السمعية والبصرية .

٤- معمل التشريح .

٥- مختبر العلوم .

وهذه المعامل معدة ومجهزة بالوسائل التعليمية اللازمة ، لإيضاح المعلومات للطالبات .

---

(١) المعهد الصحي للبنين .

التخصصات التي يدّرسها المعهد :

١ - دُرّس تخصص التمريض العام منذ عام ١٤٠١ وحتى عام ١٤١٧هـ ، وكانت مدة الدراسة بهذا التخصص ثلاث سنوات ونصف السنة ، بعد الكفاءة المتوسطة .

٢ - دُرّس تخصص تمريض صحة المجتمع منذ عام ١٤١٧هـ حتى ١٤١٩هـ ، وكانت مدة الدراسة بهذا التخصص سنتين ، بعد الثانوية العامة القسم العلمي .

٣ - نفذت دورة دبلوم نساء وولادة لمدة عام واحد في عام ١٤١٣هـ .

٤ - وفي عام ١٤١٦هـ تم تطوير المعهد الصحي الثانوي للبنات بالجوف وأصبح من شروط القبول فيه حصول المتقدمة على شهادة الثانوية العامة "القسم العلمي" ، مدة الدراسة فيه سنتان (أربعة فصول دراسية) . وأصبح الاقبال على المعهد في الأعوام الأخيرة منقطع النظير ؛ فقد وصل عدد المتقدمات للعام الدراسي ١٤٢٣/١٤٢٤هـ ١٥٠ طالبة ، وجرى قبول ٧٠ طالبة وفقا للطاقة الاستيعابية للمعهد . ومن مميزات الدراسة أن الطالبة تتقاضى مكافأة شهرية مقدارها ٦٠٠ ريال ، إضافة إلى فترة تدريب مكثف لمدة فصل دراسي واحد ، تتدرب فيه الطالبة في جميع أقسام المستشفى . وتم تطوير المناهج بالتعاون مع كلية العلوم الطبية التطبيقية بجامعة الملك سعود . وبلغ عدد الخريجات ١٢٢ ممرضة من هذا النظام حتى عام ١٤٢٣/١٤٢٤هـ[١] .

وقد ارتفع مستوى القبول للدراسة بالمعهد بعد الثانوية العامة (القسم العلمي) ، للارتقاء بالمستوى العام للخدمات الصحية المقدمة للمواطنين .

كلية المعلمين بالجوف :

بدأت الكلية بالعمل في العام الدراسي ١٤٠١/١٤٠٢هـ . تحت مسمى "الكلية المتوسطة" ، وكانت تطويراً لعملية إعداد المعلم في معاهد المعلمين . وكان الطلاب يحصلون

(١) تقرير المعهد الصحي للبنات بالجوف ، ١٤٢٥هـ .

على دبلوم الكليات المتوسطة ، ومدة الدراسة بها (٧٥ ساعة) معتمدة مقسّمة على أربعة فصول دراسية للطالب العلمي ، وفصل تمهيدي للطالب الأدبي ، وكان الطالب يتخصص في فرعين ، تخصص رئيس وتخصص فرعي .

واستمر العمل بالكلية المتوسطة حتى نهاية العام الدراسي ١٤٠٨/١٤٠٩هـ ، وبدأ في العام الدراسي ١٤٠٩/١٤١٠هـ ، دخول أول دفعة من طلاب نظام البكالوريوس ، الذين يدرسون أربع سنوات ويتخرجون وهم يحملون شهادة البكالوريوس في التعليم الابتدائي ، وكانت الدراسة تعتمد على تخصص واحد فقط ، في التخصصات المتاحة للدراسة .

وقد تغير اسم الكلية من "الكلية المتوسطة" إلى : "كلية إعداد المعلمين" ، ثم إلى : "كلية المعلمين" حالياً . وهذه الكليات منذ بدايتها كانت تحت إشراف وزارة للتربية والتعليم .

وفي العام الدراسي ١٤٢٣/١٤٢٤هـ ، بلغ عدد أعضاء هيئة التدريس (١٢٠ عضواً) في مختلف التخصصات ، كما وصل عدد الطلاب والدارسين حالياً ، إلى ما يقرب من (٢٠٠٠) ألفي طالب ودارس . وقد بدأ نظام الدراسة بالكلية وفقاً لنظام الساعات المعتمدة ، وساعات الحضور طيلَة فترةً الدراسة بالكلية المتوسطة ، ثم تطورت الكلية لتمنح شهادة البكالوريوس ؛ فبدأت بنظام الساعات المعتمدة ، ثم تطورت إلى النظام الفصلي ، ثم تطورت حاليا فأصبحت الدراسة تعمل بنظام الوحدات الدراسية . ويوجد بكلية المعلمين (١٠) تخصصات .

كما يوجد بالكلية معرض دائم للتربية الفنية ، ومتحف العلوم والآثار وغيرها . وكذلك قاعة الاجتماعات الكبرى ، المعروفة بـ"قاعة الملك عبدالعزيز" . وقد تخرج من الكلية حتى الآن أكثر من (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف طالب في مختلف التخصصات[١] .

---

(١) كلية المعلمين بالجوف ، تقرير ١٤٢١هـ .

كلية التربية للبنات بمنطقة الجوف :

أُنشئت الكلية عام ١٤٠١هـ ، وكانت تسمى في البداية (الكلية المتوسطة للبنات بالجوف) . وكانت تشتمل على ستة تخصصات تتعلق بالدراسات الإسلامية ، واللغة العربية ، والعلوم ، والرياضيات ، والاقتصاد المنزلي ، ورياض الأطفال .

وفي عام ١٤١١هـ تم تطويرها إلى كلية تربية وفق نظام الأربع سنوات ، وأصبحت بعد ذلك تضم قسمين منفصلين ؛ احدهما للعلوم ، والآخر للآداب . ويضم القسم العلمي تخصصات : الرياضيات ، والكيمياء ، والاقتصاد المنزلي ، واللغة الانجليزية . ويدرس به ١٢٧٦ طالبة ؛ بينما يضم القسم الأدبي تخصصات : اللغة العربية ، والدراسات الاسلامية ، والتاريخ ، ويدرس به ٢٢٦٢ طالبة . وفي عام ١٤١٦ تم افتتاح فرع للكلية بمحافظة دومة الجندل تدرس به حوالي ١٠٩٨ طالبة في القسم الأدبي[١] .



مبنى كلية التربية للبنات في سكاكا

(١) كلية التربية للبنات بالجوف ، صفر ١٤٢٥هـ .

وفي عام ١٤١٧هـ افتتحت الكلية المطورة بالجوف فرعاً لها في دومة الجندل ، شملت تخصصاته ثلاثة أقسام هي : الدراسات الإسلامية ، واللغة العربية ، واللغة الإنجليزية .

كلية العلوم بالجوف :

صدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين ، رئيس مجلس الوزراء - رئيس مجلس التعليم العالي ، يحفظه الله ، بالتوجيه الكريم رقم (٧/ب٢٠٥٧٩/) ، الصادر بتاريخ ٣/٦/١٤٢٣هـ ، على توصية مجلس التعليم العالي في جلسته المنعقدة في ٢٣/٣/١٤٢٣هـ ، بالموافقه على انشاء كلية العلوم في منطقة الجوف ، تتبع جامعة الملك سعود . كما وافق مجلس الجامعة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٥/١٢/١٤٢٣هـ . على الخطة الدراسية للكلية . وقد بدأت الدراسة في الكلية في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٢٤هـ١٤٢٥/هـ .

تهدف الكلية إلى اعداد الكوادر المتخصصة والمؤهلة علمياً ، وتدريبها ، لتكون جاهزة للعمل ، وتضم الكلية (٢٠) عضو هيئة تدريس .

تشتمل كلية العلوم على أربعة تخصصات : هى الرياضيات ، والفيزياء ، وعلوم الحاسب ، وعلوم المختبرات الطبية . يدرس الطالب المتخصص ما مجموعه ١٣٦ وحدة دراسية ، موزعة على (٨) مستويات ، في الأقسام التالية : قسم الرياضيات -قسم الفيزياء- قسم علوم الحاسب ؛ و١٤١ وحدة دراسية في قسم علوم المختبرات الطبية ، موزعة على تسعة مستويات ، بالإضافة إلى سنة امتياز . علماً بأن المستوى الأول ، موحد لأقسام الكلية الأربعة ، وعدد وحداته (١٦) وحدة دراسية[١] .

كلية خدمة المجتمع للبنات بالجوف/ في سكاكا وطبرجل :

في العام الدراسي ١٤٢٣/١٤٢٤هـ ، تم افتتاح كلية مجتمع ، في كل من مدينة سكاكا

---

(١) تقرير من كلية العلوم وارد في ١٠/٢/١٤٢٥هـ .

ومركز طبرجل ، لقبول خريجات الثانوية العامة ، بقسميها العلمي والأدبى . وقد تم افتتاح قسمين بكلية المجتمع بسكاكا ، هما : قسم الحاسب الآلي ، وقسم اللغة الانجليزية . وبلغ عدد الطالبات الملتحقات بهذين القسمين ٣٧٣ طالبه .

وفي كلية المجتمع بطبرجل ، يوجد قسم الحاسب الآلي ، بلغ عدد الطالبات به ٣٦٣ طالبة . وتهدف كلية خدمة المجتمع ، إلى اتاحة فرص التعليم العالي للطلاب والطالبات ، في المجالات التطبيقية ، إضافة إلى تلبية حاجة القطاعين الحكومي والأهلي من المؤهلين ، وإعداد الكوادر علمياً وعملياً ، لسد النقص فيهما ، والإسهام في سعودة الوظائف[1] .

التعليم الأهلي بمنطقة الجوف

في عام ١٣٩١هـ شارك عدد من أهالي المنطقة في تأسيس أول روضة للأطفال . بدأت بـ٦٧ طفلاً . وقد وصل عدد المدارس الأهلية بمنطقة الجوف حاليا (١٤٢٤ / ١٤٢٥هـ) إلى أكثر من ثماني مدارس تقدم خدماتها لأكثر من ٢٥٠٠ طالب وطالبة . وهي : مدارس الرحمانية الأهلية ، والجوف الأهلية ، والعمرية الأهلية ، والفاروق الأهلية ، وبسيطا الأهلية ، وشركة الجوف الزراعية ، وطبرجل الأهلية ، ومدارس الجوف العالمية للجاليات الأجنبية .

روضة ومدارس الرحمانية :

تمشياً مع الأهداف الخاصة بمؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية ، التى وضع أسسها معالي الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري ، وانطلاقاً من اهتمامات معاليه بأبنائه من الطلبة والطالبات ، من النواحى الاجتماعية والثقافية كافة ، أنشأت المؤسسة داراً للحضانة وروضة للأطفال في عام ١٤٠٧هـ . وقد شجّع هذا النجاح أولياء الامور ، وطالبوا بامتداد العملية التربوية التعليمية لأبنائهم وبناتهم ، فكان ذلك حافزاً لتأسيس المرحلة الابتدائية ، ثم المتوسطة فالثانوية . وبلغ عدد الطلاب للعام الدراسي (١٤٢٥/١٤٢٤هـ) ٣١٢ طالباً بالابتدائي ، و١٢٥ طالباً بالمرحلة المتوسطة ، و ١٨٨ طالباً بالثانوي . بينما بلغ عدد الطالبات

(١) دليل كلية خدمة المجتمع وتقرير المشرف على الكليات ، ١٤٢٥هـ .

في العام الدراسي نفسه ٩٠ طالبة بالإبتدائي ، و٣٩ طالبة بالمرحلة المتوسطة ، و٥٢ طالبة بالثانوي[١] .

روضة أطفال الجوف الأهلية :

في عام ١٣٩١هـ ، شارك عدد من أهالي المنطقة في تأسيس روضة للأطفال . وقد بدأت بـ ٦٧ طفلاً ، بلغ عددهم للعام الدراسي ١٤٠٣هـ/ ١٤٠٤هـ (٣٢٠) طفلاً وطفلة[٢] .

ويقوم بالأعمال التربوية والفنية والإدارية في الروضة أربع عشرة مربية ، منهن خمس مربيات ، تصرف رواتبهن من وزارة المعارف كإسهام في نفقات الروضة ، والروضة مؤسسة خيرية لا تهدف إلى الربح ، ولا يدفع أولياء أمور الأطفال سوى رسم رمزي لا يحقق شيئاً يذكر من ميزانية الروضة .

وما دمنا بصدد التعليم ونشأته ، وقبل الانتقال إلى مجال آخر فإننا نرى من الواجب هنا التطرق إلى شخصية كان لها دور بارز في هذا المجال ، وهو :

الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك

كان لوصول الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك عام ١٣٦٢هـ ، لتولى القضاء في الجوف ، أثر كبير على النواحي التعليمية والثقافية ، بل والمسلكية ؛ إضافة إلى ممارسته لعمله بالقضاء والإفتاء ، فقد كان قدوة في دينه وخلقه . أعطى الكثير من وقته وجهده للتدريس في مسجد (السوق) بسكاكا ، الذي أنشأه على أحدث طراز ، في وقته ، من الطوب اللبن ، وأخشاب الأثل ، وسعف النخيل . فقد أنشأ فيه أروقة صيفية ، وأخرى شتوية تسمى (الخلوة) ، ومئذنتين ، وغرفتين ، لإيواء الفقراء من طلبة العلم .

واستغل -رحمة الله عليه- هذا المسجد الجامع أفضل استغلال ، لعبادة الله والدعوة

---

(١) مدارس الرحمانية .

(٢) مسيرة التعليم في الجوف ١٤٠٣/١٤٠٤هـ .

إليه . فقد رسم لنفسه منهجاً تعليمياً واضح المعالم ، بجلوسه في المسجد ، بعد صلاة العصر من كل يوم ، لتدريس القرآن الكريم وتحفيظه ، عن ظهر قلب ، لكثير من القراء ، الذين توزعوا في أروقة المسجد ، بعد أن حفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ليدرس ويحفظ قراء آخرين . وكان يجلس في بيته بعد صلاة المغرب ، لسماع قراءة السنة النبوية وتفسيرها ، ويقضي ويفتي صباحاً حتى آذان الظهر في بيته ، وبعد الظهر يجلس في المسجد الجامع لطبقة أخرى من القراء ، أكثرهم من المشايخ ، لدراسة سيرة ابن هشام وكشف الشبهات .

وقد طلب من تلاميذ المدارس الابتدائية ، آنذاك ، أن يدرسوا لديه علم المواريث صباحاً ، قبل ذهابهم إلى المدرسة . وخصص لهم الوقت المناسب لذلك ، واستفاد منهم الكثير . كما طلب من هؤلاء دراسة قواعد اللغة العربية ، بعد صلاة العشاء في المسجد الجامع . وصار يعلمهم قواعد اللغة من كتاب "ملحة الإعراب" .

وكان الشيخ فيصل بن مبارك حريصاً على تشجيع أبنائه الدارسين ، بكل المقومات المعنوية والمادية . فمن تشجيعه المعنوي احترامه للدارس ، أياً كانت سنُّه ؛ وحرصه على عدم إحراجه فيما يتعلق بمواقف الخطأ في التفسير أو التلاوة ؛ وعودة المريَض من الدارسين . ومن النواحي المادية ، استصدار موافقة الحكومة بتخصيص مبلغ نقدي ، مكافأة سنوية لكل دارس ، بقدر تحصيله العلمي ؛ بل بقدر الأجزاء التي حفظها غيباً من القرآن الكريم .

وله عدة مؤلفات منها :

- تفسير القرآن الكريم أسماه (توفيق الرحمن في تفسير القرآن) من مجلدين .
- أربع المختصرات .
- بستان الأخبار مختصر نيل الأوطار ، في مجلدين .
- تجارة المؤمنين في المرابحة مع رب العباد .

- المجموعة الجليلة وتحتوي على :

١- مختصر الكلام على بلوغ المرام .

٢- محاسن الدين على متن الأربعين .

٣- مقام المرشد بين التقليد والاجتهاد .

وتعليم الأحب ، وأحاديث النووي وابن رجب ، (شرح في ٦٣ صفحة) . والدلائل القاطعة في المواريث الواقعة ، تقع في كراسة تقريباً ، ومفتاح العربية على متن الأجرومية ، (شرح وجيز في ٨٣ صفحة) ، غذاء القلوب ومفرج الكروب في ٤٠ صفحة .

خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام ، (شرح واف يحلل أحاديث العمدة يقع في ٤٠٠ صفحة) ، (شرح على عمدة الأحكام خمسة أجزاء ثم اختصره إلى جزءين) . (وكلمات السداد على متن الزاد مجلد واحد) ، والسبيكة الذهبية على متن الرحبية (كراستان) ، والقول في الكرة الجسمية الموافق للفطر السليمة ، مجلد واحد . وكتاب لذة القارئ مختصر فتح الباري على صحيح البخاري ، في ثمانية مجلدات ، وكتاب المرتع المشبع من الروض المربع ، في أربعة مجلدات . كما سعى -رحمة الله- في تأليف شرح وجيز على ملحة الإعراب[١] .

كان عالماً بأكثر الفنون : التفسير ويحمل به إجازة ، والتوحيد والعقيدة ومعرفة تامة بالحديث والفقه .

منح المتقدمين في الدراسة عنده شهادات أهلَّتهم لشغل مناصب حكومية ، وأوصى أثناء مرضه الأخير بأن تستمر مدرسته الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم ، واستمرت بحمد الله ، وأطلق عليها اسم (الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم) . وتُجرى مسابقة سنوية في شهر رمضان تحت رعاية إمارة منطقة الجوف ، تقدم فيها جوائز مالية للدارسين .

---

(١) انظر الكتاب المجموعة الجليلة للشيخ عبدالعزيز بن فيصل بن مبارك .

عُرف بالزهد في الدنيا ، والسخاء ، ومات ولم يخلف مُلكاً ولا حتى بيتا في أي مدينة من المدن التسع ، التي عمل بها قاضيا في مختلف مناطق المملكة ، يعالج الأمور بالحكمة ويعامل الناس على قدر عقولهم .

وقد علق -رحمة الله- بخط يده على ترجمة لحياته ، وضعها الناشر في مقدمة أحد مؤلفاته وتضمنت بعض الإطراء عليه بقوله :

"اللهم اجعلني خيرا مما يظنون ، ولا تواخذني بما يقولون ، واغفر لي في ما لا يعلمون" .

توفي - رحمه الله - ليلة الجمعة السادس والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٣٧٦هـ ، وخلدت ذكراه بتسمية أحد شوارع مدينة سكاكا باسمه . كما أن الناس يعرفون المسجد الجامع ، الذي بناه وأعيد بناؤه مؤخراً ، باسم "مسجد الشيخ فيصل" .

الخدمات الصحية :

انشئت المديرية العامة للشئون الصحية بمنطقة الجوف في عام ١٤٠٦هـ ، وتهدف إلى الإشراف الكامل على جميع المرافق الصحية الحكومية منها والأهلية في المنطقة .

وقد بلغ عدد المستشفيات الحكومية بمنطقة الجوف حتى عام ١٤٢٥هـ ، سبعة مستشفيات هي : مستشفى الأمير عبدالرحمن السديري ، مستشفى النساء والولادة والأطفال ، مستشفى الصحة النفسية ، مستشفى دومة الجندل ، مستشفى طبرجل ، مستشفى القريات العام ، والصحة النفسية بالقريات . إضافة إلى الأقسام المعاونة (الملاريا - البلهارسيا) ، التي تم ضمها إلى ادارة الرعاية الصحية الأولية بالمديرية ، كما تشرف المديرية على ٢٩ مركزاً صحياً .

أما بالنسبة للمعهد الصحي للبنين ، فقد تمت الموافقة على تحويله الى كلية صحية ابتداء من العام ٢٥/١٤٢٦هـ . ومن أهم المشاريع الجاري تنفيذها حالياً : مستشفى محافظة دومة الجندل الجديد ١٠٠ سرير ، مستشفى الملك عبد العزيز بسكاكا ٥٠٠ سرير ،

مستشفى طبرجل العام ١٠٠ سرير ، مستشفى صوير٥٠ سريراً ، مستشفى العيساوية ٥٠ سريراً ، مستشفى مركز الحديثة ٥٠ سريراً[١] .

مديرية الدفاع المدني بمنطقة الجوف

تُعدُّ مديرية الدفاع المدني بمنطقة الجوف ، بصفتها الجهة الممثلة للمديرية العامة للدفاع المدني ، مسؤولة عن تنفيذ كل ما يدخل في اختصاصها ، من مهام ومسؤوليات وخطط ومشروعات وإجراءات وبرامج تدريب لأعمالها ، واتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهة الكوارث ، وتنسيق التعاون مع الأجهزة الحكومية بالمنطقة ، لتنفيذ خطط مشروعات وإجراءات الدفاع المدني . وكان قد تم افتتاح أول فرقة إطفاء بمنطقة الجوف في عام ١٣٨٤هـ ، إلى أن أعيد التنظيم واستبدل باسم : "إدارات الدفاع المدني" ، مسمى "مديريات الدفاع المدني" ، في عام ١٤١٤هـ .

ومديرية الدفاع المدني بالجوف مزودة بعدد ٧٠ آلية متنوعة ، موزعة على الإدارات في سكاكا والقريات ودومة الجندل وزلوم وطبرجل .

وترتبط بمديرية الدفاع المدني بالجوف عدة إدارات ومراكز خارجية ، في كل من :

سكاكا ، والقريات ، وقارا ، والبلد ، وحصيدة ، والإسكان ، ودومة الجندل ، وزلوم ، وطبرجل ، والعيساوية ، والحديثة . إضافة إلى شعبة المشاريع ، ومركز التدريب ، وشعبة الاتصالات السلكية واللاسلكية ، ووحدة الصناعية بالمنطقة الصناعية ، وشعبة الصيانة ، ومركز ميقوع ، وقاعدة تموين المنطقة الشمالية[٢] ، وهذه المراكز تُغطي المساحة الجغرافية لمنطقة الجوف كاملة .

---

(١) المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الجوف ، صفر ١٤٢٥هـ .

(٢) مديرية الدفاع المدني بمنطقة الجوف ، تقرير صادر في صفر ١٤٢٥هـ .

خدمات الطرق والنقل بمنطقة الجوف :

تأسست في الجوف ادارة للطرق عام ١٤٠٠هـ تابعة لوزارة المواصلات ، وهى تعنى بما يخص جميع أعمال الطرق والنقل وكذلك أنشطة النقل البري ، كما تقوم بأعمال الصيانة العادية والوقائية مؤسسات وطنية تحت اشراف الادارة ، وتقوم ايضا بفتح وصيانة الطرق الترابية التي تخدم القرى والمزارع . وقد تم حتى عام ١٤٢٤هـ سفلتة ٧١٤ كم رئيسية ، ٨٦ كم طرق مزدوجه ، ٤٢٧ كم طرق فرعية ، وفتح وتمهيد أكثر من ٣٠٠٠ كم طرق قروية وزراعية . ومن الطرق الجاري تنفيذها طريق حائل الجوف وطريق دومة الجندل –محجه– سكاكا وطريق الرديفة أبوعجرم – القريات . وتقوم ادارة النقل بمتابعة انجاز الاعمال المتعلقة بالنقل البرى بالمنطقة حيث تشرف على مكاتب النقل والتراخيص ، لتسجيل ونقل الملكية واصدار بطاقات تشغيل سيارات النقل العام ، والاشراف على نقل البضائع والمهمات ، وترحيل الركاب (النقل الجماعي) وتأجير السيارات الصغيرة ، ومتابعة السيارات الأجرة .

وقد تم افتتاح ادارة للطرق بمحافظة القريات عام ١٤٢١هـ . وكذلك مكتب جهاز الاشراف بمركز طبرجل[١] .

وحسب إحصائيات الطرق ، فقد بلغت أطوال الطرق المعبدة حتى نهاية عام ١٤٢٤هـ كالآتي : طرق رئيسية ٧٤٤ كم ، طرق ثانوية ٨٦ كم ، طرق فرعية ٤٤٦ كم . وبذلك يكون إجمالي الطرق المعبدة بمنطقة الجوف ١١٩٩كم ، أما الطرق الترابية ، وهي الأطول ، فقد بلغت أطوالها ٣٢٠٩ كم .

الجوف منطقة زراعية

تتميز منطقة الجوف بالعديد من المزايا ، بسبب مناخها الفريد الواقع بين مناخ البحر المتوسط ومناخ الجزيرة العربية . ويُقدر طولها بحوالي ٣٢٠ كيلاً ، وعرضها بحوالي ٣٠٠كيلاً ، الأمر الذي جعل المنطقة صالحة لزراعة مختلف أنواع المحاصيل الزراعية من

(١) تقرير من إدارة الطرق والنقل بمنطقة الجوف ، صفر ١٤٢٥هـ .



أحد البيوت البلاستيكية المستخدمة لزراعة الخضروات بالجوف

فواكه وخضار وتمور ولوزيات وتفاحيات وغيرها ، إضافة إلى وفرة مياهها وصلاحية الأراضي الزراعية . وعودة إلى الماضي ، نجد أن هنالك دلالات على قدم الزراعة بالمنطقة ، حيث عثر على بعض أشجار الزيتون المتحجرة ، التي تدل على قدم هذه الزراعة . كما أن المنطقة تزرع الكثير من احتياجاتها من المنتجات الزراعية ، مثل النخيل وبعض أنواع الفواكه ، كالعنب والتين والبرقوق والدّ راق ، وبعض أنواع الحبوب ، كالقمح والشعير والدّخن ، وغيرها من المزروعات .

وعلى هذا فان منطقة الجوف تشهد تطورا زراعيا وذلك لصلاحيتها لزراعة مختلف أنواع المحاصيل الزراعية وساعد على ذلك خصوبة تربتها ووفرة مياهها واتساع مساحتها التي تقدر ب (٧٦٨٣٢) كم٢ . وقد جرى توزيع الأراضي على المزارعين ، وبلغ اجمالي ما تم توزيعه على المزارعين (٧٥٠٠) مزرعة ، و (٢٤٠٠) مشروع زراعي ، تغطي مساحة اجمالية قدرها (٦٠١,٣٩٨) ستمائة وواحد ألف وثلاثمائة وثمانية وتسعون هكتاراً ، زُرعت بالمحاصيل

الحقلية والخضار وأشجار الفاكهة والنخيل والزيتون ، وساعد على نجاحها ملائمة الظروف البيئية إلى زراعة هذه المحاصيل ؛ فقد وصل عدد اشجار الزيتون بالمنطقة (٤٠٠٠٠٠٠) أربعة ملايين شجرة ، كما بلغ عدد أشجار النخيل بالمنطقة (٥٠٠٠٠٠) خمسمائة ألف نخلة ، وما يزيد على (مليون) شجرة من الفواكه الأخرى متساقطة الأوراق ، مثل : الخوخ ، والمشمش ، والتفاح ، والكمثرى ، والعنب ، والتين ، والرمان . كما يوجد بالمنطقة ما يزيد عن مليوني رأس من الغنم ، وأكثر من مائة ألف من الابل ، وأكثر من مائة وعشرة آلاف من الماعز ، وحوالي (٢٩٠٠) من البقر . وتوجد ثلاثة مشاريع دواجن بياض ، تنتج حوالي (٦٠٧٤٩٢) بيضة مائدة ، اما عدد مشاريع الدجاج اللاحم بالمنطقة فهو (١١) مزرعة ، تنتج حوالي (٣٠٠٠٠٠٠) دجاجة . وبالمنطقة (٢٤) مشروع تسمين وتربية للاغنام ، منها (١٠) مشاريع عاملة ، تبلغ تعداد اغنامه حوالى (١٥٠٠) رأس .

وتوجد بالمنطقة ست شركات زراعية كبيرة تقع في بسيطاء ، مثل : شركة الجوف



أشجار برتقال بالجوف



من وسائل الري الحديثة بالجوف



أشجار الزيتون في إحدى مزارع الجوف

الزراعية ، وشركة الراجحى الزراعية ، وشركة نادك ، وشركة الخريف ، وشركة المكيرش ، والمحاصيل الحقلية ، والحبوب ، والأغنام .

كما تم انشاء اكثر من ٢٩ مشروع مياه للشرب في بعض الهجر والمراكز والقرى ، وتغذى بحوالي ٦٠ بئراً مع تمديدات المياه ، وعمل الخزانات الأرضية والعلوية لتوفير المياه الصالحة للشرب للمواطنين ، وأبناء البادية ، ومربى الماشية . كما يوجد في محافظة القريات محطة تنقية للمياه ، ويجري العمل بمشروع نقل المياه من بسيطاء إلى القريات . وكذلك تم الانتهاء من عمل السدود في حصيدة الشرقية وحصيدة الغربية ووادي باير . إضافة إلى وجود مشروع للري والصرف ، بمحافظة دومة الجندل لتصريف المياه الراكدة[١] .

المسابقة السنوية للمزارعين في منطقة الجوف

ونظراً لأهمية مستقبل الزراعة في المنطقة ، واهتمام المواطنين أنفسهم بها ، وخبرتهم وطموحهم في هذا المجال ، فقد تبنت إمارة منطقة الجوف إقامة مسابقة سنوية للمزارعين ، تحكمها ضوابط فنية ، تقوم على شروط ومواصفات محدودة وواضحة .

وقد بدأت هذه الفكرة ونفذت منذ عام ١٣٩٤هـ . ويجري تمويل المسابقة بالجوائز النقدية والعينية ، من قبل المهتمين بدفع عجلة التنمية الزراعية ، والذين يزودون بنسخة من الإعلان السنوي للمسابقة . ولا شك أن هذه المسابقة تُعدُّ مهرجاناً سنوياً لمزارعي المنطقة ، يسهم في تعميق الوعي لديهم ، كما تمثّل أيضاً حافزاً للمنافسة الشريفة ، يؤدي إلى زيادة الإنتاج وتحسين نوعيته .

البنك الزراعي العربي السعودي بمنطقة الجوف

استفاد مزارعو المنطقة من الإمكانات ، التي هيأتها الدولة لتنمية القطاع الزراعي وتطويره ، وذلك بتمويلهم بالقروض الميسرة اللازمة ، من دون فوائد ، لتأمين احتياجاتهم من

(١) مديرية الزراعة والمياه بمنطقة الجوف ، تقرير احصائي ١٤٢٤هـ .



أحد بساتين النخيل في إحدى مزارع الجوف

مستلزمات الإنتاج الزراعي ، من الآليات الزراعية والمكائن والمضخات والبذور والأسمدة ، إضافة إلى تمويل المشاريع المتخصصة بمختلف أنواعها .

وبلغ عدد القروض ، التي منحها البنك الزراعي منذ تأسيسه بالمنطقة عام ١٣٨٥هـ حتى نهاية العام المالي ١٤٢٤/١٤٢٣هـ ، (١٧٢٠٤) قروض قيمتها الإجمالية (١٫٩٥٤٫٥٨٧٫٥٩٢) ريالاً ، تم تقديمها بواسطة مكاتب البنك ، وهي :

١- مكتب البنك الزراعي بمدينة سكاكا .

٢- مكتب البنك الزراعي بمحافظة القريات .

٣ - مكتب البنك الزراعي بمركز طبرجل .

ومنذ العام ١٣٩٤/١٣٩٣هـ أنيطت بالبنك الزراعي ، إلى جانب نشاطه الرئيس المتمثل في تقديم القروض ، مهمة صرف مجموعة من الإعانات الزراعية ، التي تتحملها الدولة من أجل تخفيف كلفة النفقات الزراعية اللازمة للإنتاج . وقد بلغ ما صُرف من إعانات بالمنطقة ، عن الفترة نفسها : ٥٨٠٫٤٤٦٫٤٦٩ ريالاً[١] .

شركة الجوف للتنمية الزراعية

تأسست شركة الجوف للتنمية الزراعية عام ١٤١٠/١٤١١هـ . وقد أصبحت إحدى المعالم البارزة في المنطقة ، بعد أن توفرت الآن البنية الأساسية ، لجميع مشاريعها الزراعية . فقد بدأت في تسويق منتجات الألبان ، بعد تشغيل مصنع الألبان ، الذي تتبعه مزرعة للأبقار . كذلك واصلت الشركة التوسع في زراعة الزيتون والفاكهة ، إلى جانب مشروعاتها الخاصة لمستودعات التبريد ، التي ستخدم توزيع منتجات الشركة الزراعية ، من فواكه وخضر ، وتضمن تدفقها إلى المستهلك ، على مدار السنة . هذا إلى جانب العديد من المشروعات ، التي تنوي الشركة أقامتها في المستقبل ، مثل مصنع إنتاج مكعبات البطاطا ،

(١) البنك الزراعي العربي السعودي ، فرع الجوف ، صفر ١٤٢٥هـ .

وتطوير صناعة الزيتون القائمة حاليا . وتشمل مشاريع الشركة زراعة البرسيم والبطاطا والبصل وغيرها ، إلى جانب تشغيل محطة تنقية ومعالجة البذور ، التي تنتج أكثر من ٦٥٩٠ طناً من البذور ، ومعصرة الزيتون ، التي أنتجت حوالي ٦٥ طناً من الزيت الصافي ، وبستان الفاكهة ، الذي أنتج ١٢٨٠ طنا من الفواكه المتنوعة . كما أنتج المشتل ما يزيد عن ٢٠٠٫٠٠٠ شتلة زيتون ومثلها من الفاكهة المتنوعة ، إلى جانب ٣٠٫٠٠٠ طن من القمح و ١١٫٠٠٠ طن من الشعير . وينتج المنحل سنوياً حوالي ١١ طنا من العسل . وتُجرى حالياً التجارب لزراعة بنجر السكر . ووصل عدد الأغنام إلى ١٠٫٥١١ رأساً ، و١٤١ رأسا من الماعز[١] .

الجمعية التعاونية متعددة الأغراض بالجوف

لأهمية وجود جمعية تعاونية متعددة الأغراض ، أنشئت في مدينة سكاكا عام ١٣٨٦هـ جمعية تعاونية تهدف إلى تأمين بعض الخدمات للمواطنين ، وفق الأطر المعمول بها في الجمعيات التعاونية في المملكة .

ومن أهم المشاريع والخدمات ، التي قدمتها الجمعية للمنطقة منذ إنشائها :

- مشروع الدواجن بنوعية البياض واللاحم .
- توفير أعلاف الماشية .
- توفير مادة الأسمنت وبيعها بأسعار مناسبة .
- المتاجرة في المواد والأدوات الزراعية .
- المتاجرة في المحروقات .
- تشغيل الآليات : (ماكينة تنقية القمح - محطة وزن الشاحنات - ورشة الصيانة والميكانيكا) .

(١) شركة الجوف للتنمية الزراعية ، التقرير السنوي لعام ١٩٩٨هـ .

- المتاجرة في الملابس .
- تشغيل معصرة زيتون (الجوبة) والمتاجرة في زيت الزيتون .
- المتاجرة في صيدلية التعاون البيطرية .

وقد حققت الجمعية في عام ١٤١٩هـ فائضاً صافياً بمبلغ ٣٥١١٨٢ ريالا[١] .

المياه في منطقة الجوف

المياه في الجوف ، بشكل عام ، وفيرة وعذبة ، منها ما هو سطحي ومنها ما هو جوفي ؛ وإذا كانت المزارع تسقى ، في بعض أجزاء دومة الجندل ، قديماً بواسطة العيون المحفورة يدوياً ، والجارية على سطح الأرض ، أو تحت الأنفاق ، فإن ري المزارع في غرب دومة الجندل ، وفي سكاكا والقرى الأخرى كلها ، كان يتم ، في تلك الفترة السابقة ، بالسني بواسطة الدواب .

وفي سنة ١٣٦٨هـ أدخلت إلى منطقة الجوف أول مضخة للمياه . وفي شهر رمضان من عام ١٣٧٣هـ حُفرت أول بئر ارتوازية نافورية واسمها (المصيريعة) ، في دومة الجندل ؛ وحفرت البئر الثانية في (السديرية) بسكاكا بتاريخ ١٩/٣/١٣٩٠هـ ، وكانت أول بئر نافورية بهذه المدينة .

والمياه في منطقة الجوف ، عموماً ، وفي مدينتي دومة الجندل وسكاكا جيدة للغاية . ويبين التحليل ، الذي أجرته كلية الصيدلة بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود) ، الذي يقارن بين مواصفات المياه النافورية في دومة الجندل وسكاكا ومياه ايفيان الفرنسية ومياه صحة ، مدى جودة المياه النافورية في دومة الجندل وسكاكا .

الفوسفات

إذا كانت الزراعة في منطقة الجوف ، أهم المقومات الاقتصادية في الوقت الحاضر ، فإن

(١) الجمعية التعاونية متعددة الأغراض بالجوف : التقرير السنوي عن العام المالي ١٤١٨/١٤١٩هـ .



مصنع مياه حلوة بالجوف

علينا أن ننوه هنا بوجود إحدى المقومات الاقتصادية المهمة بالمنطقة ، وذلك هو وجود الفوسفات كمعدن حيوي . فلقد أثبتت الاستكشافات للمعادن ، التي عنيت بها حكومة المملكة العربية السعودية ، وجود عدد من المعادن ، كالذهب والنحاس والحديد والفضة والزنك والرصاص والفوسفات ، في أماكن مختلفة من المملكة .

وكان من هذه الاستكشافات المعدنية ، مما يتعلق بالمنطقة ، الفوسفات ، الذي اكتشف بكمية اقتصادية شمال غرب الجوف ، الذي يمكن الاستفادة منه ، في حالة استخراجه ، كمخصب جيد للتربة .

كهرباء منطقة الجوف

أولا : مشروع توسعة محطة التوليد المركزية :

جرى تشغيلها مؤخراً ، بعد إضافة وحدتي توربين غازي (طراز فيات) بقدرة إضافية ٥٠

جامعة الرياض

التاريخ :
المرفقات :

كلية الصيدلة

تقرير عن تحليل مياه الجوف

لقد تم في هذا التقرير تحليل اربع عينات من مياه الجوف وهي :-

١ - مياه دومة الجندل
٢ - مياه عين الشعيب
٣ - مياه عين اللقائط
٤ - مياه عين السديرية

وقد تم تحليل هذه العينات تبعا للطرق المستعملة من قبل منظمة الصحة العالمية .

١ - الصلابة الكلية : قدرت بطريقة تبخير حجم معين من الماء ووزن المواد الصلبة .

٢ - تقدير العسر الكلي : بطريقة المعايرة بواسطة . E.D.T.A.

٣ - تقدير الكالسيوم : بطريقة المعايرة بواسطة . E.D.T.A.

٤ - تقدير المغنسيوم : بطريقة المعايرة بواسطة . E.D.T.A.

٥ - تقدير الحديد : بواسطة O-Phenanthroline وتعيين اللون الناتج .

٦ - تقدير الصوديوم : بواسطة Flame Photometer

٧ - تقدير البوتاسيوم : بواسطة Flame Photometer

٨ - تقدير الكبريتات : بواسطة ترسيبها على هيئة كبريتات الباريوم ثم معايرته بواسطة E.D.T.A.

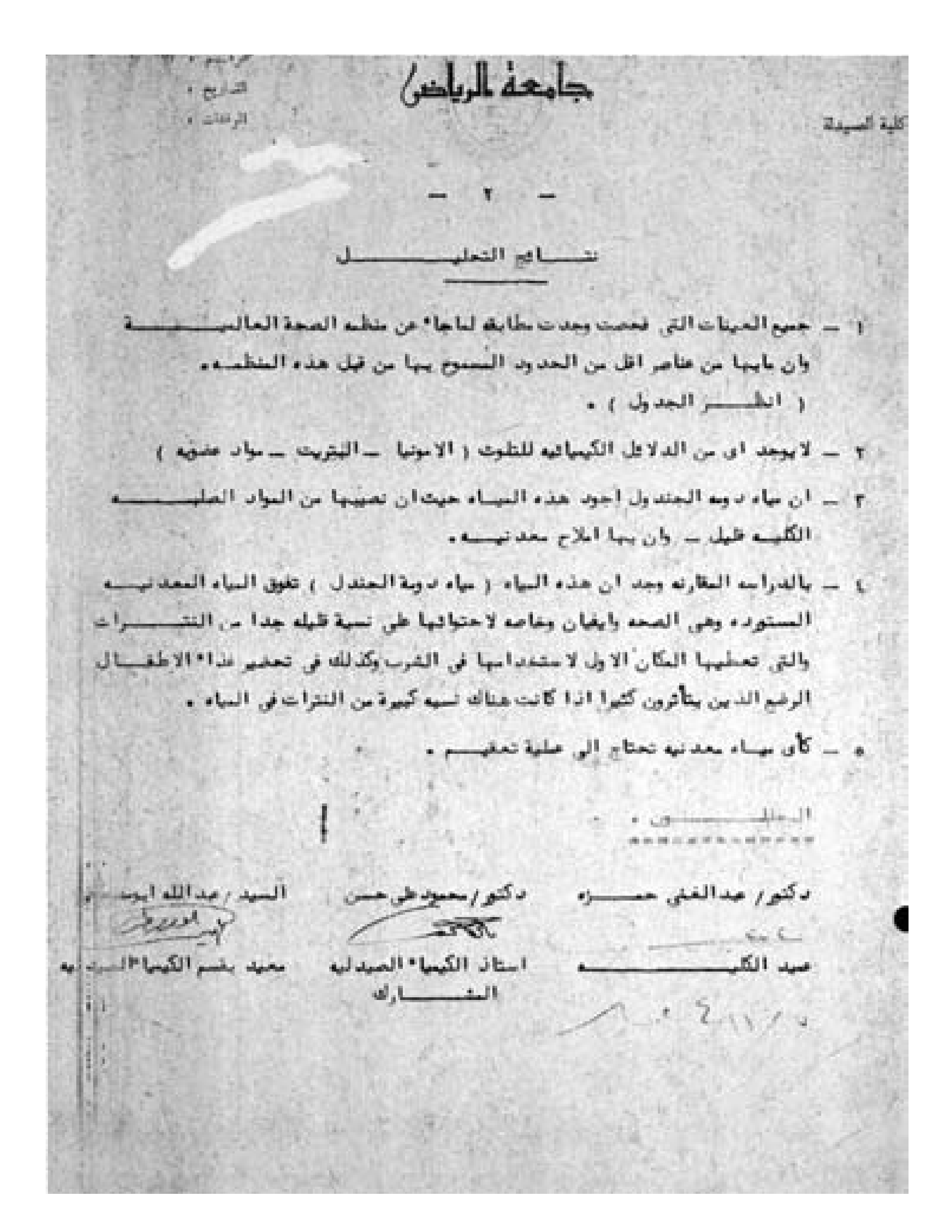
٩ - تقدير الكلوريد : بطريقة Volhard فولهارد .

١٠ - تقدير النترات : بواسطة Phenol disulphonic acid

وتفاصيل هذه الطرق مدونة بالنشرة العلمية المرفقة
Al-Gouf water and its commercial exploitation as mineral water

وكذلك تم تحليل عينات من مياه الصحة وايفيان المعدنية المستوردة والموجودة بالمملكة ، ويمكن الرجوع الى تفاصيل الطرق المستعملة لهذا الغرض في النشرات العلمية الخاصة بذلك وخصوصا .

تقرير عن تحليل مياه الجوف من جامعة الرياض (الملك سعود حالياً)



جامعة الرياض

التاريخ :
المرفقات :

كلية الصيدلة

— ٢ —

نتائج التحليل

١ ـ جميع العينات التي فحصت وجدت مطابقة لما جاء عن منظمة الصحة العالمية وان مابها من عناصر اقل من الحدود المسموح بها من قبل هذه المنظمة.
(انظر الجدول) .

٢ ـ لايوجد اي من الدلائل الكيميائية للتلوث (الامونيا ـ النيتريت ـ مواد عضوية)

٣ ـ ان مياه دومة الجندل اجود هذه المياه حيث ان نصيبها من المواد الصلبة الكلية قليل ـ وان بها املاح معدنية.

٤ ـ بالدراسة المقارنة وجد ان هذه المياه (مياه دومة الجندل) تفوق المياه المعدنية المستوردة وهي الصحة وايفيان وخاصة لاحتوائها على نسبة قليلة جدا من النترات والتي تعطيها المكان الاول لاستخدامها في الشرب وكذلك في تحضير غذاء الاطفال الرضع الذين يتأثرون كثيرا اذا كانت هناك نسبة كبيرة من النترات في المياه .

٥ ـ كأي مياه معدنية تحتاج الى عملية تعقيم .

المحللون :

دكتور / عبدالغني حمزه — عميد الكلية

دكتور / محمود علي حسن — استاذ الكيمياء الصيدلية المشارك

السيد / عبدالله ... — معيد بقسم الكيمياء ...

نتائج تحليل مياه الجوف من جامعة الرياض (الملك سعود حالياً)

ميجاوات ، مع الملحقات المساندة لتصل القدرة المركبة الإجمالية إلى ١٧٥ ميجاوات .

ثانيا : مشروع توسعة فئات محطات تحويل :

أ – محطة تحويل سكاكا المركزية بإضافة محولين بقدرة ٧٤ ميجافولت أمبير .

ب – محطة تحويل سكاكا (ب) اللقائط بإضافة محول بقدرة ٤٠ ميجافولت أمبير .

ج – محطة تحويل دومة الجندل بإضاقة عدد (٤) مغذيات .

ثالثا : مشروع توسعة شبكات التوزيع :

يتضمن إضافة شبكات بطول إجمالي ١٢٠ كيلاً (تحت التنفيذ) .

رابعا : تحديث التحكم الآلي بالشبكة :

وذلك بنظام جديد متطور بأحدث النظم (تحت التنفيذ) .

عدد المشتركين

بنهاية عام ١٤١٩هـ وصل عدد المشتركين في سكاكا والقرى التابعة لها إلى حوالي ٢١٣٤٨ مشتركا ، يتضمن كبار المشتركين . إضافة إلى مشتركي شركة كهرباء دومة الجندل والقرى ، الذين وصل عددهم إلى حوالي ٥٢٠٠ مشترك . ويتم تصدير الطاقة الكهربائية لها من محطة كهرباء منطقة الجوف ، بقدرة وصلت إلى ٢٢ ميجاوات ؛ أي إن إجمالي عدد المشتركين وصل إلى أكثر من ٢٨ ألف مشترك[١] .

الغرفة التجارية الصناعية بمنطقة الجوف

بدأت الغرفة التجارية الصناعية نشاطها في عام ١٤٠٥هـ ، لتولي القطاع الخاص بالمنطقة العناية والاهتمام اللازمين ، من خلال ثماني لجان عاملة ، وهي : اللجنة الصناعية ،

(١) كهرباء منطقة الجوف ، تقرير احصائي ١٤٢٠هـ .

واللجنة التجارية ، واللجنة العقارية ، واللجنة الصحية الأهلية ، واللجنة الزراعية ، ولجنة الخدمات ، ولجنة الاستقدام والنقل ، ولجنة المقاولات .

وتعتمد الغرفة على رافدين أساسيين في أعمالها : إيراد الاشتراكات للمنتسبين للغرفة ، وإيراد التصديق على المعاملات .

وقد قدمت الغرفة العديد من الخدمات للمنطقة ، منها :

- إصدار مطبوعات دورية وأدلة تجارية للمنطقة ، ونظمت أربعة معارض للصناعات الوطنية .
- إصدار دليل للخدمات في منطقة الجوف .
- قدمت العديد من الدراسات القانونية ، ودراسات فرص الاستثمار الصناعي بالمنطقة ، ومنها مشروع إنشاء معصرة زيتون ، ومصنع فحم نباتي من جفت الزيتون . كما قدّمت الغرفة دراسة عن سوق الصوف بالمنطقة . وشاركت في تأسيس شركة الجوف للمشاريع السياحية والترفيهية .
- أنشأت الغرفة وشغّلت مكتباً لتوظيف السعوديين ، كما عقدت دورات تدريبية متخصصة لأبناء المنطقة .
- أصبح للغرفة فرع بدومة الجندل ، وفرع بمركز طبرجل ، كما توجد غرفة تجارية وصناعية بمحافظة القريات .

وقد بلغ عدد المشتركين المسجلين بالغرفة (٥٧٠٠) مشترك حتى عام ١٤٢٤هـ[1] .

الخطوط العربية السعودية/ فرع الجوف

تأسس مكتب الخطوط بمنطقة الجوف في عام ١٣٩٨هـ ، وقد أنشأت السعودية وكالتين تابعتين لإشرافها في عامي ١٩٨٣و ١٩٨٨ . وكانت الخطوط العربية السعودية قد بدأت

(١) الغرفة التجارية الصناعية بمنطقة الجوف ، دليل صادر عام ١٤٢٤هـ .



مطار الجوف

رحلاتها بطائرات من طراز (داكوتا وكونفير) ، ثم انتقلت إلى استئجار طائرات الفوكر ، ومن ثم سيّرت رحلات مستخدمة طائرات (بوينج ٧٣٧) . وفي الوقت الحالي تستخدم الخطوط الطائرات الحديثة من طراز (MD 90 1999/200) . وقد بلغ عدد الركاب الذين نقلتهم الخطوط خلال عام ٢٠٠٣ من الجوف والقريات ١٤٦ر٤٢٥ راكباً كما بلغ عدد الركاب القادمين ١٤٤ر٨٢٠ راكب . وللسعودية أيضا في القريات وكيل عام ، بدأ نشاطه في عام ١٩٦٥م ، وقد أُفتتح المبنى الجديد للخطوط العربية السعودية بسكاكا في ٢١ يوليو ١٩٩٨م[١] . وقد بلغ عدد الرحلات الشهرية من والى الجوف والقريات ١٧٤ رحلة .

شركة الاتصالات السعودية/ اتصالات منطقة الجوف

في عام ١٣٥١هـ تأسس مركز للبرق والبريد بمدينة سكاكا ، كان عدد العاملين فيه ستة موظفين . واستمر تطوير هذا المركز تدريجياً حتى أُدخلت أجهزة جديدة للخدمة عام

(١) معلومات عن الفرع منذ تأسيسه ، واردة من مدير فرع الخطوط السعودية بالجوف ، صفر ١٤٢٥هـ .

١٣٥٨هـ إذ أُسس اللاسلكي والبريد بالقريات . وفي منتصف الثمانينات رُكّبت سنترالات في كلٍّ من : سكاكا بسعة (١٠٠ خط) ، ومحافظة القريات بسعة (٥٠ خطاً) . وفي عام ١٤٠٠ هـ أدخلت خدمة التلكس للمنطقة . ثم توالت توسعة الخدمات الهاتفية والتلكسية على مدار الأعوام الماضية ، لمواكبة التطور والتوسع السكاني العمراني ، حتى أصبح معظم مدن ومحافظات ومراكز المنطقة تنعم بالخدمات الهاتفية المتنوعة .

وفي عام ١٤٢٥ هـ ، وصل عدد المقاسم إلى ثمانية مقاسم وعدد الكبائن إلى ٢٨ كابينة كما تم استخدام نظام الخدمات مسبوقة الدفع بالنسبة للهاتف الجوال والعادي واقيم اكثر من ٨٣ برجاً للجوال . وقد بلغ اجمالي عدد خطوط الجوال حتى نهاية يناير ٢٠٠٤م ٣٩٣٩٣ خطاً ، وخطوط الهاتف الثابت العاملة ٤٦١١٥ خطاً ، وخطوط الهاتف الثابت المركبة ٧٤٠٨٣ خطاً . ويجري حالياً توصيل الخدمة ، إلى باقي المراكز ، مثل : غطي ، والناصفة ، وكاف ، وباير[١] .

المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية/ مكتب الجوف

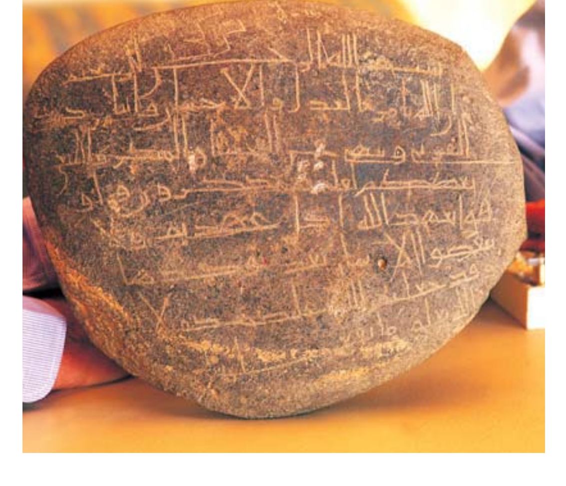
افتتح مكتب التأمينات الاجتماعية بمنطقة الجوف في ٢/٦/١٤١٥هـ . وقد بلغ عدد المنشآت المشتركة بالنظام حتى نهاية ١٤٢٣هـ ، (١٣٨٥ منشأة) . وبلغ عدد المشتركين على رأس العمل (٢٤٥٠٧ مشتركاً) ، كما بلغ عدد المشتركين الذين شملهم النظام (٥٢٤٢٩) عاملا . وقد بلغت منافع التأمين لفرع المعاشات في الجوف ، من بداية تطبيق النظام في ١٣٩٣هـ ، وحتى نهاية ١٤٢٣هـ ، مبلغ ١٨٣,٤٩٣,١٧٠ ريالاً ، كما تم صرف منافع فرع الأخطار منذ ١٤٠٢هـ وحتى نهاية ١٤٢٣هـ ، وقيمتها ٣,٣٢٣,٨١٠ ريالات[٢] .

متحف الجوف للآثار والتراث – دومة الجندل

أنشيء متحف الجوف للآثار والتراث ، ضمن سلسلة من المتاحف المحلية والإقليمية ،

(١) تقرير من مديرية العلاقات العامة باتصالات الجوف ، صفر ١٤٢٥هـ .

(٢) تقرير المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية – مكتب منطقة الجوف ١٤٢٥هـ .



نقش إسلامي عثر عليه بالجوف



نقش لاتيني اكتشف بمنطقة الجوف

التي أنشأتها الإدارة العامة للآثار والمتاحف ، في مناطق المملكة الغنية بالآثار ، وهى تحت إشراف إدارات التعليم في كل المناطق . ويقع متحف الجوف في محافظة دومة الجندل ، وهى إحدى أهم المدن الأثرية في المملكة العربية السعودية ، من حيث وجود المواقع الأثرية فيها . ويضم المتحف صالة عرض ، تعطي الزائر فكرة عن تاريخ المنطقة ، إضافة إلى الفترات التي مرت بها ، وأهمها فترات العصور الحجرية وأدواتها ، التي كانت مستخدمة ، وعصور ما قبل الإسلام ، إضافة إلى العصور الإسلامية ، كما تضم مجموعة من العملات الذهبية ،



تمثالان صغيران لجمل وكلب ، أكتُشفا في منطقة دومة الجندل

التي تعود إلى القرن التاسع الهجري ، وهى عملات عثمانية ، وبعض المجسّمات والصور واللوحات التوضيحية ، للمواقع الأثرية والتاريخية في المنطقة . كذلك يوجد جزء خاص بالتراث الشعبي ، يشمل أدوات زراعية ، وأدوات للاستعمالات المنزلية ، مثل : أواني فخارية ونحاسية للطبخ ، وبعض الأسلحة المتنوعة ، والحلي النسائية المصنوعة من الفضة ، التي تستخدمها النساء للزينة .

وقد أُنشيء هذا المتحف ليكون مركزاً من المراكز العلمية المتخصصة ، في تاريخ المنطقة وآثارها . يحتوي ، إضافة إلى صالة العرض ، على معمل للترميم ، ومختبر ومعمل للتصوير والمساحة والرسم ، وكذلك استراحة مجهزة لاستقبال البعثات العلمية ، من قبل الإدارة العامة للآثار والمتاحف . ويستقبل المتحف الزيارات في الفترة الصباحية[1] .

---

(١) متحف الجوف للآثار والتراث الشعبي ، تقرير ١٤٢٠هـ .



من أعمال البسط بالجوف



امرأة من الجوف تحيك السجاد التقليدي

المؤسسات والجمعيات الخيرية بالجوف

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية :

أنشئت مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ، بمدينة سكاكا بمنطقة الجوف بموجب الأمر الملكي رقم أ/ ٤٤٢ وتاريخ ٩/٩/ ١٤٠٣هـ ، إلا أن البداية الفعلية للمؤسسة تسبق هذا التاريخ بعشرين عاماً ، إذ أنشأ المؤسس مكتبة الثقافة العامة سنة ١٣٨٣هـ بمدينة سكاكا ، من أجل نشر المعرفة والثقافة العامة في وقت كانت منطقة الجوف تفتقر إلى وجود مكتبة عامة .

ومن أبرز أهداف المؤسسة : تولي إدارة وتمويل مكتبة دار الجوف للعلوم ، التي حلت محل مكتبة الثقافة ، وتطوير هذا المرفق الثقافي لتصبح مركزاً ثقافياً وعلمياً في المنطقة . كما تهدف المؤسسة إلى حفظ التراث الأدبي والآثاري ، وإصدار مجلة شهرية ، وبناء مسجد جامع ومستشفى ، وروضة أطفال ومدارس . كذلك عُنيت المؤسسة بإحياء أسبوع ثقافي في الجوف سمي بأسبوع الجوف ، يعقد في كل عام ، يشتمل على فعاليات ثقافية وعروض تراثية . كما تهدف المؤسسة إلى رعاية جائزة الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للتفوق العلمي لطلاب مراحل التعليم المختلفة .

دار الجوف للعلوم :

تعد دار الجوف للعلوم مركزاً ثقافياً علمياً ، وتضم قسمين : قسم للرجال ، وآخر للنساء . وتحتوي المكتبة على أكثر من مائة ألف كتاب ، كما تضم عدداً من المجموعات ، أبرزها المجموعة العامة ، وتتمثل بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية في شتى العلوم والمعارف ، إضافة إلى المجموعة الخاصة التي تركز على منطقة الجوف وشمال الجزيرة العربية ، من المؤلفات وكتب الرحالة ، كما تحتوي المجموعة الخاصة على مصورات لمخطوطات يصل عددها إلى أكثر من خمس وستين مخطوطة ، ووثائق ونقود وطوابع . وتحتوي دار الجوف للعلوم أيضاً



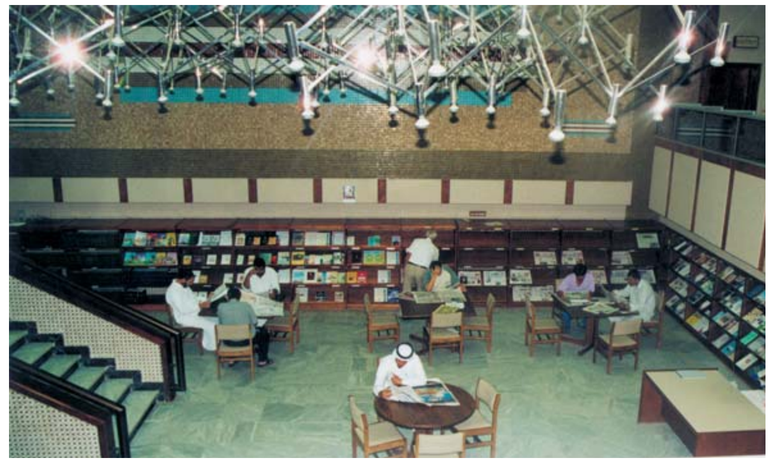
مبنى دار الجوف للعلوم

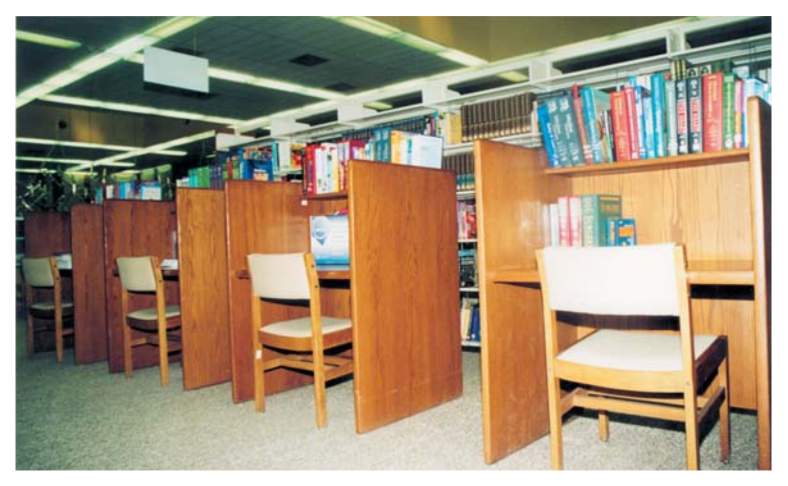
على أكثر من مائتين وخمسين دورية ومجلة وصحيفة ، إضافة إلى المكتبة السمعية والبصرية .

وقد واكبت مكتبة دار الجوف للعلوم التطور التقني في مجال عمل المكتبات ، إذ جرى ربط المكتبة بخط طرفي ، يربط الدار ببنك المعلومات في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ، وأدخل الحاسوب في أعمال الدار والمكتبة ، ووفرت خدمات الإنترنت لمرتاديها .

كما تشهد الدار نشاطاً ثقافياً واجتماعياً ، واحتل النشاط الثقافي المنبري حيزاً كبيراً من اهتمامات المؤسسة منذ انطلاق نشاطها عام ١٤٠٣هـ ، سواء في القسم الرجالي أم النسائي ؛ إذ شهدت عقد أكثر من مائة وخمسين نشاطاً بقسم الرجال ومثلها في قسم النساء . كما يشمل نشاط المؤسسة دورات تعقد في مركز تحفيظ القرآن الكريم بالمؤسسة ، ودورات تعليم اللغة الإنجليزية ، والحاسب الآلي ، والطباعة ، والخياطة .







لقطات داخلية من مكتبة دار
الجوف للعلوم

النشر ودعم الأبحاث :

قامت المؤسسة بنشر عدد من الكتب المتعلقة بمنطقة الجوف ، كان من أبرزها الطبعة الأولى من كتاب : "الجوف وادي النفاخ" ، وكذلك الطبعة الانجليزية من الكتاب التي صدرت بعنوان (The Desert Frontier of Arabia: AL-JAWF Through the Ages) ، كما طبع ديوان "القصائد" وكلا العملين من تأليف المؤسس . وقامت المؤسسة بنشر ترجمة ملاحق كتاب "الصحراء العربية" للمؤلف الويس موسيل ، وفي سنة ١٤١١هـ أصدرت المؤسسة دورية نصف سنوية أطلق عليها اسم "الجوبة" ، تعنى بالشؤون الثقافية في الجوف ، صدر منها ١٣ عدداً . كما نشرت المؤسسة عدداً من الكتب من إنتاج أبناء الجوف أبرزها كتاب "حي الدرع بدومة الجندل - دراسة معمارية أثرية" ، من تأليف إحدى بنات الجوف ، وهي الباحثة حصة الشمري .

وفي عام ١٤١٩هـ١٩٩٩/م شكّلت المؤسسة هيئة استشارية للنشر ، للاشراف على "برنامج نشر الدراسات والإبداعات الأدبية ودعم البحوث والرسائل العلمية" ، المتعلقة بمنطقة الجوف . وقد أشرفت الهيئة على دراسة وتحكيم العديد من الأعمال المقدمة لها ، وأوصت بنشر عدد من الكتب القيّمة المحكّمة ، وفق لائحة برنامج النشر . وأصدرت حتى تاريخ صدور هذا الكتاب الكتب الآتية :

١- رائحة الطفولة (مجموعة قصصية) ، أ . عبدالرحمن الدرعان ، (١٤٢١هـ٢٠٠٠/م) .

٢- نقوش قارا الثمودية بمنطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية ، أ . د . سليمان بن عبدالرحمن الذييب ، صدر عام (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) .

٣- بحوث في آثار منطقة الجوف ، د . خليل بن إبراهيم المعيقل ، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) .

٤- التنظيمات العسكرية النبطية ، أ . صالح بن إبراهيم الدغيم ، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) .

٥- نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية ، أ . د . سليمان بن عبدالرحمن الذييب ، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) .























أغلفة دورية "الجوبة" وهي نصف سنوية تعنى بالشؤون الثقافية في الجوف، كانت تصدرها مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، وتوقفت عن الصدور بعد العدد الثالث عشر الصادر في جمادى الآخرة ١٤١٨هـ/ أكتوبر ١٩٩٧م، لتتولى المؤسسة بعد ذلك إصدار مجلة أدوماتو.

٦- ريم والصياد (قصة للأطفال) ، د . أسد محمد ، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) .

٧- مفاجأة ماجد (قصة للأطفال) ، أ . محمد صوانه ، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) .

٨- حي الدرع بدومة الجندل : دراسة معمارية أثرية (طبعة ثانية) ، د . حصة الشمري ، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) .

٩- أنواع العقارب والثعابين السامة في منطقة الجوف ، أ . د . محمد بن خالد السعدون ، (١٤٢٥هـ٢٠٠٤/م) .

١٠- اقتصاديات منطقة الجوف : نموذج جديد للتنمية المحلية ، د . محمد عبدالعال صالح ، (١٤٢٥هـ٢٠٠٤/م) .

وضمن برنامج تمويل ودعم الأبحاث العلمية ، قامت الهيئة بدراسة عدد من الأبحاث المقدمة للتمويل في مجالات متعددة من شأنها خدمة الباحثين والمتخصصين ، والجهات الرسمية ذات العلاقة بمجالات تلك الأبحاث ، وأوصت بتمويل بحثين مهمين ، هما :

١- دراسة بيئية وسُمّيّة وإكلينيكية لأنواع العقارب والثعابين السامة في منطقة الجوف ، باشراف الباحث أ . د . محمد بن خالد السعدون ، الأستاذ بكلية العلوم بجامعة الملك سعود بالرياض ، استمر البحث لمدة عشرين شهراً (١٤٢٢ - ١٤٢٤هـ) .

٢- دراسة تركيز غاز الرادون في المساكن بمنطقة الجوف ، باشراف الباحث أ . د . محمد بن إبراهيم الجارالله من كلية العلوم بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، والبحث ما يزال قيد التنفيذ .

٣- دراسة التنوع الإحيائي (الحيواني) في منطقة الجوف : الواقع والمأمول ، باشراف الباحث أ . د . محمد السعدون ، من كلية العلوم بجامعة الملك سعود بالرياض ، وتستمر الدراسة على مدى (٣٠) ثلاثين شهراً ، وقد باشر فريق الدراسة بالمرحلة الأولى في ١٤٢٥٦/٣/هـ .

وضمن برنامج النشر هناك بعض الكتب تحت الطبع حالياً ، يتوقع صدورها خلال

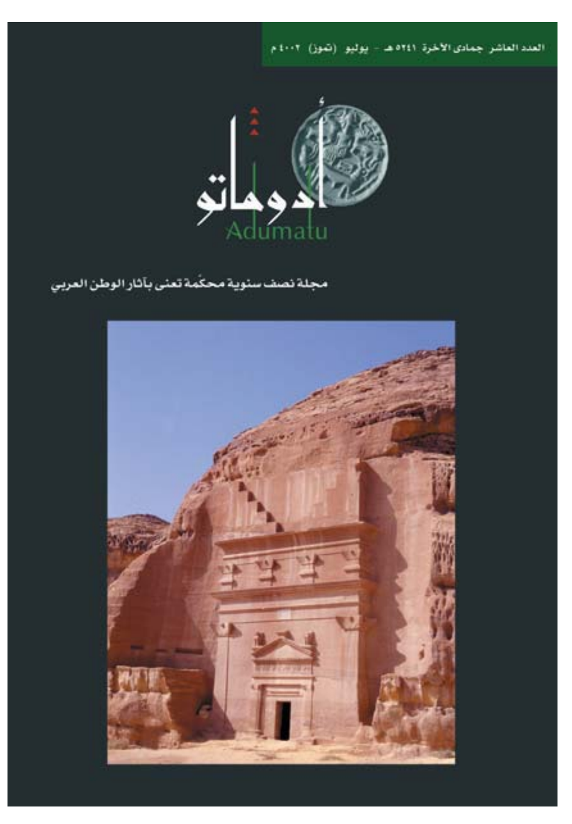


بعض مطبوعات هيئة النشر بمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ضمن برنامج النشر ودعم الأبحاث

الأشهر القليلة المقبلة ؛ كما أحالت هيئة النشر مخطوطات لكتب أخرى إلى لجنة التحكيم المعتمدة لدى الهيئة ، كما هو متّبع في الكتب والأعمال المقدمة للهيئة ، تمهيداً للنظر في طباعتها ؛ وهناك أيضاً مشاريع بحوث ، جرى تحكيمها ، يُنتظر البدء بتنفيذها قريباً .

مجلـة أدوماتـو

وفي شهر يناير من عام ٢٠٠٠م ، أصدرت المؤسسة مجلة "أدوماتو" ، وهي مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بآثار المملكة العربية السعودية ضمن اهتمامها الأوسع بآثار الوطن العربي ، وشكلت لها هيئة تحرير متخصصة ، وهيئة استشارية تضم علماء ومختصين في علوم الآثار ، من مختلف أقطار العالم . وقد صدر من"أدوماتو"حتى تاريخ نشر هذا الكتاب عشرة أعداد . وقد لاقت المجلة اهتماماً كبيراً لدى مختلف المؤسسات الآثارية ومعاهد البحوث والدراسات المتخصصة بتاريخ وآثار العالم العربي ، العربية منها والدولية ، إضافة الى أساتذة التاريخ والآثار في الجامعات العربية والدولية .



غلاف العدد العاشر من مجلة أدوماتو (يوليو – تموز ٢٠٠٤م)

مدارس الرحمانية

أنشأت المؤسسة في عام ١٤٠٧هـ داراً للحضانة وروضة للأطفال وذلك لتحقيق الأهداف التي نص عليها نظام المؤسسة الأساس ، ونظراً لنجاح هذه التجربة جرى افتتاح مدارس

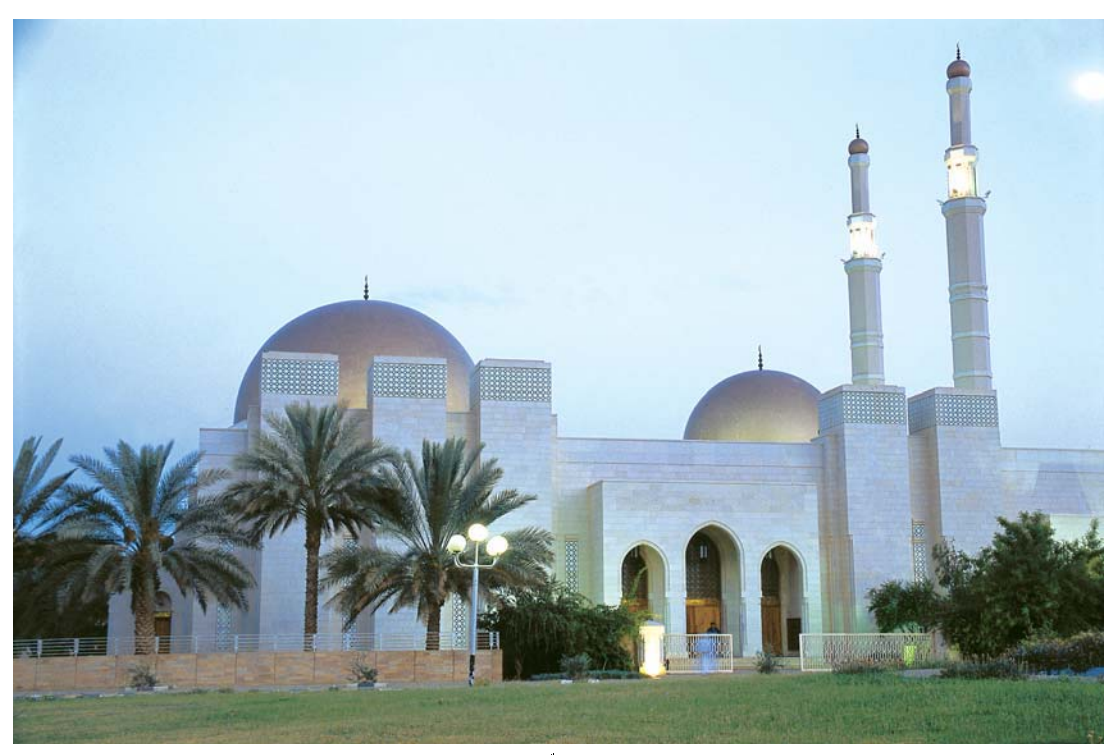


مدارس الرحمانية الأهلية

ابتدائية للبنين وأخرى للبنات عام ١٤١٠هـ ، ثم توسعت لتضم المرحلتين المتوسطة والثانوية . وقد أصبحت مدارس الرحمانية أول مدارس أهلية بالمنطقة ، وأسهمت في عجلة التطور التعليمي بالمنطقة .

جائزة الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للتفوق العلمي لخريجي الثانوية العامة

أسست الجائزة عام ١٤١٠هـ ، وخصصت في السابق للمتفوقين في مسارات التعليم المختلفة ، إلى أن قرر مجلس الإدارة تقديمها على شكل بعثة دراسية للطلبة المتفوقين في مدارس المنطقة ، تمنح سنوياً لأحد أبناء الجوف المتفوقين في الثانوية العامة ، وفق لائحة الجائزة ، وقد حصل حتى عام ١٤٢٥هـ أربعة طلاب يتابعون دراستهم في كل من الولايات



جامع الرحمانية بالجوف شيِّد وفق طراز معماري فريد

المتحدة الأمريكية واستراليا ، كما حصلت ثلاث من طالبات الثانوية العامة بالجوف على الجائزة المالية التي خصصت سنوياً لصاحبة الدرجة الأولى في امتحان الثانوية العامة على مستوى منطقة الجوف .

جامع الرحمانية :

تحقيقاً لرغبة المؤسس ، وانطلاقاً من أهداف المؤسسة ، فقد قامت بإنشاء جامع الرحمانية ، داخل حرم المؤسسة ، بمساعدة من خادم الحرمين الشريفين ، وبدعم من عدد من المتبرعين . وقد جرى افتتاح هذا الجامع وإقامة أول صلاة جمعة فيه ، في يوم الجمعة الموافق للعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٤١٥هـ .

وشيد الجامع وفق طراز معماري فريد يعتمد تصميمه على قبة مركزية ضخمة ومئذنتين خلفيتين باسقتين ، كما استخدم في تبريد الجامع نظام جديد لم يعرف من قبل وهو نظام التبريد باستخدام أبراج ملاقف الهواء ، وهذا النظام عرف في العمارة التقليدية في منطقة الخليج . إلا أن النظام الجديد المستخدم في جامع الرحمانية يعد نظاماً مطوراً ، استخدمت فيه تقنيات جديدة ، وقد أصبح أول جامع في العالم يستخدم فيه هذا النظام الحديث الذي يتميز ببساطته وقلة كلفته . وقد قام فريق علمي من كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود بدراسة هذا النظام ، وأثبتت الدراسة جدواه في الجوامع والصالات الكبيرة ، وأوصت بضرورة استخدام هذا النظام على نطاق واسع ، نظراً لمواءمته لمناخ المملكة وقلة استهلاكه للطاقة الكهربائية .

فندق النزل :

شعوراً من المؤسس بأهمية وجود فندق متميز بمدينة سكاكا ، لخدمة الزوار والسياح ، ورغبة من القطاع الخاص في الاستثمار في هذا القطاع ، وتحقيقاً لرغبة المؤسس فقد قرر



فندق النزل بالجوف

مجلس إدارة المؤسسة إنشاء فندق بإمكانات المؤسسة المتاحة ، تمشياً مع سياسة المجلس بالاستثمار في بعض المرافق الأساسية المطلوبة في المنطقة ، وقد تم إنجاز هذا المشروع الريادي ، وباشر العمل عام ١٤١٥هـ . وقد صمم الفندق وفق أسلوب مزج بين التراث المعماري لحوض البحر الأبيض المتوسط ، والتراث المعماري الإسلامي والنجدي والخليجي ، وقد ظهر هذا المزيج المعماري بشكل مميز وجذاب ، وأصبح من أبرز المعالم المعمارية في مدينة سكاكا .

جمعية البر الخيرية

تأسست جمعية البر الخيرية بالجوف عام ١٤٠٥هـ . وقد بدأت في أداء رسالتها منذ الوهلة الأولى ، حيث قامت بصرف مساعدات نقدية للأسر المحتاجة ، وساعدت الشباب في الزواج ، كما أسهمت في صرف مساعدات للأرامل والمطلقات ، والمتضررين من الكوارث ، إلى جانب الخدمات العلاجية والرعاية الطبية المجانية للمحتاجين ، بالتعاون مع المستوصفات والمستشفيات الخاصة .

وقد أسهمت الجمعية في صرف كسوة الشتاء للطلاب والطالبات المحتاجين ، وكذلك النظارات الطبية والسماعات الطبية للمحتاجين لها . وفتحت العديد من حسابات الإدخار والتوفير للأيتام ، إلى جانب توزيع هدية خادم الحرمين الشريفين من التمور سنوياً ، وتوزيع المواد العينية المختلفة على الأسر المحتاجة ، خلال شهر رمضان المبارك .

كما أن الجمعية مرتبطة بهيئة الإغاثة الإسلامية ، من حيث جمع الملابس المستعملة وإيصالها للمحتاجين ، والبت في طلبات المحتاجين من خارج المنطقة ، وإحالتها إلى رابطة العالم الإسلامي ، وغير ذلك من الخدمات الإنسانية . كما قامت الجمعية بإنشاء مركز خدمة الأطفال المعاقين بالجوف ، ومعاهد التعليم الخاص للبنين والبنات .

وللجمعية فرعان ؛ أحدهما في دومة الجندل ، والآخر في طبرجل[١] .

---

(١) تقرير جمعية البر الخيرية في شهر صفر ١٤٢٥هـ .

مركز الجوف لرعاية وتأهيل الأطفال المعوقين

مركز الأطفال المعوقين بالجوف هو أحد صروح الخير ، التي تجسد معاني الود والرحمة والتكافل في المجتمع السعودي . وهو الأول في نوعه على مستوى المملكة ، بعد مركز الجمعية الرئيس بالرياض . وقد بدأ تشغيله في عام ١٤١٦هـ .

ويشتمل على ثلاث وحدات بالدور الأرضي ، هي :

– وحدة الاستقبال : وبها أماكن انتظار للرجال والنساء ومرافق الخدمة العامة .

– القسم الطبي : ويلحق به العيادة الاستشارية وعيادة التقييم ، ومكتب الخدمة الاجتماعية ، ووحدة الجبائر ، وصالتي العلاج الطبيعي والوظيفي ، وعيادة علاج عيوب النطق .

– القسم التعليمي : ويتكون من فصول دراسية للمراحل التعليمية الثلاث ، التي يقسم أطفال المركز عليها حسب السن ونوع الإعاقة .

كما يشتمل المركز على ثلاث وحدات بالدور الأول ، هي :

– القسم الإداري ، وصالة الاجتماعات ، ومكتب رئيس مجلس إدارة الجمعية

– سكن الموظفات ، وملحق به سكن الأجنبيات وسكن العربيات وشقة الضيافة واستراحة الموظفات .

– امتداد للقسم التعليمي والفصول الدراسية .

وقد بلغ عدد الأطفال ، الذين تم الحاقهم بالمركز حتى عام ١٤٢٤هـ ، أكثر من (٤٠٣) أربعمائة وثلاثة أطفال ، كما وصل عدد الذين استفادوا فعلاً من الخدمات الطبية والتعليمية بالمركز ، أكثر من ٢٩٠ طفلاً ؛ منهم ١٥٠ طفلاً استفادوا من عيادات العظام ، و ٣٥ طفلاً أجريت لهم عمليات جراحية تقويمية . كما بلغ عدد الأطفال المستفيدين من وحدة الأطراف الصناعية أكثر من ٦٦ طفلاً[1] .

---

(١) احصائيات من المركز حتى نهاية عام ١٤٢٤هـ .

محافظة القريات

بلدية القريات

تأسست البلدية عام ١٣٧٦هـ ، وقد قامت حتى عام ١٤٢٤هـ . بانجاز العديد من المشروعات المهمة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

- سفلتة وأرصفة وانارة المرحلة التاسعة ، بتكلفة ١٢٫١١٠٫٥٢٧ ريالاً ، وكذلك إنجاز المرحلة العاشرة ، بتكلفة ٥٫٧١٩٫٣٣٢ ريالاً ، أما المرحلة الحادية عشر ، فكانت بتكلفة حوالي ١٣ مليون ريال .
- مشروع الصرف الصحي ، بتكلفة ٧٠ مليون ريال .



منظر عام لمدينة القريات

- مشروع تصريف مياه السيول والأمطار ، بتكلفة حوالي ١٥ مليون ريال ، ومشروع درء أخطار السيول ، بتكلفة ١٠ ملايين ريال .

- تخطيط وتنمية المدن ، وذلك من خلال أكثر من ٢٥ مخططاً ، تشمل المستشفيات والاندية والمناطق الصناعية . وتم تسليم الأراضي للإدارات الحكومية كالشئون الصحية ، ومركز التدريب ، والزراعة ، والجوازات ؛ إلى جانب ١٠٠ قطعة أرض ، لمشروع الأمير الوليد بن طلال الخيرى .

- تم ترسية العديد من المشاريع التجارية والاستثمارية ، وكذلك توزيع ١٤٩٧ منحة ملكية ، إضافة إلى توزيع أكثر من ٣٠٠٠ قطعة لأهالي المنطقة(١) .



المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية

(١) تقرير من بلدية محافظة القريات في شهر صفر ١٤٢٥هـ .



منظر الثلج في القريات

الكهرباء

دخلت الكهرباء مدينة القريات بجهد قروى في أوائل السبعينات الهجرية وفي عام ١٣٩١هـ . تم تعميم الخدمة في مدينة القريات ، وتم تأسيس المؤسسة العامة للكهرباء في ١٣٩٦هـ . وقد ضمت كافة المشاريع لها . وفي ١٤٢١هـ ، جرى انشاء الشركة السعودية للكهرباء وأصبحت كهرباء القريات تابعة لها (فرع المنطقة الشرقية) وقد بلغ عدد المشتركين حتى ٢١/٢/١٤٢٥هـ ، ٢٩٫٢٩٠ مشتركاً في القريات وطريف وطبرجل . وقامت الشركة بإيصال التيار الكهربائي إلى كل من اسكان الحديثة وجميع قرى وهجر القريات والحماد ، وتعمل حاليا على إيصال التيار إلى مشروع الصرف الصحي والمطار ومحطة الارسال الاذاعي بالقريات ، وكذلك لقصر كاف الأثري[١] .

---

(١) تقرير كهرباء القريات ، صفر ١٤٢٥هـ .



مطار القريات

مطار القريات

بدأت أولى رحلات الطيران من مطار القريات في عام ١٣٧٥هـ بطائرة من نوع بريستول ، بمعدل رحلة واحدة في الأسبوع ، ثم زاد عدد الرحلات في عام ١٣٨٠هـ لتصبح رحلتين واستخدمت طائرات داكوتا . وفي عام ١٣٩٥هـ ازداد عدد الرحلات إلى أربع ، وكانت طائرات فوكر ودي سي من ضمن الطائرات المستخدمة .

وفى عام ١٤٠٠هـ أقيم المطار الجديد في شمال غربي المدينة ، وفى ١٤٠١هـ ، استخدمت الطائرات النفاثة من طراز (فوكر ٢٨) ، وتلتها في عام ١٤٠٦هـ رحلات البوينج ٧٣٧ ، وغيرها من أحدث الطائرات .

وألحق بالمطار مبنىً للأرصاد الجوية وحماية البيئة ، وأصبح عدد الرحلات الأسبوعية يتجاوز ٢٢رحلة أسبوعيا .



الغرفة التجارية الصناعية بالقريات

الغرفة التجارية الصناعية بالقريات

أنشئت الغرفة التجارية الصناعية بالقريات في ٢٥/١١/١٤٠٨هـ ، وفقاً لنظام الغرف التجارية الصناعية المعمول به في المملكة . وتتكون إدارة الغرفة من العلاقات العامة والمعارف ، ومركز التدريب والتطوير الإداري ، والإدارة القانونية ، والإدارة الاقتصادية والبحوث وإدارة المستودعات ، وإدارة المجلة ، والمتابعة والتطوير ، إلى جانب إدارة المعلومات والنظم ، وإدارة اللجان وإدارة المنتسبين والشئون المالية والإدارية .

وتقوم الغرفة بتنظيم المؤتمرات والندوات ، وإعداد البحوث ، والدراسات الإقتصادية ، وإقامة المعارض الصناعية ، ونشر الوعى القانوني ، وتبصير رجال الأعمال ، بكافة الأنظمة اللازمة لخدمتهم ، كما تسهم في تدريب القوى البشرية ، وتصدر مجلة فصلية

بعنوان (تجارة القريات)[1] .

الجمعية التعاونية الزراعية

بدأت عملها عام ١٤٠٢هـ برأس مال قدره ٢٩٠١٠٠ مائتان وتسعون ألفاً ومائة ريال ، وقد بلغ راس مالها الحالي ٢م٣٧٥٥٠٠ ريال ، وعدد الأعضاء المساهمين ٨١٣ عضواً ، وبلغت ميزانيتها للعام ١٤١٨/ ١٤١٩هـ : ٥م٣٧٨م٥٨٤ ريالاً . وتهدف الجمعية إلى تأمين المكائن والمضخات والبذور والشتلات والأسمدة والشعير ووسائل التنقيط وقطع الغيار للأعضاء المزارعين . كما أعدت معصرتين لعصر الزيتون . وتدعم أيضا جماعة أصدقاء المرضى والنوادي الرياضة وجمعية تحفيظ القران ، وتدريب السعوديين ، وأنشطة التعليم ، والجمعيات الخيرية[2] .

نادى المسيرة بالقريات

تأسس عام ١٣٩٥هـ ، وشعاره الأبيض والعنابي . ويملك النادي ملعبين لكرة القدم مزروعين بالعشب الطبيعي ، وتتسع مدرجاته لـ ٢٥٠٠ مشجع ، وكذلك منصة رئيسة تتسع لحوالي ٥٠٠ مشجع ، إلى جانب غرف اللاعبين والخدمات والإدارة والسكرتارية . ويضم النادي ٦٠٠ شاب موزعين على ألعاب ، هي : القدم ، الطائرة ، السلة ، اليد ، تنس الطاولة ، التنس الأرضي ، الاسكواش ، إضافة إلى الأنشطة الثقافية والاجتماعية والفنية الأخرى .

---

(١) الدليل التجاري الصناعي لمحافظة القريات ، ١٤٢٥هـ .

(٢) تقرير من الجمعية التعاونية في شهر صفر ١٤٢٥هـ .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

ابن بشر ، عثمان بن عبدالله ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، الرياض ، (د . ت) .

ابن جنيدل ، سعد بن عبدالله ، **بلاد الجوف أو دومة الجندل** ، الرياض ، ١٤٠١هـ١٩٨١/م .

أبو عليه ، عبدالفتاح حسن ، **الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦-١٣٠٩هـ** ، المدينة المنورة ، ١٣٩٤هـ١٩٧٤/م .

أبو الفرج الأصبهاني ، علي بن الحسين ، **كتاب الأغاني** ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٣٨٥هـ .

الأنصاري ، عبدالرحمن ، **قرية الفاو : صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية** ، الرياض ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٢هـ .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، **البيان والتبيين** ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ١٩٦٠/م .

الجاسر ، حمد ، **في شمال غرب الجزيرة** ، الرياض ، ١٤٠١هـ١٩٨١/م .

الجاسر ، حمد ، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية** ، الرياض ، ١٣٩٧هـ١٩٧٧/م .

الدايل ، خالد عبدالعزيز ، "تقرير حقلي عن حفريات دومة الجندل" ، **أطلال** ، العدد العاشر ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

الدباغ ، مصطفى ، **الجزيرة العربية موطن العرب ومهد الإسلام** ، جزآن ، بيروت ، دار الطليعة ١٣٨٢هـ .

الراشد ، سعد ، **طريق الحج من الكوفة إلى مكة** ، الرياض ، مكتبات جامعة الرياض (جامعة الملك سعود) ، ١٩٨٠م .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، **تاريخ الرسل والملوك** ، ليدن ، ١٨٨١-١٨٩٨م .

العمري ، أحمد بن يحيى بن فضل الله ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، مخطوطة رقم ٣٤١٧ ، متحف أياصوفيا ، اسطنبول .

علي ، جواد ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، بيروت ، ١٩٧٢م .

كحالة ، عمر رضا ، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** ، دمشق ، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م .

المارك ، فهد ، **من شيم العرب** ، بيروت ، ١٩٦٥م .

المعيقل ، خليل إبراهيم ، وسليمان بن عبدالرحمن الذييب ، **الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف** ، الرياض ، ١٤١٧هـ١٩٩٦/م .

الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد ، **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، الرياض ، ١٣٩٤هـ١٩٧٤/م .

الواقدي ، أبوعبدالله محمد بن عمر ، **كتاب المغازي** ، تحقيق مارسون جونز ، لندن ، ١٩٦٥م .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ، **معجم البلدان** ، بيروت ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

ثانياً: التقارير الرسمية:

١- مديرية الزراعة والمياه بمنطقة الجوف ، تقرير احصائي ١٤٢٤هـ .

٢- البنك الزراعي العربي السعودي فرع الجوف ، تقرير ، صفر ١٤٢٥هـ .

٣- شركة الجوف للتنمية الزراعية ، التقرير السنوي ١٩٩٨م .

٤- جمعية البر الخيرية بالجوف ، تقرير في شهر صفر ١٤٢٥هـ .

٥- الجمعية التعاونية متعددة الأغراض بالجوف ، تقرير سنوي ١٤١٨هـ/ ١٤١٩هـ .

٦- المديرية العامة للشئون الصحية بالجوف ، تقرير ، صفر ١٤٢٥هـ .

٧- متحف الجوف للآثار والتراث الشعبي/ دومة الجندل ، تقرير ١٤٢٠هـ .

٨- الغرفة التجارية الصناعية بمنطقة الجوف ، تقرير صادر عام ١٤٢٤هـ .

٩- كهرباء منطقة الجوف ، تقرير احصائي ١٤٢٠هـ .

١٠- الخطوط الجوية العربية السعودية/ فرع الجوف ، تقرير ، صفر ، ١٤٢٥هـ .

١١- بلدية منطقة الجوف ، تقرير خاص ، محرم ١٤٢٥هـ .

١٢- الإدارة العامة للتعليم بالجوف : مسيرة التعليم في الجوف (١٤٠٣-١٤٠٤هـ) ؛ تقرير ١٤١٩هـ ؛ الخلاصة الإحصائية لمدارس منطقة الجوف ١٤٢٤هـ/١٤٢٥هـ .

١٣- الرئاسة العامة لتعليم البنات/ الجوف ، تقرير سنوي ١٤١٩هـ .

١٤- المعهد الصحي للبنين بالجوف ، تقرير ١٤٢٠هـ .

١٥- المعهد الصحي للبنات بالجوف ، تقرير ١٤٢٥هـ .

١٦- كلية المعلمين بالجوف ، تقرير ١٤٢١هـ .

١٧- كلية التربية للبنات بالجوف ، تقرير في صفر ١٤٢٥هـ .

١٨- الكلية التقنية بالجوف ، تقرير في صفر ١٤٢٥هـ .

١٩- كلية العلوم بالجوف ، تقرير وارد في ١٤٢٥/٢/١٠هـ .

٢٠- دليل كلية خدمة المجتمع وتقرير المشرف على الكليات ، ١٤٢٥هـ .

١٨- مدارس الرحمانية الأهلية بالجوف ، تقرير خاص ١٤٢٥هـ .

١٩- المؤسسة العامة للتأمينات الإجتماعية/ فرع الجوف ، تقرير ١٤٢٥هـ .

٢٠- فرع وزارة العدل بالجوف ، تقرير ١٤٢٥هـ .

٢١- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ فرع الجوف ، تقرير ١٤٢٠هـ .

٢٢- الإنجاز ، إصدار فرع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/ بالجوف ، تقرير شوال ١٤٢٤هـ .

٢٣- مديرية الدفاع المدني بمنطقة الجوف ، تقرير صادر في صفر ١٤٢٥هـ .

٢٤- إدارة تعليم البنات بالجوف ، خلاصة إحصائية لجميع المراحل التعليمية ، ١٤١٩هـ .

٢٥- إدارة الطرق والنقل بمنطقة الجوف ، تقرير في صفر ١٤٢٥هـ .

٢٦- تقرير مديرية العلاقات العامة باتصالات الجوف ، صفر ١٤٢٥هـ .

٢٧- احصائية مركز الجوف لرعاية وتأهيل الأطفال المعاقين لعام ١٤٢٤هـ .

٢٨- تقرير بلدية محافظة القريات ، صفر ١٤٢٥هـ .

٢٩- تقرير كهرباء القريات ، صفر ١٤٢٥هـ .

٣٠- الدليل التجاري الصناعي لمحافظة القريات ، ١٤٢٥هـ .

٣١- تقرير الجمعية التعاونية الزراعية بالقريات ، صفر ١٤٢٥هـ .